جامعـة الجزائـر-2- أبو القاسم سعد الله

كليـــة العلوم الإنسانيـــة

قســـم التاريـــخ

# الشيــخ عبد القادر المجــاوي

# حياتـــــه وآثـــــاره

# 1264- 1332هـ/ 1848- 1914م

أطروحـــة مقدّمـــة لنيـــل شهـــادة دكتوراه العلـــوم

إعـــداد الطالب:

عبد الـــرزاق تومييـــات

إشـــــراف:

الأستـــاذ الدكتـــور: مولود عويمر

السنة الجامعية 2017- 2018 م

جامعـــة الجزائـــــر-2- أبو القاسم سعد الله

كليـــة العلوم الإنسانيـــة

قســـم التاريـــــخ

# الشيــخ عبد القادر المجــاوي حياتـــــــه وآثـــــــاره

# 1264- 1332هـ/ 1848- 1914م

أطروحـــــة مقدَّمـــــة لنيـــــل شهـــادة دكتوراه العلـــوم

**السادة أعضاء لجنة المناقشة:**

1- أ. د عبد القادر مولاي ..... رئيسا

2- أ. د مولود عويمر ..... مقررا

3- أ. د بشير سعدوني ..... عضوا

4- أ. د عبد المجيد عدّة ..... عضوا

5- د. محمد جلال ..... عضوا

6- د. عبد القادر قوبع ..... عضوا

**إعـــداد الطالب:**

عبد الرزاق تومیات

**إشـــراف:**

الأستاذ الدكتور مولـود عويمـر

**السنة الجامعية: 2017- 2018م**

# إهداء

إِلَى الَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا

# مقدّمـــــــــة

نعالج في هذه الأطروحة جوانب من حياة الشيخ عبد القادر المجاوي، و نقول جوانب لأننا نعترف بأن الكثير من الأمور مجهولة، و هذا لا ينطبق على هذه الشخصية فحسب بل تعدّاها إلى العديد من الشخصيات ومنهم الشيخ عبد القادر المجاوي، و رغم الجهود المبذولة إلا أنها غير كافية في نظرنا إذ تحتاج إلى بحث معمق ودراسة شافية، خاصة عندما يتعلق الأمر بالشخصيات الثقافية، فبعض شعوب العالم تخلفت و ضيّعت تراثها نتيجة إهمالها للجانب الثقافي، الذي يُعَدُّ في الدول المتقدمة شرطا لبلوغ مَراقي التطور و الازدهار.

كان الشيخ عبد القادر المجاوي من الرعيل الأول لمصلحي الجزائر في النصف الثاني من القرن 14هـ/19م، ولد لأسرة تلمسانية شريفة، و نشأ في المدينة و تعلم بها، و انتقل مع أسرته إلى المغرب الأقصى بحكم طبيعة عمل والده الذي تولى قضاء مدينة طنجة، فانتظم في مدارسها طلبا للعلم، ثم انتقل إلى تطوان في الريف المغربي لمواصلة دراسته، و منها إلى جامع القرويين بفاس الذي كان بمثابة جامعة للتعليم العالي تُلَقَّن فيه مختلف العلوم و الفنون، فحصل على الإجازة و قفل راجعا إلى الجزائر في حدود سنة 1287هـ/1869م، فنزل مدينة قسنطينة التي استقر بها أصهاره من عائلة البوطالب و لعلهم ساعدوه في الاستقرار بها و تَوَلِّي مهنة التدريس الحر في جامع سيدي الكتاني سنة 1292هـ/1873م، ثم استدعي من الإدارة الاستعمارية لمنصب أستاذ في الكتانية سنة 1295هـ/1877م و هي السنة ذاتها التـــي ألّف

فيها رسالة إرشاد المتعلمين و أحدثت ضجة في أوساط أعداء الإصلاح و اللغة العربية، لكن مع ذلك شقّ الشيخ المجاوي طريقه إلى الدعوة لإصلاح المجتمع و المطالبة بتحسين الأوضاع الثقافية و الاجتماعية دون الخوض في شؤون السياسة، و مع أنه كان يعمل في صمت إلا أن جهوده أثارت ريبة الفرنسيين الذين نقلوه إلى مدينة الجزائر فانتظم مُدرِّسا في مدرسة الآداب سنة 1315هـ/1898م، ثم في المدرسة الثعالبية التي جرى تدشينها في احتفال رسمي حضره الوالي العام شارل جونار سنة 1321هـ/1904م.

و قد تخرّج على يديه جيل من الطلبة اختار بعضهم التدريس الحر فرارا من الوظيف و التعامل مع الإدارة الفرنسية من أمثال الشيخ حمدان الونيسي القسنطيني نزيل المدينة المنورة و دفينها، بينما آثر الكثير منهم تولّي وظائف إدارية كالقضاء و الفتوى و الإمامة و الترجمة و الصحافة و نذكر من أولئك الشيخ محمد المولود بن الموهوب و الشيخ عبد الكريم باش تارزي مفتي الحنفية و حمو بن الدراجي قاضي الحنفية و السعيد بن زكري المُدَرِّس في الثعالبية، و المُفتي و المحرر محمود كحول (بن دالي)، و أبو بكر و محي الدين بوطالب و قد تَوَلَّيا القضاء و هما صهران للشيخ المجاوي.

و لم يكتف المجاوي بالتدريس بل تولّى الإمامة في مسجد سيدي رمضان منذ سنة 1325هـ/1908م بالعاصمة، و أبدى اهتمامه بالتأليف إلى جانب التدريس و الوعظ و الإرشاد فعكف على طبع كراريس في مختلف العلوم التي كان يُدَرِّسها في قسنطينة و الجزائر كاللغـــة

العربية و الفلك و التوحيد و الحساب، و له مشاركات في علوم أخرى كالاقتصاد و التصوف و كتب في الصحافة و حاضر و قرظ مؤلفات و له رسائل و دروس شفوية، منها ما طُبِع و منها ما لا يزال مخطوطا و منها ما فُقِدَ أثره.

إن تعدد المجالات التي طرقها الشيخ في كتاباته و دروسه تَنِمُّ عن اطلاع واسع منه وسعة علم قلما توفرت في زمن الاستعمار الذي ضرب بقوة و في شتى الأصعدة، و مع ذلك رأينا أن التجارب قبل أن تجد لها طريقا إلى النجاح قد تمر بمراحل من العُسر و النَّصَب و هو ما حصل مع الشيخ.

تتجلى أهمية هذا العمل في إبراز دور هذه الشخصية الإصلاحية، و معرفة مدى عمق الفكر الإصلاحي الجزائري، فالمُتتبّع لنشاط الحركة الإصلاحية في وطننا يلاحظ أنها عبارة عن حلقات يشد بعضها بعضا، ترجع جذورها إلى النصف الثاني من القرن 13هـ/19م خِلافا لما يُروِّج له الاستعمار الفرنسي و مؤرخوه، و لعل الأهم في نظرنا هو بروز نخبة وطنية تشبّعت بفكر العلامة المجاوي و حملت على عاتقها مهمة نشر التجربة الإصلاحية للرعيل الأول من العلماء الجزائريين في مراحل لاحقة، و كان الشيخ حمدان الونيسي القسنطيني و الشيخ عبد الحميد بن باديس من عَرَصَات هذا المشروع الثقافي، و ما تلا ذلك من حراك فكري سار في بداياته وئيدًا، إلا أنه كان رد فعل ايجابي ضمن عملية المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي في إطار الكفاح التحرري اعتمادا على الفكر الذي اعتُبِر في نظر كلّ مُهتم من أنجـع الوسائـــل

التي استخدمها الجزائريون في كفاحهم الطويل و الشاق لإثبات كيانهم الحضاري، رغم التزييف و التحريف و أساليب الطمس و التشويه التي تعرّضوا لها، و مسّت مقوماتهم الدينية و التاريخية و الوطنية خلال قرون خلت و سنوات تلت.

**أسباب اختيار الموضوع:**

**أسباب ذاتية:**

أثناء حديثي مع الأستاذ الفاضل مولود عويمر عن بعض الشخصيات الإصلاحية التي كان لها تأثير و صدى في الفكر الإصلاحي الجزائري الحديث، استوقفني حديثه عن شخصية الشيخ عبد القادر المجاوي الذي لم أكن أسمع عنه إلا بالاسم في إطار بعض تآليفه و هذا إنما يدل على جهل و تفريط منا، و قد أشار الأستاذ في معرض حديثه إلى أن هذه الشخصية لم تَنَلْ نصيبها من الدراسة و البحث الأكاديمي، و جاء حديثه لي في ذات الفترة التي عقد فيها بعض المهتمين بفكر المجاوي ملتقى في مدينة تلمسان يوم 29 ذو القعدة 1432هـ/27 أكتوبر2011م ضمن نشاط عاصمة الثقافة الإسلامية، و لاقت فكرة إنجاز أطروحة الدكتوراه بخصوص هذه الشخصية استحسانا لدي، فعاودت الاتصال بالأستاذ الفاضل مُعْلِنًا عن رغبتي الخوض في الموضوع، فحضّني على بذل المزيد من الجهود للتعريف بالشيخ و تَتَبُّع مساره الفكري و الإصلاحي و تآليفه و آثاره، و لا يسعني في هذا المقام الطيب إلا أن أنوه بجهود أستاذي لإثراء الثقافة الإسلامية و الوطنية فله موفور الشكر و التقدير، و الواقع أن الخوض في المسائل الثقافية لم يكن من وجهة نظري المتواضعة أمرا ذا بال في بدايـــة الأمر

لكنني استفدت منه كثيرا و أرغب في المزيد، لِما لمست فيه من عطف وتواضع و حُنُوٍّ على طلبة العلم، و هي من شِيَـمِ الكرام.

**أسباب موضوعية:**

إنّ هذا الموضوع في حدود علمي لم يحظ بدراسة مستقلة و مستفيضة، عدا ما اطلعنا عليه من إعادة طبع لبعض مؤلفات الشيخ و مقالات مقتضبة في الصحف و الدوريات و المحاضرات و الملتقيات و آراء بعض الباحثين في جوانب من نشاطه و تآليفه، و أغلب الظن أنها لم تُوَفِّ هذا العالم الجليل نصيبه من الدراسة و الاهتمام، فهي تحتاج إلى تجديد وسعة اطلاع لضخّ أفكار جديدة، و حَرِيٌّ بنا بسط جانب واسع من الاهتمام لهذه الشخصية و غيرها من الشخصيات التي تركت أثرا باديا و طيبا على الساحة الثقافية الجزائرية، و إنّ ذلك لهو عين الواجب حتى لا تَنْدَرِسَ آثار علمائنا و مصلحينا فتزول بزوال أصحابها، و نرى هذا الأمر أمانة في أعناق الجيل الحالي و أجيال المستقبل، فالرعيل الأول من علماء الجزائر و مصلحيها و تلامذتهم و تابعيهم انتظموا عِقْدًا أرَّخ لمرحلة هامة و حساسة من تاريخنا الوطني، خاصة ما تعلّق منها بالفكر و الثقافة، باعتبارها المُحَرِّك الأساس للمجتمعات في سبيل انتظام سيرورتها في مضمار الحضارة.

**تحديد الإشكالية:**

تكمن إشكالية الأطروحة التي نحن بصددها في تحديد ما هو دور الشيخ المجاوي في الحركة الثقافية الجزائرية في زمن الاستعمار؟

و تتفرع عنها عدة إشكاليات جزئية، حاولنا جاهدين الإجابة عنها في متن هذا العمل في حدود ما توفّر لدينا من معلومات ومعطيات تاريخية، و تجلّت فيما يلي:

- ما مواقف الشيخ المجاوي من السياسة الاستعمارية والقضايا الوطنية؟
- ما هي القضايا التي سكت عنها الشيخ المجاوي ولم يُدْلِ برأيه فيها؟
- ما مدى استفادة الجزائريين من آثار الشيخ المجاوي؟

و كمحاولة منا للإجابة على هذه الإشكاليات قسّمنا عملنا إلى مقدمة و ثلاثة فصول:

أما الفصل الأول فتطرقنا فيه إلى بيئة الشيخ المجاوي و أهم الأحداث التي عاصرها على مختلف الأصعدة ، و ما ارتبط بسياسة تلك المرحلة و التحولات الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية التي شهدتها الجزائر زمن الاستعمار، و مواقف الجزائريـــــن من تلك التحولات و ردود أفعالهم و مدى تأثُّرهم بالتحولات على مختلف الأصعدة.

و في الفصل الثاني تفصيل لبعض المحطات البارزة من حياة الشيخ المجاوي منذ ولادته في تلمسان سنة 1264هـ/1848م، فأشرنا إلى أصول أسرته و هجرة بعض أفرادها إلى المغرب و استقرارهم بها، و استفادته من مشائخها و مدارسها و مكتباتها، و عن خبر عودته إلى الجزائر و استقراره بقسنطينة و زواجه بها و تكوينه لأسرة و وظائفه و مواقفه و نشاطه بها و بمدينة الجزائر التي انتقل إليها بطلب من الإدارة الاستعمارية الفرنسية، و علاقاته المختلفة بالعامة و الخاصة من الناس و أخلاقه و شخصيته و آراء بعض معاصريه، و طائفة من آراء

المهتمين بفكرة التربوي و الإصلاحي، حتى وفاته بمدينة قسنطينة سنة 1332هـ/1914م و تَأثُّر الناس بذلك لِمَا تركه من أثرٍ طيّب.

و أشرنا في الفصل الثالث إلى آثاره و مؤلفاته التي هي عبارة عن كراريس صغيرة الحجم غزيرة العلم ألّفها في العلوم المختلفة طرقت مجالات متعددة هي من اهتمامات الشيخ أيضا، الذي يبدو في نظرنا قادرا على تأليف ما هو أكثر ممّا اطلعنا عليه مطبوعًا أو مخطوطًا، و من يدري؟ فلعلّه كتب و ترك غيرها، و هو ما لم نتمكّن من العثور عليه حتى الآن.

و ختمنا عملنا بأهم ما خَلُصنا إليه في دراستنا لهذه الشخصية من نتائج و استنتاجات و ملاحظات، رغم اعترافنا بقصر الباع و قلة الاطلاع، فكما أشار القائل " لِكُلِّ شيء إذا ما تَمَّ نُقصَانُ"، و الزمن و البحث و بذل المزيد من الجهود كفيلة بِسَدِّ بعض النقائص و الثغرات.

و زوّدنا عملنا أيضا بملاحق رأينا فيها فائدة للتوثيق و إبراز بعض الحقائق التاريخية مُعتمدين على وثائق من أرشيف ما وراء البحار (إكس أون بروفانس)، و بعض المنشورات الرسمية الفرنسية و غيرها من المؤلفات.

و أردنا أن تكون المظان التي اعتمدنا عليها أقرب إلى حياة الشيخ المجاوي، و إن كانت قليلة في نظرنا، إلا أنها هامة جدا في الإحاطة خُبْرًا ببعض أحداث المرحلة المدروسة، فإضافة إلى ما تركه الشيخ من آثار، نذكر ما ألَّفه مُعاصِرُوه كأبو القاسم الحفناوي في كتابه تعريف الخلف برجال السلف مُعتمدين على الجزء الثاني منه، و الشيخ عاشور الخنقي في سيرتـــــــه

الذاتية الموسومة بمنار الإشراف على فضل عُصاة الأشراف و مواليهم من الأطراف و القاضي عبد الله بن علي حشلاف في كتاب سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول صلى الله عليه و سلم، و بلهاشمي بكار في مجموع النَّسَب و الحَسَب، و الشريف بن حبيلس في كتابه المُترجَم إلى العربية الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، و ديوان سليمان باشا الباروني.

أما المصادر الفرنسية فنذكر منها على وجه الخصوص ما كتبه Gaëtan Delphin عن مدينة فاس و جامعها، و Ernest Mercier عن قسنطينة و تاريخها، و Gustave Benoit عن التعليم و الحياة الثقافية في مدينة قسنطينة، و Louis Rinn في كتابه مرابطـــون و إخوان، و Depont et Coppolani في دراستهما عن الطرق الصوفية، و بعض الوثائق من أرشيف ما وراء البحار إكس أون بروفانس Archives Outre Mer Aix en Provence .

كما اعتمدنا على كتابات أخرى استفدنا منها كثيرا كشروط النهضة و مذكرات شاهد القرن للمفكر مالك بن نبي، و نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة لمحمد علي دبوز و الجزائريون في تطوان لإدريس بوهليلة، و تاريخ الجزائر الثقافي و الحركة الوطنية الجزائرية للأستاذ أبو القاسم سعد الله، و من الدراسات الأجنبية نذكر Claude Bentemp في دراسته لأوضاع الجزائريين ما بين 1518– 1870م، و الباحث Allan Christelow في رسالته المخطوطة (بالإنجليزية) القضاة المسلمون الجزائريون و السلطة الاستعمارية (1854–1892م) و الجيلالي صاري و دراسته عن المثقفين الجزائريين في الفترة ما بين 1850– 1950م.

و اطلعنا على ما كتبته صحافة ذلك الزمان، و ما نشرته الدوريات و المجلات كالتقويم الجزائري الذي أصدره محمود كحول (ابن دالي)، و ما ورد في صحيفة المبشر الرسمية التي اطلعنا على أعداد منها بالفرنسية و العربية، و صحيفتي المغرب و كوكب إفريقيا اللتـــان كتب فيهما الشيخ المجــاوي بعض المقالات، و نذكر هنـــا أيضا أعدادا من صحيفة لو راديكـــــال Le Radical و صحيفـــة ليكـو دالجـــــــي L'Echo d'Alger و لومـــاتان Le Matin و الأندبنـــدنت L'indépendant إضافة إلى أعداد متفرقــة من الجريدة الرسميـــة الفرنسيـــة (J.O.R.F) و مجلة العالم الإسلامي (R.M.M) و المجلة الإفريقية (R.A) وغيرها، لِمَا تضمّنته من معلومات على قدر كبير من الأهمية.

و رغم ما بذلته من جهد، إلا أنني لم أستطع تلبية كل ما عزمت عليه منذ البداية نظرا للصعوبات الكثيرة، فهناك من أوصد أبوابه في وجوهنا و منهم من عبس و تولَّى، فَحَالُ الباحث في أيامنا هذه كحال البائس و المُعْتَرّ إلا قليلا، لولا الصبر و الثبات، و من الصعوبات التي يعاني منها الكثير منا ضيق الوقت و الانشغال بالعمل و قد كانا بالنسبة لي أيضا عقبة كـؤودًا.

و أشكر الله و أحمده الذي يسّر السّعي و سدّد الخطى، كما أجدد شكري و امتناني للدكتور مولود عويمر، و لذوي الأيادي البيضاء الذين لم يبخلوا علينا بالمساعدة، منهم الدكتورة سمية أولمان التي زودتني ببعض ما أحتاجه من آثار الشيخ و أجابت عن استفساراتي و استضافتني في مكتبها بالمستشفى لما يُقارب ساعتين من الزمن، و الشكر موصول أيضا لوزارة الشؤون الدينية و الأوقاف و القائمين على مصلحة التراث و الثقافة الذين صوّروا لي

بعض آثار الشيخ المخطوطة، و لقيت منهم من حسن المعاملة و جميل المقابلة ما لم أجده في الكثير من مكاتب و مصالح إداراتنا، أيضا علي الاعتراف بفضل جامعة الجزائر وقسم التاريخ علي وعلى غيري من الباحثين وطلبة العلم، فعسى أن يكون ما قمنا به عملا مُفيدا للدارسين و المهتمين و مُعينا للباحثين، فليس هناك أفضل من أن نستفيد و نُفيد غيرنا، سائلين المولى عزّ و جلّ أن يكون عونا لكل ساعٍ في خدمة الثقافة الوطنية و الشخصية الجزائرية.

# الفصل الأول

## أوضاع الجزائر مابين سنتي

(1264-1332هـ/1848-1914م)

تمتدّ المرحلة التي نحن بصدد الإشارة إلى بعض حيثياتها ما بين سنتي 1264-1332هـ/1848-1914م و هي مرحلة مليئة بالأحداث على مختلف الأصعدة، فالبيئة التي عاش فيها الشيخ عبد القادر المجاوي استعمارية أثقلتها السياسات التعسفية التي أضرّت بالجزائريين، و هدّدت كيانهم كأمة و شخصيتهم الإسلامية و لغتهم و تاريخهم و حضارتهم و اتضح أن المرحلة المُشار إليها هي حلقة من صراع حضاري لا يختلف في أهدافه عن الحملات الصليبية التي تعرّضت لها بلاد الإسلام في العصور الماضية.

لقد دفعت تلك السياسات الجزائريين إلى ردود أفعال مختلفة أشرنا إلى بعضها حتى يدرك الناس حجم الخراب الذي أنتجته الآلة الاستعمارية بصدور قوانين تجعل من الجزائر مقاطعة فرنسية بقوة السلاح، فتحالف السّاسة و العسكريون و المستوطنون لتحقيق ذلك فكانت النتائج مأساوية، و سعى الفرنسيون إلى تغيير النسيج الاجتماعي للجزائريين بتغيير الألقاب و الطمس و التشويه، و محاولة إخضاعهم بسياسة الأرض المحروقة، و تطاولوا على الدين الإسلامي و الشخصية الجزائرية، و غيّروا البنية الاقتصادية فصادروا الممتلكات و الأراضي و أبادوا القرى و أحرقوا المحاصيل.

تراوحت ردود الجزائريين بين المطالبة بالحقوق باستخدام الطرق السلمية، و قاد هذا الاتجاه الأعيان و رجال الطرق الصوفية و العلماء، بينما جَنَحَ السواد الأعظم منهم إلى المقاومـــــــة

المسلحة في حدود ما توفَّر من وسائل و بحسب الظروف، و هناك من آثر الهجرة مُكْرَهًا، فمن الصعب على الإنسان أن يغادر وطنه دون رجعة بشكل طوعي، و كانت طريق الكثير دون رجعة مُتجرِّعين مرارة الغربة، و قد تركوا البلاد لمصيرها المحتوم، أما القلة من "أبناء الجزائر" ممّن أغرتهم الألقاب و أثقلت صدورهم النياشين و طمعوا في المناصب، فإنهم خدموا فرنسا مخلصين أكثر من الفرنسيين، وباعوا الدين و الوطن بأبخس الأثمان.

**الأوضاع السياســـــة:**

كانت رياح التغيير قد هبّت على فرنسا، فعصفت بنظام الملك لويس فيليب (1264-1264هـ/ 1830- 1848م) إثر ثورة سنة 1264هـ/1848م، و قامت على أنقاضه الجمهورية الثانية (1246- 1848/1268-1852م) ، فَزَعَمَ مُشَرِّعُو الدستور الجديد أن الجزائر أرض فرنسية و منحت للمستوطنين حقوقا لهم أوسع في المجالس الفرنسية و رفعت من نسبة تمثيلهم النيابي في البرلمان[1]، و أضحت لهم سطوة فأطلقوا أيديهم ليعيثوا فسادا في الجزائر، لكن النظام الجمهوري لم يدم طويلا إذ حلّ مكانه النظام الإمبراطوري (1268- 1287هـ/1852-1870م) بقيادة لويس نابليون ( الثالث)، و إذا كان الحكم قد تغيّر في فرنسا فإنه لم يكن كذلك بالنسبة للجزائر، فالنظام العسكري لا زال قائما بقيادة الحاكم العام يساعده قادة النواحي و الأقسام و ضباط و موظفون جزائريون خَلَعَت عليهم الإدارة الاستعمارية ألقاب الخليفة و الآغا و القايد و الشيخ، و استمر العمل بالمكاتب العربية في القرى و الدواوير.

و شهد عام 1275هـ/1858م التّخلي عن الحكم العسكري بإلغاء منصب الحاكم العام و أُنشِئَت وزارة الجزائر و المستعمرات التي اضطلع نابيلون الثالث بإنشائها، و أوكل تسييرها لابن عمه جيروم نابليون، لكنه استقال من منصبه بعد سنة من ذلك، ليخلفه شاسلوب لوبا الذي قَدِمَ إلى الجزائر لإرضاء المستوطنين، أما نابليون الثالث عندما قام بزيارة إلى الجزائر و وقــف

[1] ) Charle Robert Ageron, Histoire de l'Algérie Contemporaine, que sais je ?, 2éme Edition Dahlab, Alger (S.D), p 29.

بنفسه عل مدى الحيف و الفساد الذي ضرب أطنابه بسبب المستوطنين، أصدر مرسوما في 11 جمادى الأولى 1277هـ/25 نوفمبر 1860م بإلغاء وزارة الجزائر[1]، بعد تجربة قصيرة فاشلـــة.

و أعلن نابليون المساواة بين الجزائريين و الفرنسيين في رسالة وجهها إلى الجنرال بيليسيي مما جاء فيها :«... أن الجزائر ليست مُستعمَرة، و إنما مملكة عربية، و كما أنني إمبراطور للفرنسيين فأنا كذلك بالنسبة للعرب...»[2].

مَهَّدت هذه السياسة لظهور ما أُطلِق عليه قانون السناتوس كونسيلت Sénatus Consulte في 19 صفر 1282هـ/14 جويلية 1865 الذي اعتبر الجزائريين رعايا فرنسيين يخضعون من وجهة النظر الشخصية لأحكام الشرع الإسلامي، فإذا أرادوا الحصول على الجنسية الفرنسية، فما عليهم سوى التّخلي عن أحوالهم الشخصية، و لكن هذا القانون لم يَلْقَ صدى في أوساط الجزائريين فعلى مدار عقد من الزمن 1282 – 1292هـ/1865–1875م لم يتجنّس إلا 371 جزائريا من مجموع مليونين و نصف المليون من الجزائريين باعتراف الأقلام الفرنسية [3]، لكن بالمقابل رأينا يهود الجزائر حصلوا على التجنيس الجماعي بعد طلب تقدّم به النائب إيميل أوليفيي إلى مجلس الدولة الفرنسي، فتخلّصوا من صفة الرعايا و أضحوا

[1] ) Claude Bentemp, Manuel de l'institution Algérienne 1518- 1870, paris 1976, p 309.
[2] ) Ageron, Op Cit, pp 30-31.
[3] ) Ibid, p 32، أيضا: شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة المنجي سليم و آخرون، الدار التونسية للنشر، تونس 1976م، ص 47.

يتمتعون بالمواطنة الفرنسية بموجب المرسوم الذي أصدره وزير العدل حافظ الأختام و عضو لجنة الدفاع الوطني أدولف كريميو Adolph Crimieux في 28 رجب 1287هـ/ 24 أكتوبر 1870م إذ منحهم حقّ الانتخاب مع احتفاظهم الكامل بأحوالهم الشخصية، و استطاعت هذه الشِّرذمة أن تُشكّل بمرور الزمن قوة مرهوبة الجانب[1].

و نتيجة لتطورات الأوضاع في أوربا، و انكسار فرنسا في حربها أمام بروسيا التي كانت تُنَاشِد الوحدة سنة 1287هـ/1870م، فَقَدَ العسكريون الفرنسيون في الجزائر هيبتهم و انتهز المستوطنون الفُرصَة للمطالبة بالحكم المدني، فكان لهم ذلك في 16 ذو الحجة 1287 هـ/ 9 مارس 1871م و كَرَّس هذا الأمر نفوذا أوسَعَ للمستوطنين، و وصف البعض هذه الفترة بأنها مرحلة للاستيطان بامتياز[2].

و هكذا تراجعت تماما تلك السياسة التي كان يُنظِّر لها الإمبراطور نابليون الثالث و أشياعه و حلّت بدلا منها سياسة القهر و التسلّط[3].

و إذا أردنا أن نضرب مثلا سيئا لهذه السياسة، فعلينا أن نذكـــر قــانون الأنديجينا Code de L'indigénat وسعت من خلاله الإدارة الاستعمارية إلى اتباع سياسة الإخضاع إذ يقضي بتجريم الجزائريين و هم من لا ظِنَة، نصّ على 41 مخالفة و جنحة سنة 1298 هــ/

[1] ) جوليان، مرجع سابق، ص 47.

[2] ) Ageron, Op cit, pp 41-42.

[3] ) Ibid, p 61.

1881م و تحدّدت سنة 1307 هـ/ 1890 إلى 21 جنحة، ثم ارتفعت إلى 27 مخالفة بموجب قانون 2 رمضان 1315هـ/ 27 ديسمبر 1897 م[1]، فعلى الجزائريين وفق هذا القانون أن يلتزموا بالطاعة العمياء، و في حال عصيان الأوامر فالسجن و التغريم و مصادرة الأملاك أولى بهم، و يُعاقب أي شخص أو جماعة تتلفظ بعبارات مُشينة بحق فرنسا، أو التنقل دون الحصول على ترخيص أو إبداء عدم التعاون مع السلطات[2].

و شهد عام1302هـ/ 1884م ظهور نظام البلديات في الجزائر بعد المصادقة عليه في البرلمان الفرنسي، لكن لم يُسمَح للجزائريين بالمشاركة في الانتخابات البلدية، و تحجّج الفرنسيون بأعذار واهية [3] ، و دفعت هذه السياسة البغيضة الجزائريين إلى المطالبة بالرحمة و النظر في المظالم التي حاقت بهم، و من الطريف أن الفرنسيين أرسلوا الاستعماري الصميم جول فيري على رأس لجنة لتقصّي الأوضاع، فقدمت من باريس في 10 ذو القعدة 1309هـ/ 6 جوان1892م، و ضمت 18 نائبا برلمانيا، وصلت إلى الجزائر في الخامس عشر من ذات الشهر و استغرق عملها ما يقارب الشهرين من الزمن، فزارت 86 مدينة جزائرية لكنها خَلُصَت إلى تقرير مفاده أنّ الجزائريين أرادوا القول للفرنسيين « دَعُونا و شأننا »[4].

و منذ عام 1316هـ/1898م اتّجه الحكم الاستعماري في الجزائر إلى نوع من الاستقلال الذاتي، و أضحى ذلك أمرا واقعا بموجب قانون 26 رمضان 1318هـ/ 19 ديسمبر1900م.

---

[1] ) Ageron, Op cit, pp 60-62.

[2] ) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر ( د، ت، ط)، ص 322.

[3] ) جوليان، المرجع السابق، ص ص 47-48.

[4] ) Revue Historique Moderne et Contemporain, Paris ( Avril- Juin 1963) , pp 127-134.

و سلّط الفرنسيون المزيد من العقوبات على الجزائريين سنة 1320هـ/1902م في أعقاب ثورة عين التركي التي قادها يعقوب بن الحاج في نواحي مليانة سنة 1319م/1901م فَأَنْشُأت المحاكم الرادعة و قُضِيَ بالنفي و الطرد و السجن و التغريم و غلق المقاهي و منع التجمعات، و يختص بهذه الأحكام الحاكم العام و مساعديه دون أن يكون للمحكومين الحق في الاستئناف[1]، و ظلّت الأحكام غير قابلة للاستئناف إلى غاية 1332هـ/ 1914م.

و دفعت تطورات الأوضاع في أوربا و انعكاساتها في شمال إفريقيا إلى المزيد من الإجراءات الفرنسية، فالتكالب الأوربي على المغرب الأقصى و مسألة توسيع الحدود الفرنسية على حسابها ، و المؤامرات الأوربية في مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1324 هـ/ 1906م لتقسيم المغرب ، و اندلاع أزمة أغادير بين ألمانيا و فرنسا التي كادت أن تُعَجِّل بوقوع حرب أوربية، كل ذلك دفع الفرنسيين لإعلان قانون التجنيد الإجباري في 24 صفر 1330هـ/ 13 فيفري 1912م، وولّد صدوره استياءً لدى السواد الأعظم من الجزائريين[2]، و إن كان قلة منهم قد طالبوا بإعـــادة النظر في بعض بنوده داعين إلى المســـاواة مع الفرنسيين و إلغـاء قانـــون

[1] ) يُمكِن الاطلاع على موقف الشيخ المجاوي من إنشاء المحاكم الرادعة في الفصل الثاني من الأطروحة، ص 81.

[2] ) الشريف بن حبيلس، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، ترجمة عبد الله حمادي و آخرون، دار بهاء الدين للنشر قسنطينة 2009م، ص 100.

- نذكر ممّن كانت لهم مواقف مُشَرِّفة صرّحوا بها جهرة أمام الفرنسيين الشيخ عبد الحليم بن سماية، و موقفه جدير بالدراسة والتنويه.

الأهالي في عريضة قدّموها إلى الرئيس الفرنسي ريمون بوانكاريه (1331- 1338هـ/ 1912-1920م) مؤرَّخة في 11 رجب 1320هـ/ 26 جوان 1912م[1]، و اكتفى بوانكاريه بوعده منح تعويضات للجزائريين مقابل أداء الخدمة العسكرية القسرية [2].

دفعت السياسات الفرنسية المُتَعاقبة الجزائريين إلى ردود أفعال مختلفة تحوّلت إلى انتفاضات شعبية منذ سنة 1264هـ/1848م، فالتغيير الذي عرفته فرنسا جعل قادة المقاومة يناشدونه في الجزائر على حدّ تعبير بعضهم[3]، كلّما سنحت الفرصة، و هكذا اندلعت سلسلة من الثورات أبرزها ثورة الزعاطشة بقيادة الشيخ بوزيان 1264-1265هـ/ 1848-1849م و ثورة الشيخ بوبغلة ما بين 1267-1273هـ/1851-1857م، و الأغواط سنة 1268هـ/1852م، و الأوراس و تقرت 1268-1270هـ/1852-1854م و أولاد سيدي الشيخ 1280-1285هـ/1864-1869م و بني سناسن على الحدود المغربية سنة 1275-1859م و بوعمامة 1298-1322هـ/1881-1904م، و كانت امتداد لمقاومة أولاد سيدي الشيخ في الجنوب الغربي و استمرت حتى سنة 1322هـ/1904م بشكل متقطع[4]، و ثورة المقراني و الشيخ الحداد سنة 1287هـ/1871م [5].

---

[1] ) Claude Collot et Jean Robert Henry, Le Mouvement National Algérien, Textes 1912-1954, L'Harmattan, Paris 1981, p 24.

[2] ) جوليان، المرجع السابق، ص ص 49-50.

[3] ) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين، الجزء الأول، الطبعة الثانية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر،1996م، ص 86.

[4] ) نفسه، ص 288، أيضا: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992م، ص 84.

[5] ) المدني، هذه هي الجزائر، ص 154.

و الملاحظ أن معظم الثورات قادها شيوخ الزوايا و الطرق الصوفية من المتمسِّكين بالدين، و للتقليل من شأن تلك الانتفاضات حاول بعض الفرنسيين المتعصِّبين تحريف دورها من أنها لم تكن من الدين في شيء بل من أجل مآرب شخصية لرجال الطرق الصوفية [1].

و أوقف الجزائريون التوسع الفرنسي في الصحراء بفضل مقاومة الطوارق التي قضت على حملات فلاتيرس سنة 1298هـ/1881م و دولس عام 1306هـ/1889م و موريس سنة 1312هـ/ 1895م، و لم يجرؤ الفرنسيون على وُلُوجِها إلا مع مطلع القرن 14هـ/20م، كما لم تهدأ المقاومة في عين التركي بقيادة يعقوب بن الحاج سنة 1318هـ/1901م، و عين بسام عام 1324هـ/1906م التي استهدفت مقرات الدرك، و امتدت إلى القرى المجاورة، فكان الانتقام الفرنسي من الشعب زُلْفَى و أشتاتا بإصدار مراسيم عقابية بالسجن و التغريم و المصادرة و فضّ التّجمعات بالقوة و إغلاق المقاهي [2].

و لنا أن نورد موقفا مشرفا للشيخ محمد المقراني باش آغا مجانة في أعقاب الإعلان عن قيام النظام المدني سنة 1296هـ/1870م الذي كرَّس سطوة المستوطنين و اليهود، إذ تخلّى عن منصبه و وسام الشرف الذي سلّمه له الفرنسيون، و أعلن جَهْرَةً «... إنني أُفَضِّلُ الموت على أيدي الجنود على أن أقبل الخضوع لليهود...»[3].

---

[1] ) Louis Rinn, Marabouts et Khouan, Adolph Jordane Librairie Editeur, Alger 1884, p 113.

[2] ) سعد الله، المرجع السابق، ص 116.

[3] ) Revue des deux Monde, XIIIe Année, Seconde période, TOME Cent Huitième (1er Novembre 1873), Imprimerie J.Claye, Paris 1873, p 627.

إنّ الانتفاضات المسلحة التي عرفتها الجزائر كانت ردود فعل واضحة من الجزائريين الرافضة للسياسات الفرنسية الظالمة التي كادت تحصي على الناس أنفاسهم، مُستَغِلَّةً تطورات الأحداث على الصعيدين الوطني و الإقليمي فاتّسمت بطابع التزامن و الاستمرارية، لكنها افتقدت للتلاحم و التنسيق، و لم تنته من وجهة النظر العملية إلا مع مطلع الحرب العالمية الأولى، وأعقبها نشاط سياسي كان لا يزال يخطو وئيدا بسبب قانون الأهالي البغيض، فظهر تياران أُطلِق على الأول اجتهادا " المحافظون " مثّله العلماء و شيوخ الطرقية و الإقطاعيون إذ لم يكن لهم تنظيم معين، فدعوا إلى المساواة بين الجزائريين و الفرنسيين في التمثيل النيابي و الضرائب، و عارض بعضهم التجنيس و التجنيد الإجباري، مطالبين بالعمل وفق القضاء الإسلامي و نادوا بالجامعة الإسلامية التي تولى أمرها السلطان العثماني عبد الحميد الثاني [1] و من أبرز زعماء هذا التيار الشيخ عبد القادر المجاوي، و العلامة عبد الحليم بن سماية(1282-1351هـ/1866-1933م) و الأستاذ محمد السعيد بن زكري (1267-1332هـ/1851-1914م) و محمد المولود بن الموهوب ( 1282-1358هـ/1866-1939م)، و الشيخ حمدان الونيسي ( 1272-1338هـ/1856- 1920م).

أما التيار الثاني فمثّله جماعة النخبة، و هم المُتَخرِّجون من المدارس و المعاهد الفرنسية نشطوا في تقديم العرائض و دعوا إلى إلغاء قانون الأهالي و إلى المساواة في الحقوق السياسية مع الفرنسيين و التمثيل النيابي و الاندماج والمطالبة بالحصول على الجنسية الفرنسية[2] و كان على رأس هؤلاء الدكتور محمود بن التهامي، و شكّل هذا الحراك مقدمة لظهور أحزاب

[1] ) سعد الله، مرجع سابق، ص 160.
[2] ) نفسه، ص 177.

سياسية جزائرية منذ سنة 1330هـ/1912م[1]، ثم أضحت أكثر نشاطا في أعقاب الحرب العالمية الأولى، و اشتهر أمر هؤلاء بتوقيعهم لعريضة قدّموها إلى الرئاسة الفرنسية يطالبون فيها بتخفيف مدة التجنيد الإجباري إلى سنتين بدلا من ثلاث أسوة بالفرنسيين، و بتخفيض سنّ التجنيد من ثمانية عشرة سنة إلى عشرين سنة و بإلغاء مكافأة التجنيد و قانون الأهالي[2] المُسلَّط على الرقاب.

**الأوضاع الاجتمـــــاعية:**

كانت سياسة الأرض المحروقة التي طبّقها بيجو ( 1257- 1263هـ/1841-1847م) لا تزال ماثلة للعيان، فقد أعقبتها مَسْغَبَة و جذب و قحط و جراد و هلاك الأنعام سنة 1849/1265م كما تشير المصادر الفرنسية[3]، و تعرّض الجزائريون لمعاملات وحشية وُصفت بأنّها « ... من البربرية بمكان لا يَقِلُّ عن طريقة الأمريكيين الأولين مع قبائل الجلود الحمراء..»[4]، و حاول الاستعمار التفريق بين العرب و الأمازيغ فأخذ علماؤه يُعِدُّون الدراسات بتكوين الأصل الأمازيغي، فأسّسوا في المغرب معهدا للبحوث العليا المغربية للدراسات البربرية و ألّف طبيبان في تونس كتابا في مقاييس جماجم البربر و سِماتِهم العرقية و قارنوها بجماجم الغاليين[5]، و حاولوا إقناعهم بأنهم من سلالات أوروبية، و استمرارا في هذه السياسة أشار أحد المختصّين في شؤون الأمازيغ و يُدْعَى فيكتور بيكي قائلا:« ...إنّ العالم المختص في أمور

---

[1] ) Collot et Henry, Op cit, pp 23-24.
[2]) I bid, p 24.
[3] ) المبشر، عدد 63، ( 03 جمادي الثانية 1266هـ/15 أفريل 1850م).
[4] ) لوثروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، تعليق وحواشي شكيب أرسلان، المطبعة السلفية، القاهرة (د. ت. ط )، ص 335.
[5] ) عمار طالبي، آثار ابن باديس، المجلد الأول، الشركة الجزائرية، الطبعة الثالثة، الجزائر 1997م، ص 51.

البربر المسيو دوتيه الذي جال بين قبائل البربر، و نوّه بمحاسن و سجايا هذا الشعب البربري و قال إنّ به مناط الآمال في إفريقيا، إنه شعب يظهر عليه الميل من نفسه إلى المدنية الفرنسية...»[1].

و كمحاولة من الفرنسيين لإخفاء سياستها المتسلطة تجاه الجزائريين و الظهور بوجه المُشفِق عليهم، دعى نابليون الثالث إلى " احترام " حقوق الجزائريين الذي كان يصفهم بالأهالي، و نظّر لسياستـــه تلك زمـرة من القادة السياسيين و العسكريـــن و على رأس هؤلاء توماس إيربان المعروف بإسماعيل عربان Thomas Ismail Urbain مستشار الحكومة حين أشعر الإمبراطور نابليون الثالث بخطر سياسة الاستيطان مُعْتَبِرًا أنّ الجزائريين هم مواطنون فرنسيون و من حقّهم الاحتفاظ بنظامهم الاجتماعي تحت شعار « سياسة تمدين الجزائريين »[2]، لكن هذه السياسة لم يكن الهدف من ورائها فيما يبدو إلا تهدئة الجزائريين الذين غالبا ما يثورون ضد السياسات الظالمة التي ارتكبها العسكريون و المستوطنون على حد سواء.

و حدثت المجاعة العظيمة بين سنتي 1238- 1285هـ/1867- 1869م و انتشرت الجوائح و الجفاف و غزو الجراد، و الأمراض كالتيفوئيد و الكوليرا، و «هلك خلق من الناس»[3]، قُدِّر عددهم حسب المصادر الفرنسية بنحو مائتين وخمسين ألف من الجزائريين[4]

---

[1] ) ستودارد، المرجع السابق، ص 108.

[2] ) Ageron, Op cit, p 30.

[3] ) محمد الصالح بن العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق و تقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1974م، ص ص 54- 55.

[4]) L'Abbé Burzet, Histoire des Désastres de l'Algérie 1966-1867-1868, Imprimerie Central Algérienne, Alger 1869, p 65.

و استغلّ الفرنسيون الفرصة فراحوا تحت مظلة المجاعة يبشرون للمسيحية، و أوكلت مهمة تنفيذ هذا المشروع لأسقف الجزائر الكاردينال لافيجري الذي أنشأ جمعية الآباء البيض التي طافت أنحاء المناطق التي فتكت بها المجاعة و الجوائح، حاملين الصليب في أيمانهم و الخبز و الدواء في شمائلهم، فجمعوا الأيتام و الثكالى و حشدوهم في مراكز لعزلهم تمهيدا لسلخهم عن دينهم و أنشأت مراكز لنشر المسيحية في الحراش و بوزريعة بالعاصمة و بطيوة قرب أرزيو بوهران[1].

و كنتيجة للسياسات الفرنسية الوحشية تراجع عدد سكان الجزائر من مليونين و نصف المليون سنـــة 1268هـ/1852م إلى مليونين و أربعمائـــة ألف جزائري سنة 1293هـ/1876م و لم يكن إعلان النظام المدني في 6 ذو الحجة 1286هـ/9 مارس 1870م بأحسن بالنسبة للجزائريين، إذ كان بداية لمزيد من الإجراءات القمعية بحقهم، فظهر قانون الأهالي المشار إليه سابقا، و إنما نورد بعض بنوده في شقه الاجتماعي، فمن بين المخالفات التي يعاقب عليها القانون الفرنسي هي السكن خارج القرية أو التنقل دون إذن خاص، أو حلول الجزائري خارج مدينته و عدم تسجيل اسمه عند مركز الشرطة خلال 24 ساعة من موعد وصوله، أو إقامة الولائم دون إذن من السلطة[2]، و يشير أحد المؤرخين الفرنسيين إلى هذه القوانين بأنها « تشبه إلى حد بعيد القوانين التي كانت تطبق على الزنوج في جزر الأنتيل »[3].

و في المقابل قامت الإمبراطورية الثانية بعمليات تهجير واسعة لسكان الألزاس و اللورين نحو الجزائر في أعقاب الحرب البروسية الفرنسية، فخلال الفترة الممتدة ما بين 1287-

[1] ) المدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م، ص 62.
[2] ) المدني، هذه هي الجزائر، ص 325.
[3] ) Ageron, Op cit, p 61.

1299هـ/1871–1882م هُجِّر نحو 347268 مستوطنا، و حصلوا على امتيازات عريضة لم يكونوا ليحلموا بها في مقاطعاتهم بأوربا، و استمر التدفق الاستيطاني خاصة من الأسبان و المالطيين حتى سنة 1317هـ/1900م، و بنيت لهؤلاء 126 قرية استيطانية [1].

و كان ظهور قانون الحالة المدنية في 3 جمادي الأولى 1299هـ/23 مارس 1882م على عهد الوالي العام لويس تيرمان (1298–1308هـ/1881–1891م) هو الأخطر على النسيج الاجتماعي للجزائريين فقد سعـــى المشرفون على المكاتب العربية إلى فرنسة أسماء المدن و القرى و تغيير الألقاب لقطع الوشائج بين الماضي و الحاضر و فصل الشعب الجزائري عن أصوله و تغييب و طمس أنسابه و جذوره، و تأثر المجتمع في المدن الكبرى بالسياسات الفرنسية المتعاقبة، و ذكر شاهد عيان زار الجزائر في تلك الفترة الحالكة بفساد الأخلاق و انتشار الرشوة و الحانات و سوء الطباع[2]، و هو ما يجعلنا أمام واقع اجتماعي أليم، و مع ذلك نرى جول فيري يعلن أنه من واجب فرنسا تحضير الأجناس المتخلفة ! و كان ذلك بادرة لمشروع فرنسي واسع النطاق شمل الجزائر و مدغشقر و تونس و بلاد السودان و النيجر و تشاد و الهند الصينية، و اتضح جليا بعد عقود طويلة من الاستعمار من هو الطرف المتدني و الفاسد أخلاقيا، الذي يحتاج إلى دروس تاريخية في التربية و الأخلاق البشرية؟

إن ما ارتكبه الفرنسيون بحق الجزائريين دفع بالكثير من الناس بالفرار من " الكفار " فالتجؤوا في بداية الأمر إلى البوادي و القفار، ثم اضطروا مكرهين إلى الهجرة ، فقد هاجرت

[1] ) Ageron, Op cit, pp 43- 49.

[2] ) محمد بيرم الخامس التونسي، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، الجزء الرابع، دار صادر، بيروت 1885م، ص 15.

عشرات العائلات من زواوة إلى سوريا عندما أبدى الفرنسيون نوايا توسعية في بلاد القبائل سنة 1263هـ/1847م [1] ، و تحدث البعض عن تأثير الأمير عبد القادر الجزائري في الهجرة الجزائرية شطر بلاد الشام سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، فالاستقرار بدمشق شجـــع الكثير من الجزائريين إلى الذهاب إليها رغم قلة الحيلة و الوسيلة، إذ تمكن الأمير من حل مشاكل الكثير منهم بماله الخاص[2].

و الواقع أن الهجرة الجزائرية عموما تفاقمت في الفترة الممتدة ما بين 1271– 1276هـ/1856– 1860م عن طريق الرسائل المتبادلة بين المهاجرين و معارفهم، و اشتد أُوَارُها منذ1283هـ/1867 إثر الجوائح التي اجتاحت البلاد و أدت إلى انتشار المجاعة و الأمراض[3]، أما المصادر الفرنسية فأرجعت الأمر إلى شيوخ الطرق الصوفية بزعمها أنهم كانوا وراء هجرة الكثير من السكان نحو المشرق، و هو ما أدى إلى تراجع عدد سكان الجزائر[4] !، إن هذا التحليل المضحك أغفل تماما أن الاستعمار و سياساته التعسفية هـــو العامل الأساس و المؤثر في حركة الهجرة.

و اشتهرت هجرات أخرى كهجرة سنة 1305هـ/1888م و 1310هـ/1893م من بلاد القبائل[5]، و هجرة سنة 1310هـ/1893م شطر الحجاز، و قدرت أعداد المهاجرين بالمئات[6] و نزحت عشرات العائلات إلى الأصقاع المجاورة أواخر القرن14هـ/19م مثل تونس و المغرب

---

[1] ) Octave Depont, Xavier Coppolani, Les Confréries Religieuse Musulmanes, Librairie Adolph Jordane, Alger 1897, p 260.

[2] ) عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847- 1918م، دار هومة، الجزائر 2012م، ص ص 24-25.

[3] ) نفسه، ص ص 16 و 27.

[4] ) Depont et Coppolani, Op cit, p 269.

[5] ) هلال، المرجع سابق، ص ص 28-29.

[6] ) نفسه، ص 53.

الأقصى و طرابلس الغرب[1]، أما فـــي أوائـــل القرن العشرين فاشتهرت هجـــرة الجزائريين نحو فرنسا سنة 1328هـ/1910م لتحسين أوضاعهم المعيشية[2]، و هجرة أهالي تلمسان إلى المشرق سنة 1329هـ/1911م رفضا لقانون التجنيد الإجباري الذي سنته السلطات الفرنسيـــة و أحدث ضجة في أوساط الجزائريين من المثقفين و العامة، و قُدِّر عدد أولئك المهاجرين ثمانمائة شخصا رفضا للخدمة تحت راية الكفار[3].

**أوضاع الديانة و الثقافة الإسلامية:**

بعد مضي نحو عقدين من الزمن على الاستعمار الفرنسي للجزائر تناقص عدد المدارس العربية بشكل رهيب، إذ سعت الإدارة الفرنسية إلى القضاء عليها و مصادرة أملاك الأوقاف التي مثلت الرئة التي تتنفس بها المدارس و أرغمت الجزائريين على دفع الضرائب لقاء ما يتعلمونه[4].

و رفض المستوطنون رفضا قاطعا مسألة تعليم الجزائريين و لو كان التعليم فرنسيا، لأن ذلك يُعدُّ في نظرهم أمرا لا يجب أن يحدث[5]، لكن الدوائر الرسمية الفرنسية كان لها رأي آخر فقد أعلن وزير الحربية الفرنسي أن نشر التعليم بين الجزائريين يجب أن يتم لكن بحذر

---

[1] ) هلال، مرجع سابق، ص 18 ( هاجرت عائلة المجاوي إلى المغرب الأقصى على سبيل المثال لا الحصر في أربعينيات القرن 14هـ/19م بشكل طوعي، و كذلك كان الأمر بالنسبة لعشرات العائلات التي لا تزال آثارها في المغرب الأقصى شاهدة حتى اليوم).

[2] ) Ageron, Op cit, p 55.

- نذكر أيضا هجرة بعض سكان منطقة القبائل إلى فرنسا 1330هـ/1912م، و قُدِّر عددهم بخمسة آلاف مهاجرا ينظر:

- جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، ص 127.

[3] ) نفسه، ص 59.

[4] ) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثالث، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت 1992م، ص 22 و ما بعدها.

[5] ) Ageron, Op cit, p 63.

و ضمن أُطر ضيقة، لأن الجهل الأعمى خلّف نوعا من الكراهية تجاه الفرنسيين[1]، و ظهـــر ذلك واضحا من خلال ردود الأفعال العنيفة المتمثلة في المقاومة المسلحة، و قاد الأمر الفرنسيين إلى السعي من أجل تكوين نخبة مندمجة مع فرنسا قلبا و قالبا[2]، فشرعوا في تطبيقها على أرض الواقع بإصدار مرسوم 5 رمضان 1266هـ/ 15 جويلية 1850م يقضي بإنشاء مدارس الجزائر الثلاث تخضع لوزارة الحربية لتعليم اللغتين العربية و الفرنسية و تدرس القراءة و الكتابة و الحساب و الأكيال و الموازين و يقوم بتدريسها شيخان أحدهما فرنسي يحصل على راتب قدره 1200 فرنكا، و الآخر جزائري يحصل على 600 فرنكا، و تخصص مدارس للبنات لتدريس اللغتين معا إضافة إلى الحساب و الحياكة و تنال المعلمة الفرنسية مرتبا قدره ألف فرنكا أما الجزائرية فلها 500 فرنكا، كما نص المرسوم على استحداث مدارس عليا في الجزائر و وهران و قسنطينة و هي مراقبة كون «... جميع المدارس بأسرها تكون على يد البريفي، و أنه يخبر سعادة الوالي العام بكيفية أحوالها في كل ثلاثة أشهر ليخبر حضرة وزير الحرب بترتيب السيرة في ذلك »[3]، و يختار وزير الحرب أيضا الكتب و المناهج التي يجب أن تُلقّن في هذه المدارس.

[1] ) Gustave Bonnoit, De l'instruction et de L'éducation des Indigènes dans la Province de Constantine, Librairie Hachette, Paris 1886, p 27.
[2] ) Bentemp, Op cit, p 512.
[3] ) المبشر، السنة الثالثة، عدد 71 ( 7 شوال 1266هـ/ 15 أوت 1850م).

و صدر مرسوم متمم في 23 ذو القعدة 1266هـ/30 سبتمبر 1850م يتضمن إنشاء مدارس ثلاث للعلوم العقلية كالنحو و الفقه و التوحيد في المدية و تلمسان و قسنطينة لتخريج القضاة و المفاتي، و أجرة المعلم 1100 فرنكا في كل سنة، و يتولى وزير الحرب تعيين المديرين[1].

و لذلك لا تستغرب عندما رأينا تولي المستشرق أوغست شيربونو مدرس العربية منصب مدير المدرسة العربية بقسنطينة[2]، و قد كان أحد عيون فرنسا على أساتذة و تلاميذ المدرسة

و اتضح جليا أن الغرض من إنشائها هو امتصاص التعليم المسجدي، و تحويل الأنظار إلى المدارس الرسمية[3].

و إذا كان حال الجزائريين هكذا، فإنه لم يكن كذلك عند المستوطنين فهو إجباري لديهم و متابع بجدية و مجاني و منظم بقوانين صدرت تباعا، و جرى ربط تعليمهم بذات النظام التعليمي المطبق في فرنسا بموجب القانون الصادر في 18 رجب 1298هـ /16 جوان 1881م القاضي بمجانيته، و قانون 8 جمادى الأولى 1299هـ/28 مارس 1882م المتعلق بإجباريته للأوربيين، أما الجزائريين فلا يكون إجباريا عليهم إلا حين صدور أمر من الوالي العام[4] و إمعانا من الفرنسيين في التضييق على التعليم الإسلامي، أصدروا مرسوما في 26 ربيع الأول 1310هـ/ 18 أكتوبر 1892م، بمنع تشييد مدارس عربية إلا باستصدار رخصة من

[1] ) المبشر، السنة الثالثة، عدد 77 ( 11 محرم 1267هـ/ 15 أكتوبر 1850 ).
[2] ) نفس المصدر، عدد 85 ( 14 جمادي الأول 1267هـ/16 مارس 1851م ).
[3] ) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثالث، ص 127.
[4] ) المدني، كتاب الجزائر، ص ص 294- 297.

السلطات، و كانت النتائج وخيمة على طلبة العلم، ففي إحدى التقارير الفرنسية المقدمة أمام مجلس الشيوخ بتاريخ 26 رجب 1311 هـ/ 2 فيفري 1894م، ورد ما يلي«... كان التعليم يشمل في أرض الجزائر جما غفيرا من الناس المتعطشين للعلم و المعرفة يجلسون حول شيوخ علماء محترمين لا يتلقون عنهم علوم الشريعة و قوانينها فحسب، بل يتلقون أيضا علوم الرياضيات و الأدب و الهيئة، فكان نتيجة انتصار أسلحتنا أن تفرق الشيوخ و الطلبة...»[1].

و عبّر الشيخ عبد الحميد بن باديس عن تلك الفترة الحالكة من تاريخنا الوطني و كان شاهدا عيانا «... هذا القطر قريبا من الفناء، بل كان في اضطراب مستمر، كان أبناؤنا يومئذ لا يذهبون إلا للمدارس الأجنبية التي لا تعطيهم غالبا من العلم إلا ذلك الفتات...حتى إذا خرجوا منها خرجوا جاهلين دينهم و لغتهم و قوميتهم، و قد ينكرونها...»[2].

و يوافق هذا الرأي، رأي المفكر المصري محمد فريد ( 1284- 1337هـ/1868-1919م) الذي زار الجزائر سنة 1318هـ/1901م و تأسف لحال التعليم الإسلامي و أشار أنه « لو استمر الحال على هذا المنوال لحلت الفرنسية في جميع المعاملات، بل ربما تندرس العربية بالمرة مع مضي الزمن ...هُجرت ربوع العلم و خُربت دور الكتب، و صارت الديار مرتعا للجهل و الجهلاء...»[3].

[1] ) المدني، المصدر السابق، ص 300.
[2] ) البصائر، السنة الرابعة، عدد 171 (4 جمادى الأولى 1358هـ/ 22 جوان 1939م).
[3] ) أنور الجندي، الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة 1965م، ص 133 نقلا عن جريدة اللواء (17 أكتوبر 1901م).

و لم يكن وضع الدين الإسلامي بأفضل حال، فالميزانية التي خصصها الفرنسيون له هي الأضعف على الإطلاق[1]، رغم أن الجزائريين يشكلون الغالبية المطلقة، بينما استأثرت الديانة المسيحية بالنصيب الأوفر، و لم تكن الديانة اليهودية بأقل شأنا[2]، و اتضح أن الخاسر الأكبر هم المسلمون.

و شهدت هذه المرحلة صدور عدة قوانين بشأن الديانة الإسلامية، منها قرار لتنظيم الدين الإسلامي في الجزائر و مراقبة نشاط المساجد[3]، و كان ذلك مقدمة لظهور قانون 1 صفر 1273هـ/ 1 أكتوبر 1856م الذي جعل من القاضي المسلم مجرد منفذ للأحكام القضائية الفرنسية لا غير، و مرسوم 30 جمادى الأولى 1290هـ/ 26 جويلية 1873م الذي حدّ من صلاحيات القضاة المسلمين، و أعلن الأميرال دو قيدون De Gueydon الحاكم العام (1288–1290هـ/1871–1873م) جهرة بأنه « لا وجود للقاضي المسلم أمام القاضي الفرنسي إننا لنحن الغالبـون »[4]، و في 11 جمادى الثانية 1288هـ/ 28 أوت 1871م أُلغيت المحاكم الإسلامية في بلاد القبائل، و أضحى العُرف و العادات الأهلية هي السائدة[5]، كما تم إلغاء المجلس الأعلى للقضاء الإسلامي عام 1292هـ/ 1875م، و جرى تحديد المحاكم الإسلامية من 184 محكمة في السنة المذكورة إلى 61 محكمة فقط عام 1308هـ/ 1890م[6]،

[1] ) Rinn, Marabouts et khouan, p13.
[2] ) Ageron, Les Algériens Musulman et la France 1871- 1919, Tome 1er, presse universitaires de France, Paris 1968, p 314.
[3] ) Bontemps, Op cit, p 501.
[4] ) Ageron, Histoire de l'Algérie Contemporaine, p 61.
[5] ) Ibid, p 62.
[6] ) Ibid.

و يروي أحد الشهود العيان زار الجزائر سنة 1295هـ/1878م أن الفرنسيين عينوا قضاة من أراذل القوم ومن الأهالي غير الثقاة لا يتقون الرشوة ويشربون الخمر[1]، و ظلت القوانين تتداعى فصدر قانون 8 شوال 1306هـ/ 7 جوان 1889م المنقح بقرار1 صفر 1310هـ/25 ماي 1892م يجرد القضاة المسلمين من كل سلطة، و أصبح نظرهم لا يشمل إلا أحكام الزواج و المواريث و تنفيذ أوامر قضاة الصلح الفرنسيين، و خلفت هذه القوانين حالة من الاستياء في أوساط الجزائريين إذ لم تُراعَ خصوصياتهم، و منحت الفرنسيين حق التدخل في شؤون إسلامية لا يفقهونها[2]، و تميزت السياسة الاستعمارية القضائية بطابع الاستمرارية مع مطلع قرن 14هـ/20م ، و من مظاهرها إنشاء المحاكم القمعية و محاكم الجنايات التي تختص بمحاكمة الجزائريين وحدهم دون استئناف للأحكام، ثم استحدث العمل بحق الاستئناف لكن جعل الفرنسيون الوصول إليه أمرا مُتعذَّرا، و هكذا حطم الاستعمار القضاء الشرعي الإسلامي، و لم يبق منه إلا صورة مشوهة، و كان ذلك نكبة أضيفت إلى سلسلة النكبات التي حاقت بالبلاد[3].

و لم يكتف الفرنسيون بهذه الإجراءات بل سعوا حثيثا لمصادرة جميع أملاك المسلمين الجزائريين فأقرّوا قانونا سنة 1319هـ/1901م يضبط كافة الأوقاف الإسلامية التي تقوم بحياة

[1] ) بيرم، صفوة الاعتبار...، ص 18.
[2] ) الشهاب، المجلد الأول، الجزء الثاني، أفريل 1937م.
[3] ) المدني، هذه هي الجزائر، ص ص 138- 139.

المساجد و رجال الدين و القضاء الإسلامي، فتم ضمها إلى أملاك الدولة الفرنسية، و لم تبق في الجزائر من أوقاف عامة إسلامية إلا في بلاد ميزاب التي كانت تتمتع بنظام خاص[1].

و مما تجدر الإشارة إليه إصدار الفرنسيين لأوامر بمنع الحج على الجزائريين منذ سنة 1264هـ/ 1848م (الجمهورية الثانية) رغم علمهم يقينا بأنه ركن من أركان الإسلام و أوصدوا الأبواب في وجوههم، و اشترطوا عليهم الحصول على رخصة من الولاية العامة وغالبا ما تحجّجوا بالوباء المتفشي في الحجاز كالطاعون و الكوليرا و غيرها من الأسقام التي لا أصل لها في الواقع، إلا أن هذه الأعذار بدت واهية في نظر الكثير من الجزائريين الذين علموا أن هذا الإجراء ما هو إلا حالة من الحصار المفروض عليهم لِئَلَّا يتصلوا بإخوانهم المسلمين في المشرق.

و اعترف الأميرال دو قيدون منذ سنة 1288 هـ/1871م بأنه لن يسمح للحجاج بالذهاب إلى مكة لأن ذلك يؤثر على طباعهم فيعودون من هناك و قد أُشرِبوا كره الفرنسيين[2]، و ظل الوضع كذلك حتى تولّى ألفرد شانزي Alfred Chanzy شؤون الولاية العامة(1290–1296هـ 1873– 1879م)، فسمح لعدد قليل من الجزائريين بالحج[3] ممن رضي لهم قولا و عملا و استمر الحظر بصدور منشور سنة 1298هـ/1881م منع على الحجاج الجزائريين الاتصال بالطرق الصوفية التي جهرت بعدائها لفرنسا، و تكرر ذلك سنة 1326هـ/ 1908م على عهد

[1] ) المدني، كتاب الجزائر، ص 65.

[2] ) Ageron, Les Algériens Musulmans…, p 298-301.

[3] ) Ibid, p 310.

الوالي شارل جونار (1321- 1329هـ/1903-1911م) بسبب ما شهدته بلاد المشرق من أحداث و تداعيات سياسية.

لم يكن الجزائريون في معزل عن الأحداث و التطورات الثقافية، فقد عبّرت ردود أفعالهم عن الرغبة في التغيير بما توفر لديهم من وسائل، فظهرت الجمعيات و النوادي مع مطلع العقد التاسع من القرن 13هـ/19م نذكر منها الجمعية التوفيقية و الهلال و الرشيدية، و نادي الشباب الجزائري و الاتحاد و صالح باي و كانت تقوم بعقد الاجتماعات و تنظيم المحاضرات، و تُعَدُّ ملتقى للمثقفين و المهتمين بالفكر، دعت إلى النهوض بالثقافة الجزائرية و الإصلاح الاجتماعي و العمل الخيري، و ركزت على التعليم و المساهمة في يقظة الجزائر الثقافية، و كثيرا ما أصدرت نشرات للتعريف بنشاطاتها باللغتين العربية و الفرنسية، كما نظمت محاضرات و دعت الأساتذة و العلماء للمشاركة بها[1]، لكن القائمين عليها لم يجرؤو على انتقاد الإدارة الفرنسية رغم أنها سبب تخلف الثقافة الوطنية.

كما سعى الجزائريون إلى تأسيس صحافة وطنية تعبّر عن آرائهم بشيء من التحفظ لئلا يثيروا غضب الفرنسيين، فظهرت مع مطلع القرن 14هـ/20م صحف قليلة، لكنها مؤثرة اتخذت من الجزائر و وهران و قسنطينة مراكز لها شجع على ظهورها المطابع العربية، فعبّر الجزائريون عن آرائهم و مواقفهم بعيدا عن الانتقاد الصريح، و ممن كتب في تلك الصحف[2]

[1] ) سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص ص 137-140.
[2] ) هي محل بعض التفصيل في متن الفصل الثالث من هذه الأطروحة (مقالات صحفية ص ص 186- 187).

موظفون رسميون و أساتذة و قضاة تشبعوا بالثقافة العربية الإسلامية، منهم من خدموا الإدارة الفرنسية بإخلاص كبير و لم يبدو نحوها العداوة و البغضاء.

و تجدر الإشارة إلى تأثير صحف المشرق على الساحة الثقافية الجزائرية و نعني بذلك صحيفة المنار لسان حال فكر الشيخ محمد عبده (1265-1323هـ/1849-1905م) و تلميذه محمد رشيد رضا (1282-1354هـ/1865-1935م) ، فقد كانت تصل أعدادها إلى الجزائر و تأثر بها الأساتذة و العلماء و الموظفون الرسميون، و اعتبرها بعضهم « مدد الحياة .. فإذا انقطع انقطعت الحياة عنا »[1]، و ظهر مَنْ تأثر بالشيخ عبده و ربط معه صِلات قوية و حصلت بينهم و بينه مراسلات نشرت المنار بعضها بشكل مقتضب[2].

و تعدّى نشاط الجزائريين حدود بلدهم الموبوء بالاستعمار، فالكثير آثر الهجرة طلبا للعلم في المعاهد الإسلامية كالزيتونة و الأزهر و القرويين، و اختار بعضهم العودة إلى الجزائر من بوابة التعليم الحرّ أو الرسمي، بينما آثر آخرون الاستقرار في بلاد المشرق و المغرب، و قد تحدّث أحدهم عن صحيفة أصدرها جزائريون في الشام دُعِيَت "المهاجر" سنة 1330هـ/1912م[3]، عبّرت عن آراء و أفكار و أحوال أولئك المهاجرين، و ما يُخالج مشاعرهم بعدما دفعتهم الظروف مُكرَهين للهجرة فرارا من الكفار و جحيم الاستعمار.

[1] ) محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار الفضيلة، بيروت 2006م، ص 872.
[2] ) المنار، المجلد السادس، الجزء 23 (1 ذي الحجة 1321هـ/ 18 فيفري 1903م)، ص ص 917- 918.
[3] ) هلال، المرجع السابق، ص 16.

**الأوضـــــاع الاقتصاديـــــة:**

كانت سياسة الاستيطان التي شجعها الجنرال بيجو ( 1257-1265هـ/1841-1849م) قد حققت أهدافها بتجريد الجزائريين من أرضهم و منعهم من زراعة الغلال و حصدها تمهيدا لمنحها لمُشرَّدين و سَفَلَة و سُقَّاط من جميع الأجناس قدموا من أوربا لإقامة مستوطنات زراعية[1]، فرخّصت وزارة الحربية الفرنسية للمستوطنين الاستفادة من القرى الفلاحية و قدّمت لهم التسهيلات و وفرت لهم البذور و الإعانات المالية و الإعفاءات الضريبية، و هكذا انتشرت المستوطنات انتشارا مُلفِتا ما بين سنتي (1267-1307هـ/ 1851-1890م) فوصلت إلى 1590 قرية، و بلغت مساحة الأراضي المُصَادَرَة من الجزائريين أكثر من نصف مليون هكتار [2].

و أمام هذا التوسع الاستيطاني الكبير أشعر السياسيون و العسكريون الإمبراطور نابليون الثالث بخطره فأرسل إلى الدوق مالاكوف والي الجزائر ودعاه إلى إقرار العرب في أملاكهم و حقوقهم في الانتفاع و ضرورة الحض على المعاملات بين الجزائريين و المستوطنين في رسالة مؤرخة في 16 رمضان 1279هـ/6 فيفري 1863م[3]، و من هنا يتضح أن السياسة الاقتصادية الفرنسية سارت بوجهين، فمن جهة أقرّت الجمهورية بمنح الأراضي للوافدين من أوربا بسخاء بموجب القرار الصادر عن مجلس الحكومة في 6 ذو الحجة 1281هـ/ 2 ماي

[1] ) ستودارد، حاضر العالم الاسلامي، ص ص 335- 336.
[2] ) عبد الحميد زوزو، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900م، موفم للنشر، الجزائر 2009م، ص 149-154، المدني، كتاب الجزائر، ص 62، أيضا: Ageron, Histoire de l'Algérie …,p 43 -
[3] ) زوزو، مرجع سابق، ص 161، أيضا: Ageron, Op cit, p 30 -

1865م، في حين نراها من جهة أخرى تنتقد سياسة طرد السكان الجزائريين من أراضيهم و منحها للمستوطنين في الرسالة المُوَجَّهَة إلى الجنرال ماكمهون بتاريخ 25 محرم 1882م/ 20 جوان 1865م، و الواقع أن هذا الانتقاد المُعْلَن لم يكن حبًّا في الجزائريين و رأفة بهم إنما أملته الخشية من الجشع المتنامي للمستوطنين و من مغبّة ردود فعل عنيفة من الجزائريين.

و توالت على الجزائر الأزمات منذ عام 1283هـ/1866م فاشتدّت الجوائح و حدث الجفاف و القحط و غزو الجراد مما أدى إلى غلاء الأسعار و نُفُوق قطعان الأنعام و هلاك الناس و استمر الحال حتى سنة 1286هـ/1869م فكانت الحصيلة ثقيلة جدا حسب شهود عيان [1].

و في أعقاب سقوط نظام الإمبراطوري و إعلان الجمهورية، رحّب المستوطنون بذلك لأنهم حصلوا على المزيد من التنازلات، فقد وعدتهم السلطات منذ إعلان النظام المدني في 6 ذو الحجة 1286هـ/ 9 مارس 1870م، بمائة ألف هكتار إضافية من الأراضي الخصبة التي كان يمتلكها الجزائريون، و تَدفَّق مائة ألف مستوطن من مقاطعتي الألزاس و اللورين إلى الجزائر فحصلوا على امتيازات عريضة، و قاموا بزراعة الكروم على مساحات شاسعة بدلا من الحبوب مغتنمين فرصة تفشّي وباء الفيلوكسيرا الذي أتى على مزارع الكروم في فرنسا[2]، و ربما كان ذلك من قبيل الدعاية الاستعمارية لتبرير سياستها الاقتصادية و تغيير النمط الزراعي للفلاحين الجزائريين المغلوبين على أمرهم، و هكذا ارتفعت بموجب هذه السياسة مساحات زراعة الكروم

[1] ) ابن العنتري، مجاعات قسنطينة، ص ص 54-67 أيضا:
- Burzet, Histoire des Désastres de l'Algérie..., pp 29-53.
[2] ) Ageron, Op cit, pp 47- 49.

من 15 ألف هكتارًا سنة 1295هـ/ 1878م إلى مائة و عشر آلاف هكتارا سنة 1315هـ/1898م [1].

أما الجزائريون فَفُرِضَت عليهم الضرائب المختلفة، كضريبة اللّزمة التي فرضها المارشال راندون بتاريخ 6 ذو القعدة 1274هـ/18 جوان 1858م ( الرأس) و ضريبة العُشْر و كانت تُفْرَضُ على الحبوب، و الزكاة و تُفْرَضُ على الأنعام، و الأوسة الضريبة المفروضة على قبائل الصحراء و أُلغِيَت سنة 1274هـ/1858م، و الملاحظ أن المستوطنين لم يكونوا يدفعون الضرائب بل كانت مفروضة على الجزائريين و اليهود غير المُجنَّسين بالجنسية الفرنسية فقط[2]، ففي سنة 1288هـ/1871م فُرِضَ على الجزائريين 36 مليون فرنكا فرنسيا كضرائب وعقوبات مالية على القبائل الثائرة، و في المقابل أغدقت على المستوطنين الأوربيين 43 مليون فرنكا في شكل إعانات، و بذلك تراجع الإنتاج الزراعي بشكل مُلفت، إذ لم يكن هَمُّ الأوربي إلا جمع المال و الاستفادة من امتيازات الدولة الفرنسية دون أن يُقَدِّموا فائدة تُذكَر[3]، و تراجعت قطعان الضأن بشكل كبير من ثمانية ملايين رأسًا سنة 1281هـ/1865م إلى 6.3 مليون رأسًا سنة 1318هـ/1900م[4]، سواء بسبب الجفاف و الأوبئة أو بسبب استنزافها من طرف الجنود الفرنسيين لدعم المجهود الحربي و حركة التوسع الاستعماري و الاستيطاني، و أُلغِيَت الملكية الجماعية للعرش ( الأراضي ) بموجب قانون فارنيي Warnier بتاريخ 30 جمادي الأولى

[1] ) Ageron, Op cit, p 49.

[2] ) زوزو، المرجع السابق، ص 125.

[3] ) Ageron, Op cit, p 58.

[4] ) I bid, p 56.

1290هـ/26 جويلية 1873م[1]، و منذ عام 1315هـ/1898م اتجهت الجزائر نحو الاستقلال المالي بظهور مجلس النيابات المالية Délégation Financiers Algérienne بعد مناشدة المستوطنين بإطلاقه لأنه يمنحهم الحرية التامة في تنمية ثرواتهم و اكتنازها بعيدا عن رقابة السلطات في باريس[2]، و تختص هذه النيابات بتعيين النواب و مراقبة الميزانية و جِبَاية الضرائب، و حصلت منطقة القبائل على تمثيل خاص لإحداث التفرقة و إثارة النَّعَرات بين أبناء الوطن الواحد، و مهَّد هذا الإجراء إلى صدور قانون 26 رمضان 1318هـ/19 ديسمبر 1900م الذي منح الجزائر الاستقلال الذاتي و أطلق أيدي المستوطنين ليعيثوا في الأرض فسادا كَونُه حقّق أهدافهم الاقتصادية [3].

إنّ الخاسر الأكبر إثر هذه التطورات هم الجزائريون الذين اضطروا للعمل في المزارع التي استولى عليها المستوطنون بأجور زهيدة لا تتعدى فرنكا و نصفا لأربعة عشرة ساعة من العمل المرهق، و أضحى الجزائري صاحب الأرض خَمَّاسًا[4] عند المستوطن الأوربي، و حتى عام 1320هـ/1903م كان الفرنسيون يفضِّلون تشغيل الجزائريين لقلة الكُلفَة و ارتفاع ساعات العمل و غزارة الإنتاج، و دفعت هذه السياسات المتعاقبة الظالمة آلاف الجزائريين إلى الهجرة للبحث عن ملاذ آمن فرارا من جَرَادِ الاستيطان، و لتحسين ظروف معيشتهم، و أبرز تلك الهجرات

[1] ) Ageron, Les Algérien Musulmans et la France, p 85.
[2] ) Ageron, Histoire de l'Algérie Contemporaine, p 49.
[3] ) سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ص ص 23-24.
[4] ) الخَمَّاس هو الفلاح الجزائري الذي يعمل بواقع خُمُس المحصول، بينما يستفيد المستوطن من أَكثريَّتِه.

هجرة بعض سكان القبائل إلى فرنسا في عام 1330هـ/1912م، و قُدِّرَ عددهم بنحو ألف و خمسمائة شخصًا [1].

إنّ البيئة التي أشرنا إليها لا تُعَبِّر عن كل الهموم التي حملها الجزائريون على كواهلهم في تلك المرحلة العصيبة من تاريخنا الوطني، و إنما هي جزء يسير من تاريخ بلد عانى من مُسْتَعْمِرٍ يدّعي أبناؤه الدفاع عن قِيَمِ الحرية والعدالة والمساواة ويتّخذونها شعارا يُماثِل شعار ديانتهم المُحَرَّفَةِ عن أصولها و فروعها، و حَرِيٌّ بأجيال المضارع و المستقبل من الجزائريين أن يعتبروا و يَدَّكِرُوا.

لقد عاصرت الشيخ عبد القادر المجاوي الذي خصّصنا له هذا العمل الأحداث التي أشرنا إليها وغيرها، ومن المُهِمِّ معرفة موقفه من تلك المُتَغيِّرات على مختلف الأصعدة، حتى نُدرِك مدى تفاعله وتعاطيه مع بيئته، لفهم شخصيته ودراسة ردود أفعاله في تجلّياتها الإيجابية أو السّلبية.

[1] ) جوليان، المصدر السابق، ص 127.

# الفصل الثاني

# حياتـــــــه

أردنا في هذا الفصل دراسة محطات من حياة الشيخ عبد القادر المجاوي منذ ولادته بتلمسان سنة 1264هـ/1848م حتى وفاته بقسنطينة سنة 1322هـ/1914م، ورغم ما توصّلنا إليه من معلومات في حدود بحثنا، إلا أنّ ذلك لا يمنعنا من الاعتراف بأنّ جوانب عدّة من شخصيته ظلّت مجهولة، خاصّة ما تعلّق منها ببداية حياته، سيّما أنّه لم يلبث في مدينة أجداده إلا سنوات قليلة بسبب هجرة والده إلى المغرب الأقصى برفقة عائلته الصغيرة، ولم نعثر على ما يسدّ حاجتنا، فكلّما عثرنا على شيء يخصّه إلا وقلنا هل من مزيد؟ ونعترف بصعوبة المهمّة كون المرحلة التي نحن بصدد البحث في دهاليزها طويلة وشاقّة، وما يحزُّ في النفس أنّ المهتمين بالتاريخ الثقافي للجزائر زمن الاستعمار لم يُشيروا إلى هذه الشخصية إلا عرضًا في معرض إحصائهم لآثـــاره المختلفة.

لقد سلكنا طريق التقصّي وتَحرّينا البحث في المظان التي رأينا أنّها تستحقُّ منّا الوقوف عندها مَلِيًّا، فوجدنا أنّ حياة هذه الشخصية يُمكن تقسيمها نظريا إلى أربع مراحل أساسية:

- المرحلة التلمسانية: عاشها في سنواته الأولى طفلا.
- المرحلة المغربية: شهدت دراسته وتكوينه العلمي في المدن الثلاث طنجة و تطوان و فاس.
- المرحلة القسنطينية: سَلَخَت سواد حياته مُدرِّسا وعالما، وتُعتَبر الأهم من وجهة نظرنا في إبراز أبعاد شخصيته في شقّيها الاجتماعي والثقافي.
- المرحلة الجزائرية: قضاها في العاصمة مُدَرِّسًا وإمامًا ومُؤلِّفا نشيطا.

إنّ ما عثرنا عليه من معلومات في المرحلة الأولى لم يكن مُرضِيا بالنسبة لنا، لأنّ ما ذُكِرَ في المصادر كان يخصُّ والده عبد الله المجاوي التلمساني القاضي والمدرّس الذي آثر الهجرة إلى المغرب الأقصى، ولم نجد ما يتعلّق بولده عبد القادر إلا عَرضًا فيما يخصُّ مراحل دراسته.

أمّا مرحلة وجوده في قسنطينة فكانت في نظرنا هي الأبرز وقضى بها نحو ثلاثة عقود ولم تكن في بداياتها يسيرة، إذ لقي العَنَتَ بسبب ما لحقه من أذى بعض سكان المدينة المتحاملين والحاقدين على اختلاف مشاربهم، ومن الإدارة الاستعمارية التي كانت تراقبه وتتوجّس من نشاطه، وكان السّبب في غالب الأحيان هو سعيه إلى إصلاح المجتمع فالإصلاح كان آنذاك و في نظر الكثير "بدعة" ومُنْكَرًا من القول والفعل، ولولا صبره وجَلَدُهُ كما سنرى لما لبث في هذه المدينة إلا قليلا، لكنّه مع ذلك استطاع أن يشقّ طريقه بنجاح ونـــال شهـرة منقطعـــة تجاوزت حدود زمانـــــه.

إنّ النّجاح الذي حقّقه الشيخ عبد القادر المجاوي في قسنطينة كان ثمنه من وجهة نظر الفرنسيين تحويله إلى مدينة الجزائر سنة 1315هـ/1898م فانتظم أستاذا في مدرستها الشرعية، قبل أن ينتقل إلى المدرسة الثعالبية التي أشرف على تدشينها الحاكم العام الفرنسي في الجزائر Ch.Jaunart (1320- 1329هـ/1903- 1911م) سنة 1321هـ/1904م، فأضحى من ألمع أساتذتها، كما رأيناه في ذات الفترة مُوظّفا نشيطا لم يجد صعوبة في فرض نفسه وظلّ على ديدنه حتى وفاته سنة 1331هـ/1914م أستاذا لامعًا ومُفكّرا بارعـًا وشخصية تحظى بعريض الاحتـــرام من الخواصّ والعـــوام.

إنّه ممّا يثير كوامن الأسف في نفوسنا تواتر أخباره، ولا ندري سببا لذلك؟ فما استطعنا أن نَتَلَقَّفَهُ لم يكن إلا محاولة منّا لتقصّي ما غاب عنّا من حياة علمائنا وآثارهم، خاصّة أن الكثير منهم ضاعت أخبارهم، وما تَوصَّلنا إليه لا يعدو كونه مجرّد حلقة من حلقات التواصل الفكري بين الأمس واليوم، لأننا في أَمَسِّ الحاجة لكشف الغموض عن تاريخنا الثقافي بالعودة إلى الرعيل الأول من المصلحين، ونرجو أن نتمكّن من العثور على ما هو مفقود من مراحل، ورغم اعترافنا بصعوبة المهمة إلا أنّ ذلك لا يَمنعُ من السّعي في هذا السبيل، ويُخالجنا أملٌ في أنّنا سننجح إذا تظافرت الجهـود بحول الله وقوّتـــه.

**أســـــرة المجـــــاوي:**

ينحدر آل المجاوي من نسب شريف كما سيأتي ذكره و هي أسرة تنتمي إلى قبيلة مجاوة التي استوطنت مقاطعة تلمسان منذ قرون خلت [1] و كان أغلب أفرادها يشتغلون بالحرف و هو العمل الذي اختص بممارسته سكان الحَضَر منذ العهد العثماني، أما في بدايات الاستعمار فقد أدّت دورا بارزا في حركة المقاومة التي قادها الأمير عبد القادر بن محي الدين الحسني بين سنتي ( 1248– 1263هـ/1832– 1847 م ) من الغرب الجزائري[2].

و قد اشتهر من هذه العائلة عبد الله بن محمد بن عبد الكريم المجاوي الذي ولد بتلمسان سنة 1208هـ– 1793 م و تلقى مبادئ العلوم على والده و أخيه العلامة الحاج أحمد، و فيما يبدو أنه كان يتردد باستمرار على المغرب الأقصى فقد تابع دراسته في فاس واستقر بها مدة

[1] ) Jean Léon Africain, Description l'Afrique, Annotée par Ch.Schefer 2éme vol ,Ernest Leroux Editeur, Paris 1889, p75.

[2] ) Djilali Sari, L'émergence de l'intelligentsia Algérienne 1850-1950, Edition ANEP, Alger 2006, pp 27- 28.

من الزمن[1]، فأخذ عن بعد شيوخها من أمثال الشيخ حمدون بن الحاج السلمي[2] و الشيخ الطيب بن كيران[3] و الشيخ سليمان الحوتي[4] فأظهر نُبوغا و تَفَوُّقا و تضلّع في مختلف العلوم فأجازه شيوخه ثم قفل راجعا إلى تلمسان[5] فعكف على تدريس العلوم الشرعية و اللغوية مُنكَبًّا على المطالعة «...حتى لا تكاد تجد ورقة من أوراق كتبه على كثرتها واختلافها ليس بِهَامِشِهَا خط يده مُنبِّها على فائدة أو حلاًّ لبعض الأشكال الواردة و له مشاركة في العروض و شعر لا بأس به...»[6].

و من نظمه هذه المقطوعة:[7]

بمحمـــد و ببنتـــــه و ببعلهـا  و ابنيهمـا السبطيـن أعلام الهدى

و بأهل بدر و الصحابة كلهـــم  و التابعيـن لهم دوامـا سرمـــدا

و بعبدك النعمـــان ثـــم بمالك  و الشافعي قطب الوجود و أحمـدا

و بغوثنا و بشيخه و ابن حرزهـم  و بجـده عبد الســـلام الزاهـــدا

و بصاحب التوحيد و العلم و التقى  ذاك السنوسي بالمكارم قد بـــدا

---

[1] ) أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2 ,مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر 1906م، ص 446.

[2] ) حمدون بن الحاج السلمي ( 1174-1232هـ/1760- 1817م) فقيه و أصولي و لغوي و أديب من فاس تولي إدارة الحسبة ثم أعفي من منصبه بطلب منه، من ومؤلفاته نظم الحكم العطائية ، له شعر غزير و أراجيز في المنطق و علم الكلام.
- عبد السلام بن عبد القادر بن سودة، إتحاف المطالع بوفيات أعيان القرن الثالث عشر و الرابع، القسم الثاني، دار الغرب الإسلامي بيروت 1996م، ص 120.

[3] ) الطيب بن كيران ( 1172- 1227هـ/ 1758- 1812م) من فطاحلة العلم بفاس حافظ و مفسر درس بالقرويين، تضلع في مختلف العلوم كالتفسير و المنطق و البلاغة و التصوف و النحو، من مؤلفاته شرح الحكم العطائية، شرح رسالة المولى سليمان في الكسب، شرح الفريدة في المنطق، شرح ألفية العراقي في السيرة. - نفسه، ص 108.

[4] ) سليمان الحوتي ( ؟ ) لم نعثر على أخبار له و في اعتقادنا أنه عالم جزائري نسبة إلى منطقة عين الحوت قرب سبدو بتلمسان، و فيما يبدو أنه درّس في القرويين.

[5] ) Sari, op cit, p 30.

[6] ) بلهاشمي بكار، مجموع النسب و الحسب و الفضائل و التاريخ و الأدب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان 1961م، ص 143.

[7] ) الحفناوي، المصدر السابق، ص 347.

و بجاه أحمد و الحبيب و شيخه  و بسرهم يا رب يا سامـــــع الندا

فرج كروب المسلمين و حزبهم  يا خير من مد العصاة لـــه الـيدا

و إلى جانب مهنته كمدرّس فقد اشتغل باش عدلا في محكمة تلمسان ثم قاض بها لخمسة و عشرين سنة [1]، و مما ذُكِر أنه لما تولّى قضاء المدينة حفظ كتاب المعيار «... في خمس ليالٍ في كل ليلة سفرا فلقد كان في المطالعة و الحفظ فريد عصره و أعجوبة دهره...»[2]

و قد مدحه أحد تلامذته شعرا و ممّا قال فيه:[3]

أي الفتح المجاوي من أضاءت  شموس علومه فازداد حمـــدا

إمـــــام ماجدٌ شيـــخ جليل  همام بـارع فخـــــر معيـــدا

بليـــــغٌ مِصْقَعٌ علم شهيـــر  و كعبة من يروم الرشد قصدا

سمو باسمـــــــــه سما سماء  بفجـــر محمد شكرا و حمـدا

ويدعـى نجل عبد الله فاعجب  بمن جادت تلمسان عنـا جودا

أصيل لو دعى بحـر علـــم  جواد جلّ ما أعطى و أســدا

مُنـــزّهٌ مُبجَّـــــل نزيه القدر  حليم ضـمّ حكمـــة و زهـدا

لقد أرجت سجاياه و استطابت  وفـاق مآثـرا عمـــرا وزيـــدا

[1] ) Gilbert Grand Guillaume, Nédroma l'évolution d'une Médina, Leiden E.T brill 1976, p 60.

[2] ) الحفناوي، مصدر سابق، ص 447.

[3] ) نفسه، ص 448.

و كان حصيفا و ذو دراية و اطلاع واسع [1]، أما زوجته و تدعى عائشة بنت الحاج السنوسي فإنه لم يصلنا من أخبارها ما يسدّ حاجتنا، و كل ما علمنا أنها من أسرة شريفة في غرب الجزائر [2].

إنّ آل المجاوي و كغيرهم من الجزائريين الذين نالهم نصيب من أذى الاستعمار تفرقوا أيادي سبأ في أنحاء الجزائر و خارجها بعد سقوط مقاومة الأمير عبد القادر، فآل الأمير عبد القادر اتخذوا من بلاد الشام مستقرا و مقاما، أما آل البوطالب من أبناء عمومة الأمير و آل المجاوي من أصهارهم فقد استقر بعضهم في المغرب الأقصى و خاصة فاس و طنجة، و آثر بعضهم البقاء في الجزائر، إلا أن اللافت للنظر أن بعضا من أفراد هاتين العائلتين قد اشتغلوا قضاة و عدولا في المحاكم الأهلية زمن الاستعمار و في مرحلة ما بعد الاستعمار خاصة في شرق الجزائر، و يجدر بالذكر أن أخبار عبد الله المجاوي و علاقته بالجزائر قد انقطعت وشائجها تماما بعد هجرته إلى المغرب الأقصى، بينما حافظ ولده عبد القادر من بعده على علاقته بوطنه، و رأينا أنه قد ترك أثرا طيبا في أعقاب عودته من هجرة دامت لسنوات كما سيأتي ذكره.

**مولده ونسبـــــه و نشأتـــــه:**

هو عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمان بن عيسى بن داود بن أبي حناش بن حمليش بن علي بن محمد بن عبد الجليل بن أحمد بن عبد الله بن

[1] ) Sari, Op cit, p31.

[2] ) سمية أولمان، دور الشيخ المجاوي عبد القادر و كتابه إرشاد المتعلمين في الصمود الفكري بالجزائر، مطبعة زيتا قرافيك، الجزائر 2013م، ص 14.

مسعود بن عيسى بن أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمان بن عبد السلام بن أيوب بن أحمد بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب و فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد صلى الله عليه و سلم [1].

ولد بتلمســـان سنة 1264هـ/1848 م و بها تعلم مبادئ القراءة و الكتابة و حفظ جزءا من القرآن الكريم [2] ، و الواقع أن تعليمه الأول في مدينته لم يتعدّ السنوات الأولى من حياته و اضطلع به والده و بعض أفراد أسرته، لكن الوالد قرر الهجرة مُكرَها بعد أن تعرَّض للمضايقة فَيمّم وجه شطر طنجة، و ربما يكون منصبه كقاضٍ في تلمسان قد جلب له العداوة و البغضاء و أوغر صدور بعضهم فتعرضوا له بالأذى حتى أخرجوه منها، و كانت هجرته دون رجعة [3] و رغم ما عاناه من ضيق عيش وقطع أسباب رزق لكن ذلك لم يمنع الدهماء من سكان تلمسان من الاعتراف له بالفضل لما له «...من مآثر حسنة يشهد له بها أهل بلده...»[4].

لقد اصطحب عبد الله المجاوي عائلته الصغيرة إلى المغرب الأقصى التي مكث بها لسنوات، و كان على ولده عبد القادر أن يشق طريقه بخطوات وئيدة و على ذات النهج التي سلكها والده في طلب العلم، لكن علينا الاعتراف أنه لم يصلنا من أخبار عبد القادر المجاوي و عائلته في سنواته الأولى إلا النزر اليسير و هو ما دفع بالبعض[5] إلى الجزم بأن ولادته لم

---

[1] ) عبد الله بن علي حشلاف، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول (ﷺ)، المطبعة التونسية، تونس 1929م، ص 54.
- بكار، المصدر السابق، ص 35.

[2] ) الحفناوي، مصدر سابق، ص 449.
- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة، ج1، مطبعة البعث، قسنطينة 1978م، ص 85.

[3] ) Gaëtan Delphin, Fas son Université et l'enseignement Supérieur Musulman, Ernest Leroux Editeur, Paris 1889, p75.

[4] ) الحفناوي، مصدر سابق، ص 449.

[5] ) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 214.

تكن في تلمسان بل في المغرب الأقصى دون أن يقدّموا دليلا على ذلك[1]، و مهما يكن من أمر فهجرته تلك فتحت له آفاقا جديدة كما سنرى و استفاد منها أيّما استفادة في بناء شخصيته العلمية رغم أنه لم يكن من المهاجرين في طلب العلم[2].

## الهجـرة إلـــى المغرب الأقصـــى:

تعود صِلات الجزائريين بالمغرب الأقصى إلى قرون خلت، فهذا البلد مجاورٌ للجزائر و لهما تاريخ مشترك في صدّ العدوان الصليبي على سواحل المغرب الإسلامي، و هناك علاقات مصاهرة بين الأسر و العائلات وتجارة و مبادلات أحكمت وشائجها رابطة الدين و اللغة و العادات و التقاليد، و من شأن ذلك أن يشجّع الكثير من العائلات الجزائرية على الهجرة إليها زُلفى و أشتاتا بسبب حرب الإبادة التي مارسها الاستعمار الفرنسي في الجزائر و اشتدت في أربعينيات القرن 13هـ/ 19م، أما المغرب الأقصى فكان آنذاك لا يزال ينعم بالحرية.

لم يجد الشيخ عبد الله المجاوي صعوبة في الاستقرار بها بعد أن هاجر مع عائلته فالسلاطين العلويين قد أوصوا بالوافدين الجزائريين خيرا و اهتموا بالعلماء فأجزلوا لهم العطاء نظير مساهماتهم في أحياء التراث و الأدب و الثقافة العربية الإسلامية [3] إضافة إلى نشاطهم الاقتصادي، و من المعلوم أن عبد الله المجاوي كان كثير الترحال بين موطنه تلمسان و المغرب الأقصى، إذ درس بفاس و لم ينقطع عنها و كان هذا الأمر أيضا في مصلحته

[1] ) تُجْمِعُ المظان التي في حدود اطلاعنا على أن عبد القادر المجاوي من مواليد تلمسان، من ذلك تقرير صادر عن إدارة التعليم الفرنسي بالجزائر سنة 1901م يؤكد على هذا الأمر (الملحق رقم 9).

[2] ) سعد الله، المرجع السابق، ص 214.

[3] ) إدريس بوهليلة، الجزائريون في تطوان خلال القرن13هـ/19م، مطبعة الهداية، الطبعة الأولى، تطوان 2012م، ص 135.

و الواقع أن طلبة العلم بالمغرب كانوا يتهافتون على العلماء الجزائريين و يترصّدون قدومهم شطر فاس خصوصا فيتلقّون منهم مختلف العلوم و يستفتونهم فيما استشكل لديهم من معارف [1]، و كان الشيخ المجاوي في جملة أولئك العلماء الذين اكتسبوا سمعة واسعة نظير مساهماتهم في نشر العلم، و هكذا و مع مرور الزمن أضحى الجزائريون في المغرب الأقصى « قوة ثقافية و اجتماعية فاعلة»[2].

و رغم أن استقرار أسرة المجاوي في المغرب الأقصى لم يتجاوز المدن الثلاث طنجة و تطوان و فاس إلا أنها تركت أثرا باديا، و شكّلت حلقة من حلقات التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب الأقصى.

**فـــي طنجـــــة:**

يمّم عبد الله المجاوي وجهه شطر طنجة التي عُيّن قاضيا بها و إلى جانب منصبه هذا تولّى التدريس و الخطابة أيضا، و لكنه لم يكن من أوائل من شدّ الرحال إليها فقد كانت العديد من العائلات الجزائرية تقيم بهذه المدينة العامرة [3] ، و كان بعض أقاربه من عائلة بوطالب يترددون أيضا عليها [4]، و منهم من نزح إليها بعد سقوط مقاومة الأمير عبد القادر، و لا شك أن المجاوي استعان بهم[5]، فقد كان صهره الفقيه محمد بن علال مستقرا بها يدرّس الفقه[6]

---

[1] ) Delphin, Op cit, p76.

[2] ) بوهليلة، المرجع السابق، ص 65.

[3] ) نذكر من تلك العائلات أولاد بيت المال و أولاد بن صيام و أولاد الخروبي و أولاد الجزائري و أولاد بوطالب و غيرهم.
- Résidence Général de la République Française au Maroc, Villes et Tribus du Maroc, vol 8éme ( Tanger et sa Zone ), Edition Ernest Leroux, Paris 1921, p 204.

[4] ) Marcel Frescaly, Journal de Route et Correspondant, Ed Charpentier, Paris 1886, pp16-17.

[5] ) آلان كريستلو، حول بداية النهضة الجزائرية، كتيب لعبد القادر المجاوي، مجلة الثقافة، عدد46 أوت- سبتمبر 1978م، ص ص 57- 58.

[6] ) الحفناوي، تعريف الخلف...، ص ص 87- 88.

و مع أنّ والد المجاوي لم يكن يشعر بالغربة في هذه المدينة للاعتبارات التي ذكرنا، إلا أنّ أمرا لم يكن يرق له و هو خشيته على ولده عبد القادر من« مفاسد المدينة »[1] ذات الطابع الاقتصادي التي تَعُجُّ بالعنصر الأوربي، فأصرّ على إرساله إلى فضاء علمي رحب بمفرده لمواصلة دراسته[2].

أما الشيخ عبد الله المجاوي فبعد إقامته بها لخمس سنوات و نصف من الشهور كانت وفاته على الأرجح في 23 رجب 1287هـ/19 أكتوبر 1870 م [3].

و بعد وفاة الأب كان على عبد القادر الابن أن يشق طريقه بمفرده، فبعد أن أتمّ حفظ القرآن الكريم بطنجة توجه إلى مدينة تطوان، فكانت هذه المدينة وجهة جديدة له لمواصلة دراسته الثانوية [4].

**فـــي تطـــوان:**

كانت هذه المدينة الجاثمة على أكتاف الريف المغربي ملاذا آمنا للعديد من العائلات الجزائرية التي نزحت إليها و وجدت بها مُراغَما كثيرة و سَعَة، فتركت بها آثارا بادية في

---

[1] ) دبوز، المرجع السابق، ص 86.

[2] ) نفسه.

[3] ) ذكر الحفناوي ( تعريف الخلف 449/2) أن وفاته كانت في 23رجب 1267هـ/24 ماي1851م، بينمـــا ذكر ابن سودة (إتحاف المطالع 2568/1) أن وفاته كانت في 13رجب 1260هـ/29 جويلية 1844م، و نحن نستبعد هذين التاريخين لعدم واقعيتهما و تطابقهما مع الأحداث التاريخية، و قد رجّحنا التاريخ الذي أثبته دولفان، يُنظر:

- Delphin, Op cit, p 75.

[4] ) دبوز، المرجع السابق، ص 86.

مجالات مختلفة دفعت بأحد الفرنسيين إلى الاعتراف بمدى التأثير العميق للجالية الجزائرية في تطوان اجتماعيا و ثقافيا[1].

علينا أن نعترف بأننا لم نعثر على أخبار ذات صلة بشأن استقرار عبد الله المجاوي بهذه المدينة و إن كان قد زارها أو استقر بها؟ أم أنه أرسل ولده عبد القادر إليها مُنفردًا؟ و في غياب أي دليل على وجود الوالد في المدينة، فإننا لا نشكّ إطلاقا في استقرار الولد بها لفترة قصيرة رغم أن البعض يجزم بأن إقامته استمرت لسنوات و أنّه تلقى بها تعليمه الابتدائـــــــي و الثانوي[2].

إنّ هذه البيئة الريفية المُفعَمة بالصفاء و الهدوء قد ساعدت عبد القادر المجاوي على الانشغال بطلب العلم، فكان من أساتذته بها الشيخ الطيب اليعقوبي[3] و الشيخ مْفَضّل أَفِلَالْ العلمي[4]، و لا ندري إن كان قد اتصل بالعلماء الجزائريين في المدينة سيما أن الكثير منهم كانوا يُدرّسون بها المجرادية و الآجرومية في النحو، فضلا على مساهماتهم في تدريس الفقه و الأدب و الحساب و التوقيت و غيرها، و كان الكثير منهم قد نزل بها من تلمسان على وجه الخصوص[5].

---

[1] ) Jean Louis Miège, Tétouan à travers les siècles, imp. Haddad Frères Hidaya, Titouan 1996 p 27.

[2] ) دبوز، مرجع سابق، ص 36.

[3] ) الطيب اليعقوبي ( 1224-1287هـ/1809-1870م) ولد في تطوان، علامة جامع بين العلم و العمل، أستاذ مجود.
- ابن سودة، إتحاف المطالع...، ج1، ص 2643.

[4] ) مفضل أفلال العلمي ( ت1304هـ/1886م) محمد المفضل بن الهاشمي أفيلال التطواني، مدرس و شاعر، صاحب رحلات له أرجوزة سماها مضحك العبوس و مجلي الهم و نكد البوس، ذكر فيها مشاهداته عندما سافر من تطوان إلى مكناس، توفي بتطوان.
- محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج8، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996م، ص 2770.

[5] ) بوهليلة، المرجع السابق، ص 139 و 146.

**فـــــــي فـــــاس:**

كانت هذه المدينة هي المحطّة الأبرز للشيخ عبد الله المجاوي في المغرب الأقصى قبل أن ينتقل إليها ولده عبد القادر، إذ أهّلته سُمعته لأن ينتصب للتدريس بجامع القرويين فكان يدرّس القضاة [1]، ولم يقتصر تدريسه على طلبة المغرب فحسب بل كان منهم جزائريون هاجروا طلبا للعلم[2]، ولقي احتراما كبيرا وعُدَّ في نظر علماء و طلبة المغرب علامة مُشاركا و من أشهر مشائخ مراكش[3]، وقد وصفه أحد تلامذته بشيء من المبالغة وهو أحمد بن حسون الوزاني الذي كان من كبار مشائخ و قضاة فاس[4] بقوله «...له ذهن يكشف الغامض الذي يخفى ويعرف رسم المشكل وإن كان قد عَفَى، أبصر الخفيات بفهمه و قصر فكره على خاطره و وهمه فجاء بالنادر، و تلوّن في حُلَلِ الكلام الطويل و الموجز مع جمعه لأوصاف المكارم التي لم ينادمه في تعاطيها مُنادم و لم يؤازره فيها بحرٌ زاخرٌ و لا قمرٌ زاهرٌ...»[5].

و ممّا ذُكِرَ عنه أنّه كان يهتمّ بطلبة العلم و يوفّر لهم جوا من التنافس العلمي بعيدا عن الشَّحناء، إذ يترك لطلبته حرية ما يطالعون و يدرُسون من مظان و مؤلفات مختلفة و لا يعترض على ما يختارون منها و يقوم بنُصحهم و توجيههم[6]، ممّا زرع له في نفوس طلبته

---

[1] ) عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس و الأثبات و معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات،ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1982م، ص 785.

[2] ) بكار، مجموع النسب...، ص 142.

[3] ) ابن سودة، المصدر السابق، ص 2568.

[4] ) الكتاني، المصدر السابق، ص 112.

[5] ) الحفناوي، المصدر السابق، ص 446.

[6] ) Delphin, op cit, p 76.

الاحترام و التقدير و أُعجبوا بفصاحته و سعة علمه لأنه «...مهما أخذ في تدريس فنّ حسبته لا يعرف إلا سواه و ما ذلك إلا لتضلّعه و اطلاعه...»[1].

و من العلوم التي كان يلقّنها لطلبته في القرويين مختصر خليل و حواشي البناني المصري وقيل أنه «...هو أول من أظهرها بفاس...»[2] و السنهوري و الشبرخيتي و مختصر السعد و كتاب الشِّفا للقاضي عياض و حواشي شيخه بن كيران[3] و المجرادية و الآجرومية[4].

الآجرومية[4].

و إلى جانب مهنته كمدرّس فقد كان شاعرا مُجِيدًا يَقْرِضُ الشعر و يستشهد به كثيرا في دروسه[5] ، و تخرّج على يديه جمّ غفير من الطلبة الذين أضحوا بدورهم علماء و قضاة فدرس ولده عبد القادر عند من ذاع صيته و اشتهر أمره منهم كما سيأتي ذكره.

إنّ هذا الجو المفعم بالعلم و البيئة الصافية قد زرعت في عبد القادر حبّ التعلم فسار على نهج والده القاضي و المدرّس «...حتى بلغ شأوه و زاد عليه فنونا...» [6]، فدرس علوم النحو و الصرف و الفقه و أصوله و الحديث و اصطلاحه و المنطق و علوم البلاغة و التصوف و الفلك و الهيئة[7]، و لا شك أن مكتبات فاس العامرة بنفائس الكتب و المظان و المخطوطات في مختلف العلوم و الفنون و الرصيد الثقافي و مَلَكَة الحفظ التي ورثها عن

---

[1] ) الحفناوي، المصدر السابق، ص 447.
[2] ) نفسه.
[3] ) نفسه.
[4] ) بوهليلة، المرجع السابق، ص 146.
[5] ) عثرنا على شذرات من شعره ذكرها الحفناوي في تعريف الخلف ( 2/448-449) كما ذكر بكار في مجموع النسب (ص 143) بعضا من شعره كان قد بعث به إلى الأمير عبد القادر الجزائري.
[6] ) الحفناوي، المصدر السابق، ص 449.
[7] ) عبد القادر المجاوي، اللمع على نظم البدع، مطبعة الأخوين فونتانا، الجزائر 1912م، ص 3.

والده جعلته من أنجب الطلبة، ثم إنّ والده و لحرصه على تربية ابنه تربية رفيعة أوكل مهمّة تعليمه إلى تلامذته الذين أضحوا من أشهر علماء فاس، و من أولئك العلماء و المشائخ القاضي محمد العلوي[1] و محمد قنون[2] و الشيخ أحمد بن سودة[3] و المحدث أحمد بناني[4] بناني[4] و العلامة الحافظ جعفر الكتاني[5] و الفقيه أحمد العراقي[6] و العلامة الأديب مهدي مهدي بن الحاج السلمي[7] و غيرهم، فلازمهم مدة من الزمن لم تحص عِدَّتَها المصادر التي في حدود اطلاعنا حتى نال نصيبا وافرا من العلوم، و على عادة المتعلمين فإنهم يحصلون بعد سنوات من دراستهم في التعليم العالي على الإجازة حتى يتمكّنوا من الشروع في التدريس، و هي طريقة معروفة في مناهج التعليم الإسلامي قديما، و كذلك كان الأمر بالنسبة للمجـــاوي فيمـــا يبـــدو.

---

[1] ) محمد العلوي ( ت 1306هـ/1888م) محمد بن محمد العلوي الحسني نزيل مراكش تولى قضاء فاس.
- محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج8، ص 2776.

[2] ) محمد بن المدني كنون (1240-1302هـ/1824-1884م) لُقب بشيخ الجماعة بفاس، درّس الحديث و الفقه و أصوله و النحو في القرويين، تولى قضاء مراكش، عُرِف بالحزم و الانتقاد، ترك القضاء بعد ثمانية أشهر من تولّيه، من مؤلفاته حاشية علي الرهوني و حاشية على الموطأ و حاشيةَ على شرح الصغرى للسنوسي، و له فتاوى و رسائل طبعت بفاس و شعر كثير في قواعد فقهية. - العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل في مراكش وأغمات من الأعلام، ج7، تحقيق عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية الرباط 1977م، ص 2763.

[3] ) أحمد بن الطالب بن سودة ( 1241-1321هـ/1825- 1903م) من علماء فاس لُقب بشيخ الجماعة، تولى قضاء مكناس كان يدرّس صحيح البخاري و شمائل الترمذي، كثير التقييد له تآليف في الحديث و الفقه منها حاشية على البخاري، توفي بفاس.
- محمد بن الحسن الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي،ج4، مطبعة إدارة المعارف، الرباط 1340هـ، ص ص 143- 144.

[4] ) أحمد بن محمد بناني (ت 1306هـ/1888م) اشتهر بكلّا لكثرة جريانها على لسانه في التدريس لقب بشيخ الجماعة له سند عال، تخرج على يديه علماء فطاحل - حجي، مرجع سابق، ص 2777.

[5] ) جعفر بن إدريس الكتاني ( 1245- 1323هـ/ 1829- 1905م) حافظ و محدث من علماء الحديث و الرواية و الأسناد له حاشية على صحيح البخاري لم تكتمل و حاشية على جامع الترمذي و الرياض الربانية في الشعب الكتانية و الشرب المحتضر في رجال القرن 13هـ، قاربت تأليفه المائة. – حجي، المرجع السابق، ج8، ص 2840.

[6] ) أحمد بن محمد العراقي ( ت1286هـ/1869م) علامة فقيه و محدث و مدرس، تولى الخطابة و الإمامة بضريح مولاي إدريس بفاس. - ابن سودة، إتحاف المطالع...، ص 2640.

[7] ) مهدي بن الحاج السلمي ( 1244-1290هـ/1828-1873م) علامة و مشارك فصيح، له حاشية على شرح الخرشي على المختصر و حاشية على شرح التحفة للتاودي بن سودة و اختصار شرح ابن زكري على النصيحة الكافية.
– ابن سودة، المصدر السابق،ج7، ص 2648.

إنه لمن المؤسف حقّا أنّ الكثير من أخبار آل المجاوي سنوات إقامتهم بالمغرب قد اندرست، فالمصادر المغربية لم تكن تذكر عبد الله المجاوي القاضي و المدرّس إلا نادرا في معرض تقييدها لمشاهير علماء مراكش و أساتذتهم، لِذا كان من الصّعب علينا الإحاطة خبرا بكلّ تفاصيل و حيثيات هذه الهجرة، و مهما يكن من أمر فإن هجرة عبد القادر المجاوي و تنقّله بين مدن المغرب الأقصى و التنوع الثقافي و الاجتماعي الذي عرفته في مختلف عصورها أكسبه رصيدا علميا غنيا فاق في أهميته رصيد والده المنشغل بالقضاء، و استطاع توظيفه بنجاح عندما عزم على العودة إلى الجزائر من بوابة قسنطينة.

**المجـــــاوي مُدرِّســـــا:**

بعد عودة عبد القادر المجاوي إلى الجزائر نزل مدينة قسنطينة، و من اللافت للنظر أن ينزل بها و يصرف النظر عن تلمسان مدينة الأجداد، إنّ وجود عائلة بوطالب و استقرارها بقسنطينة و تولي العديد من أفرادها مناصب التدريس و الفتوى و القضاء[1]، كان كافيا لرغبته في النزول بها، و لا ريب أنهم أقنعوه للّحاق بهم[2]، بينما رأينا من انفرد برأي آخر يُجَانِبُ الواقع عندما أشار بأنّ من كان وراء قدومه هو أحد علماء المدينة و يدعى الشيخ العباسي**(؟)** [3].

إنّ حلول هذا الشاب اليافع بمدينة قسنطينة ذات الحركية الثقافية شجّعته على المُضِيّ قُدُمًا في تولّي مهنة التدريس، فكانت المحطة الأولى لمشروعه كمدرس حرّ جامع سيدي

[1] ) الكتاني، فهرس الفهارس...، ص 239.
[2] ) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج4، ص ص 484-485.
[3] ) دبوز، نهضة...، ص 97.

الكتاني منذ سنة 1292هـ/1870م[1]و قد تولى هذه المهمة لمدة ثلاث سنوات، و بحكم تجربته الغنية في مدارس المغرب الأقصى فقد «...أخذت شهرته تنتشر فتوارد على حِلَقِ دروسه طلبة العلم من الأطراف، و كانت حلقاته غاصّة بالطلاب..»[2].

و لم يكن يقتصر في دروسه على الطلاب فحسب بل كان يختلط بالعامة و يستفتونه في أمور دينهم و كانت تزوره الخاصة في مجالسه[3]، و قد أكسبه تواضعه و سعة علمه الاحترام، و استطاع بعد فترة قصيرة أن يحقّق نجاحا مُلفتا بدعوته الصريحة لإصلاح المجتمع التي لقيت صدى في أوساط الدهماء من سكان قسنطينة [4].

إنّ حراكا كهذا لم يكن مُرضيا بالنسبة للفرنسيين الذين ارتابوا لأمره، إذ كانت المساجد مراقبة فسعوا إلى عزله عن العامة حتى لا يؤثر في الناس و يوقظهم من هجعتهم، فكان تعيينه موظفا رسميا في مدرسة سيدي الكتاني بسوق العصر سنة 1295هـ/1873م[5].

يتلقى الطلبة في هذه المدرسة دروسا مختلفة، و هي ذات طابع عصري و تتوفر على العديد من المرافق و تخضع لنظام تعليمي دقيق[6]، و من العلوم التي اشتهرت بها اللغة العربية و فنون الخطابة والتوحيد و البلاغة و التصوف[7]، و قد كانت مراقبة من طرف الإدارة الاستعمارية التي تتلقى باستمرار التقارير من إدارة المدرسة، بينما أُوكِلَت مهمّة مراقبة مدرّسي

[1] ) الحفناوي، تعريف الخلف...، ص 449.
[2] ) محمود كحول ( بن دالي)، التقويم الجزائري، السنة الثانية، مطبعة فونتانة، الجزائر 1912م، ص 105.
[3] ) دبوز، المرجع السابق، ص 92.
[4] ) Sari, L'émergence de l'intelligentsia…, p30.
[5] ) المجاوي، اللمع...، ص 4.
[6] ) Ernest Mercier, Constantine son Passé son Centenaire 1837- 1937, Edition Braham, Constantine (sans date), p 294.
[7] ) Berthet. A, Les Naufragés de La Marie Elisabeth, G. Tequi Librairie Editeur, Paris 1883,p 95.

العربية – و كان المجاوي منهم– إلى المستشرق أ. شربونو Cherboneau الذي يُعَدُّ أحد عيون فرنسا بالمدرسة[1].

لقد أسندت للشيخ المجاوي مهمة تدريس النحو و الصرف و العروض[2]، فساعدته شخصيته الهادئة و خلقه على كسب ودّ الطلبة و حبهم له، إذ كان يزيّن دروسه و مجالسه بنكت ظريفة، و يمزج الفصحى بالعامية ليفهم العامة فكانوا «... يتمنّون أن لا ينتهي درسه إعجابا بفصاحته و براعته في التدريس...»[3].

إنّ المعاملة الطيبة التي خصّ بها المجاوي تلامذته آتت ثمارها بظهور جيل من التلامذة أضحوا بدورهم أساتذة و موظفين و مصلحين في قسنطينة و ما جاورها من المواطن، و نذكر من أولئك الشيخ حمدان الونيسي( 1272هـ–1338هـ/ 1856 – 1920م) الذي درّس بقسنطينة لسنوات، فارتبط اسمه بالشيخ المجاوي فلا يكاد يُذكَر إلا و ذُكِرَ فضله عليه[4]، و من المعلوم أنه آثر الهجرة إلى الحجاز فاستقر بالمدينة المنورة عالما مُفيدًا حتى توفي و دفن بها، و الشيخ أحمد البوعوني ( ؟ – ؟ /؟ – ؟) و كان عالما أديبا اشتغل في التدريس بباتنة و هو

---

[1] ) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 76.
[2] ) نفسه، ج8، ص 170.
[3] ) دبوز، المرجع السابق، ص 88.
[4] ) مدح الأديب الشاعر سليمان باشا الباروني (1227-1359هـ/1870- 1940م) الشيخ حمدان الونيسي و كان بينهما مسامرات، و مما قال فيه:

قريظ همـــــام طافح اليم حمدان — سمي ابن قيس بالسلامـــة هناني
له الأدب الغض النظـــار خطابه — له الخلف السامي فأعجب بحسان
و كيف و عبد القادر الطود شيخه — فأكْـــــرِم بتلميـــذ لمنبع عرفان
أحمدان حققت العلـــــوم فأعنقت — بذكر آي الحمـــد للإنس و الجان

- سليمان باشا الباروني، ديوان الباروني، مكتبة مسقط، القاهرة، الطبعة الأولى 2012م، ص 45.

« ذو فصاحـــــة و سَجِيّة نزّاعـــة للأدب و لـــه شعـــرٌ جيـــد ...»[1] ، و مـــن شعراء صحيفة المنتقد و لُقِّب بالشاعر البدوي[2] «... وممّن كان الأخذ عنهم مَدْعَاةٌ للفخر و الاستطالة و شموخ الأنف »[3]، و الشيخ أحمد مرازقة الحبيباتني ( 1284– 1355هـ/ 1867– 1936م) و كان مدرّسا بارعا بشهادة من عرفه من العلماء و هو من فقهاء و متصوّفة المالكية ، امتهن التدريس في زاوية عيساوة في سيدي بوعنابة[4]، و المفتي الحنفي عبد الكريم باش تارزي بن عزوز(؟ – ؟/؟ – ؟) و كان ناظما مُولعًا بالتصوف[5]، و الشيخ حمو بن الدراجي بن أحمد (؟ – ؟ /؟ – ؟) القاضي الحنفي بالجزائر و الأستاذ محمد السعيد بن زكري (1267–1332هـ/1851 – 1914م) الذي تولى التدريس في الثعالبية ثم الإمامة و الخطابة بجامع سيدي رمضان بالعاصمة ثم الفتوى[6]، و الشيخ محمد المولود بن الموهوب (1283–1358هـ/1866–1939م) الذي لازم الشيخ المجاوي اثنا عشر سنة فأجازه و أذن له بالتدريس و الوعظ في الكتانية، و الجامع الكبير بقسنطينة ثم تولى الفتوى على المذهب المالكي، و عُرِفَ بنشاطه الحثيث في النوادي و الجمعيات و الصحافة، و يُعَدُّ بحقّ من أكثر المتأثرين بفكر الشيخ المجاوي في الثقافة و التأليف و سعة الأفق و قد نال أوسمة رفيعة[7]، « و احتفظ في ذهنه بذلك الأثر الذي غرسته في نفسه دراسته على يد معلّمه الشيخ المجاوي،

---

[1] ) محمد الخضر الحسين و آخرون، خمس رحلات إلى الجزائر 1904- 1932م، تقديم محمد الصالح الجابري، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، بيروت 2004، ص 33.

[2] ) المنتقد، السنة الأولى، عدد5، 11 محرم 1344هـ/ 30 جويلية 1925م.

[3] ) محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام البشير الإبراهيمي، جمع و تقديم أحمد طالب الإبراهيمي، الجزء الأول ( 1929- 1940م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997م، ص 368.

[4] ) الخضر الحسين، المصدر السابق، ص ص31- 32 أيضا: - أحمد حماني، صراع بين السنة و البدعة، الجزء الأول، دار البعث، قسنطينة 1984م، ص 287.

[5] ) حشلاف، سلسلة الأصول...، ص 48.

[6] ) الحفناوي، تعريف الخلف...، ص ص 449- 450.

[7] ) كحول، التقويم الجزائري، السنة الثالثة، مطبعة فونتانة، الجزائر 1330هـ/1913م، ص ص 175- 180.

و قد تولّى هو نقل هذه الغَرْسَة إلى تلك الأجيال ... و قد أينعت ثمارها في الحركة الإصلاحية الناشئة في الجزائر»[1].

و من تلاميذ الشيخ أيضا محمود كحول بن دالي (1288 –1355هـ/ 1866– 1936م) المُفتي المالكي و المدرّس و المُحرِّر الصحفي، و كان مُلازِمًا للشيخ و من خاصّته[2].

و ممّن جلس مُستمِعًا لدروس الشيخ المجاوي محمد بن عبد الله بن الموهوب و هو من المتصوّفة الرحمانية[3]، و اشتغل بالتدريس، و أحمد بن سعيد بن مرزوق الذي أضحى مدرّسا في جامع سيدي الكتاني[4] و مصطفى بن محمد بن زادي المدرّس في بسكرة و المسيلة، و تولّى بعد ذلك وظيفة الفتوى في قالمة [5]، كما قصده التلامذة من أقاصي عمالة قسنطينة من من أمثال محمد بن عبد الله من المسيلة ( ت1361هـ/1942م) الذي درس بزواوة ثم قصد قسنطينة مُستمعا لدروسه و كان من المتصوّفة، و محمد بن عبد الله الديلمي الذي أضحى شيخا للطريقة الخلوتية بالمسيلة [6].

و يبدو أن الشيخ عبد الحميد بن باديس ( 1307– 1359 هـ/1889– 1940م) قد نال شرف حضور مجالس الشيخ المجاوي التي كانت في جامع سيدي الكتاني و هو لا يزال فتى

[1] ) مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق 1984م، ص 64.
[2] ) الباروني، ديوان الباروني، ص 89.
[3] ) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص ص 233- 234.
[4] ) نفسه، ص ص 142- 143.
[5] ) نفسه، ص 152.
[6] ) بكار، مجموع النسب...، ص ص 233- 234 أيضا ص ص 171- 173.

يافعا، فنقل لنا صورة عن بعض دروسه و جوانب من طريقته في التدريس و مدحه شعرا ومما قاله [1]:

فمن لعويصات المسائل بعدكـــم إذا ما بدت في الدرس مضطربـات

و من لمجالس العلوم يُزيِّنهـــــا بعـــــزو تنكيــت و نقـــــد رواة

و من لِلَطائف البيان و رصفهـــا و إلقائـهـــــا في الدرس منتظمات

و من لي بأن أحصي مزاياك كلّها و أنت الخضم الواســـــع الجنبات.

و لم يقتصر نشاط المجاوي على التدريس بجامع سيدي الكتاني و المدرسة الكتانية فحسب بل امتد إلى مدرسة سيدي الجليس المختلطة ذات المستوى الابتدائي و المتوسط التي ترشّح التلاميذ للدراسة في القسم العالي للمدرسة الشرعية، و تضم نحو 177 طالبا من المسلمين الجزائريين و 300 تلميذا من المستوطنين حسب إحصاء سنة 1300هـ/1883 م [2] ثم ارتفع العدد إلى 302 تلميذا جزائريا في سنة 1303هـ/ 1886م كما تشير المصادر الفرنسية غير الرسمية [3].

و من الدروس التي كانت تقدّمها هذه المدرسة في اللغة العربية مبادئ القراءة و الكتابة و الرياضيات و القواعد و مبادئ التاريخ و الجغرافيا، أما اللغة الفرنسية فتشمل مبادئ القراءة و

[1] ) الفاروق، السنة الثانية، عدد 81 ( 19 ذو القعدة 1332هـ/ 9 أكتوبر 1914 م).

[2] ) Berthet, Op cit, p 100.

[3] ) Benoit, De L'instruction et de l'éducation des Indigène..., p24.

الكتابة و النحو و الإملاء و التعبير الشفهي[1]، ويشمل القسم المتوسط الحقوق و الفقه و التوحيد و الحساب و الفلك و التاريخ و الجغرافيا و الطبيعيات و الطب[2].

كان الشيخ المجاوي عضوا في لجنة التعليم بالمدرسة المذكورة[3] التي كان يترأسها متصرّف العمالة الجنرال سينار(Sénard)، و استمرّ بها فيما يبدو حتى عام 1315هـ/ 1898م.

إنّ هذه التجربة المُثمرة للشيخ كمدرّس حرّ ثم موظفا رسميا في مدينة قسنطينة التي استمرت لنحو عقدين من الزمن، جعلت الفرنسيين يضيّقون الخناق على نشاطه في التعليم و اعتبروه «من مقلقي النوم العام»[4] فحوّلوه إلى المدرسة الشرعية بالعاصمة حتى يسهل عليهم مراقبته، لكن رغم ما اعترضته من صعوبات و ما فُرِضَ عليه من رقابة للحد من نشاطه، إلا أنه ترك جيلا طيّبا مثّل الرّعيل الأول من العلماء المصلحين الذين ساهموا في بناء الثقافة الوطنية الجزائرية و المحافظة على خصوصيّاتها.

---

[1] ) Benoit, Op cit, p 35.

[2] ) I bid, p 27.

[3] ) ضمّت هذه اللجنة إضافة إلى متصرف العمالة المذكور النائب المحلي الدكتور الطيب مرسلي، سليمان بن عيسى، العقيد (؟) مسؤول فرقة الزواف، الأستاذ عبد القادر المجاوي، الحاج حمو بن وطاف، حمو بن العربي، إبراهيم بن يوب، الحاج إسماعيل بن الشريف، حمو بن زرناجي، الحاج عبد القادر بن الموفق، المترجم عطية (؟)، الأستاذ مجوب (؟)، عمر بن جلول مالكي بن هبادو، سايح بن شيكو، محمد الطيب بن عزوز، العدل صالح بن الموفـق، يوسف بن سغنـــــي، صالح بن مفتـــــي و ممثلين عن اليهود و المستوطنين.

- Le Progrès de l'Algérie ( 28/7/1892) , 3éme Année, № 307.

[4] ) ابن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق 1986م، ص 23.

**زواجـــــه و ولـــــده:**

إنّ المدينة التي آوت الشيخ عبد القادر المجاوي و عرف بها طريقه إلى الشهرة جعلته يختار من نسائها زوجة صالحة فاضلة، فتزوّج من عيشة بنت صالح بن المير[1] تنتمي إلى أسرة عريقة محافظة، و هكذا تكوّنت العائلة الصغيرة، فرزق منها خمسة أبناء، أربع بنات إحداهن تدعى سكينة توفيت في سنواتها الأولى[2]، و منوبة التي أضحت زوجة لتلميذ المجاوي القاضي أبو بكر بوطالب بن أحمد الغريسي[3]،و ابنتين لم تذكر المظان التي في حدود اطلاعنا اسميهما، إحداهن كانت زوجًا لمحي الدين بوطالب بن أحمد الإغريسي قاضي شاطودان[4] ( شلغوم العيد ) أما الأخرى فلم نعثر على أخبار لها، و الابن هو مصطفى ( 1294– 1349هـ/ 1877– 1931 م) القاضي ذائع الصيت الذي سار على خطى والده بصفته موظفا رسميا[5] لدى الإدارة الفرنسية، و قد وصفته الأوساط الرسمية بالشخصية المرموقة و المؤثرة [6] تدرّج في القضاء فشغل منصب باش عدلا في محكمة تابلاط بالمدية، ثم قاض بسيدي عيسى ( المسيلة ) فقاض بشرشال سنة 1343هـ/1925م[7] ثم البرواقية

[1] ) Journal Officiel de la Républic Française ( lois et décrit), 48éme Année, № 32, (2/2/1916) p 954.
[2] ) Revue Mémoria, № 19, ( 29/11/2013), p 55.
[3] ) Journal Officiel, 62éme Année, № 170, ( 20/7/1930), p 8256.
[4] ) L'Afrique du Nord Illustré, №232, 8éme Année, ( 24/5/1913), p13.
[5] ) L'Echo d'Alger, 16éme Année, № 6626, (1/12/1927).
[6] ) Le Progrès, 37éme Année, № 1880, (5/11/1931).
[7] ) L'Echo d'Alger, (1/12/1927).

( المدية) منذ سنة 1345هـ/1927م[1] و تحصل على وسام شوفالييه سنة 1337هـ/1919م من وزارة العدل الفرنسية[2] ثم وسام جوق الشرف فالوسام العلــوي[3].

توفي القاضي مصطفى المجاوي في 11 جمادي الثانية 1350هـ/24 أكتوبر 1931 م بالبرواقية بعد مرض ألمّ به[4]، و نُقِلَ جثمانه إلى مقبرة عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر العاصمة العاصمة في جنازة مشهودة حضرتها حشود من الجزائريين و المستوطنين[5].

أمّا عيشة زوجة المجاوي فقد توفيت سنة 1354هـ/1935م[6] أي بعد وفاة ابنها مصطفى الذي ترك من الأولاد خمسة، أربعة ذكور هم عبد الرحمان الذي اشتغل باش عدلا في الجزائر العاصمة ( توفي سنة1358هـ/1939م) و محمد نور الدين الذي تولى قضاء حجــوط ( توفي سنة 1388هـ/1968م) و عبد الله اشتغل كهربائيا ( توفي سنة 1395هـ/1975م )، أما عبد الجليل فقد مات في طفولته[7]، كما ترك ابنة هي زوليخة ( توفيت سنة 1370هـ/1951م)[8].

إنّه لمن الصعوبة بمكان أن نُحيط خبرا بكلّ ما تعلّق بعائلة الشيخ عبد القادر المجاوي التي تشتّتت أخبارها في أنحاء الجزائر بحكم وظائف أفرادها و كادت أن تندرس إلا قليلا، و قد حاولنا جاهدين أن نُنشِئ شجرة للعائلة فعثرنا على بعض الفروع و الغصون لكننا لم نتمكن من

---

[1] ) L'Echo d'Alger, 20éme Année, № 8051, (25/10/1931).
[2] ) Journal de Débats Politiques et Littéraires, 139éme Année, № 293, ( 22/10/1927).
[3] ) L'Echo d'Alger,( 25/10/1931).
[4] ) I bid.
[5] ) Le Progrès, 37éme Année, № 1880, (5/11/1931).
[6] ) Revue Mémoria, № 19, ( 29/11/2013), p55.
[7] ) أولمان، المرجع السابق، ص 24.
[8] ) طالبي، آثار ابن باديس، ص 24 ( هامش ).

إتمامها، و ربما قد تحمل لنا الأيام مزيدا من أخبارها، فالبحث التاريخي و التقصّي و التنقيب في آثار الماضين تتطلب الاستمرارية و تضافر الجهـــود، فإذا رمناهما فقد نِلْنَــا خيرا جزيــلا و خدمنا ثقافتنا الوطنية التي نرجو لها الديمومة رغم الصّعاب و تواتر الأحقاب.

**رحلتـــــه إلـــــى المشــرق:**

تجب الإشارة إلى أن معلوماتنا عن هذه الرحلة شحيحة جدا، فلم يكن الشيخ عبد القادر المجاوي يتحدث عن نفسه إلا نادرا بحكم شخصيته التي غلب عليها التَّحَفُّظ، و ما استطعنا أن نَتَلَقَّفَهُ من معلومات كان بفضل مجموعه المُسمّى إرشاد المتعلمين [1].

رغم أن المهتمين بفكر الشيخ المجاوي لم يشيروا إلى هذه الرحلة، فإن البعض جزم بأدائه فريضة الحج قبل شروعه في مهنة التدريس بقسنطينة و مع ذلك لم يقدّم لنا دليلا ملمـــوسًا [2]، [2]، و حسب وجهة نظرنا فرحلة الشيخ إلى المشرق فيما يبدو أنها لم تتجاوز مصر و الحجاز، و نرجّح أن يكون قد اعتمر في شهر رجب الحرام 1294هـ/1876م أو 1877م، فبعد أن أدى مناسك العمرة يمّم وجهه شطر المدينة المنورة فالتقى بأحد علمائها، و يقول في ذلك أنه « لمّا منّ الله عليّ باجتماعي مع نادرة الأدباء و فاكهة النجباء صاحب البراعة و اليراعة و المبرّز في حلبة هذه الصناعة أخي و صديقي إبراهيم سراج المدني [3] أصلا و منشأ المدرّس

[1] ) هي رسالة ألّفها الشيخ المجاوي و طبعها في القاهرة سنة 1254هـ/1877م و هي محل تفاصيل إضافية في الفصل الثالث من هذه الأطروحة.

[2] ) عمر بن قينة، شخصيات جزائرية، دار البعث، الطبعة الأولى، قسنطنة 1983م، ص10 أيضا:
- ابن قينة، عبد القادر المجاوي حياته و آثاره (1948- 1913م)، مجلة الثقافة، عدد 48، ديسمبر 1978م، ص 114.

[3] ) إبراهيم سراج المدني (؟) من علماء المدينة المنورة و هو مدرس و شاعر عاش في النصف الثاني من القرن 19م، تنوع شعره بين المدح و الغزل العفيف على عادة المتقدمين، كما مارس الطب، نشر الشيخ المجاوي بعض أشعاره استملاها منه =

المدرّس في الروضة المطهّرة...»[1]، و يبدو أن للشيخ المجاوي مسامرات مع الشيخ المدني، و على غير العادة لم يفوّت المجاوي تلك الفرصة فراح يصفها و ينقل لنا نفحات منها، و قد غلب شعرها على نثرها، و أعجب بها أيّما إعجاب مُستشهِدا ببديع قريضه بين مديح و وصف و حكمة، فسمع منه « ما يُبهر العقول و يزيّن المعقول و المنقول...» [2] و لشدّة إعجابه به رأيناه يغترف من شعره نَزْرًا و يعترف بفروسيته في هذا المضمار و يستملي و يروي عنه من « غُرر كلامه و دُرر نظامه » [3] و ينقل إلى تلامذته في الجزائر مقطوعات نظمها في أغراض مختلفة، ذكرها لضيق الوقت على سبيل الاقتصار و الاختصار، و استحقّ شعره على حد قول الشيخ المجاوي « أن يُكتَب بالخناجر على الحناجر»[4].

و لمّا قفل الشيخ من الحجاز عَرَجَ على مصر لفترة قصيرة و التقى ببعض علمائها و لكونه مدرّسا بقسنطينة أراد الاطلاع على تجارب التعليم بمصر، فنزل ضيفا على المدرسة القبطية في حارة السقائين بالقاهرة و التقى بناظر المدرسة الأستاذ وهبي تادرس[5] الذي أُعجِب بالشيخ المجاوي و اعترف له بالتميز لما « لحضره العلامة من طول الباع و حُسن التّفنن و

---

= و قيل إن بعضا من شعره نشر في مجلة روضة المدارس المصرية سنة 1292هـ/ 1875م، وأطلعنا الشيخ المجاوي على مقتطفات منه في رسالة "إرشاد المتعلمين".

[1] ) المجاوي، إرشاد المتعلمين، المطبعة الوهبية، القاهرة 1294هـ/ 1877م، ص 15.

[2] ) نفسه.

[3] ) نفسه.

[4] ) نفسه، ص 19.

[5] ) وهبي تادرس ( 1277- 1353هـ/ 1860- 1931م) ولد بالقاهرة و هو من أقباط مصر له معرفة واسعة بعدة لغات كالفرنسية و الانجليزية و الايطالية و الأرمينية و القبطية، التحق بالأزهر و حفظ القرآن الكريم و درس الفقه و الحديث و اللغة العربية و هو شاعر و ناثر، تولى التدريس في المدرسة القبطية بحارة السقائين فناظرا بها ومترجما، نشرت العديد من أعماله و مؤلفاته في مجلتي روضة المدارس و الوقائع، من آثاره: مرآة الظرف في الصرف، الخلاصة الذهبية في اللغة العربية، التحفة الوهبية في اللغة الفرنسية و قصائد في المدح و الرثاء.

- زكي محمد مجاهد، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت 1994م، ص 871.

الإبداع... جزاه الله كل خير »[1] و لم يُخْفِ المجاوي إعجابه بالأستاذ و هبي أفندي فوصفه « بالأديب الكامل الذي شهد بفضله كل فاضل »[2] ، كما التقى على ضيق وقته بأحد أساتذة اللغة العربية بالمدرسة المذكورة و يُدعى حامد سليق[3] فأثنى عليه و أُعجب بأدبه وثقافته و قابله الأستاذ سليق بعواطف الإعجاب و الاحترام لما للشيخ المجاوي « من البراعة التامة و المعرفة العامة...و خُلُوص النية و حسن الطوية »[4].

إنّ رحلة الشيخ المجاوي الحجازية المصرية على قصرها إلا أنها كانت مثمرة على أكثر من صعيد، إذ كان لها وقعها الايجابي على شخصيته، و نقل لنا في الجزائر لمحات من تجربته القصيرة في المشرق و استفاد منها بالاطلاع على أحوال المشرق الإسلامي و بما ينعم به من أمن ألقى بظلاله الطيّبة على واقع الثقافة العربية التي غاب الكثير منها في الجزائر بسبب الاستعمار، لكنه لم ينهل الكثير لضيق وقته و لارتباطاته العلمية كمدرس في قسنطينة.

**أعـــداء و خصـــومات:**

إنّ التجربة الناجحة للشيخ عبد القادر المجاوي كمدرّس في مساجد قسنطينة و مدارسها بقدر ما أكسبته أنصارا و احترام الناس و مودتهم و تقديرهم إلا أنها قيّضت له أعداءً و خصومًا فتعرّض للأذى و المضايقة، و لولا مكانته العلمية و أشياعه لعانى و كابد و لكان طُرد و أُخرِج منها.

---

[1] ) المجاوي، المصدر السابق، ص 20.

[2] ) نفسه.

[3] ) لم نعثر على ترجمة له، و كل ما نعلمه أنه من آل سليق وهي أسرة شريفة في الشام، استقر في القاهرة مُدرّسا للغة العربية في المدرسة القبطية بحارة السقائين.

[4] ) المجاوي، المصدر السابق ( تقريض الأستاذ حامد سليق لكتاب إرشاد المتعلمين في الصفحة الأولى ).

إنّ أولى الخصومات التي وجد نفسه طرفا فيها – و هو من لا ظِنَة – تعرُّضِه للنقد الشديد من الشيخ عاشور الخنقي[1]، الذي استقر في قسنطينة قبل الشيخ المجاوي و ظلّ بها مدرّسا لثلاثين عاما في العلوم العقلية و النقلية، و كانت تجربته ناجحة في بداياتها لأن الطلبة كما قال أُعجِبوا بدروسه «..حتى جاذبتهم كل الجذب فتزاحموا عليها تزاحم الوُرّاد على المنهل العذب...» [2]، لكن فرحته بمهنته تلك لم تكتمل فساءت حاله بعد أن «...دبّت عقارب الإفساد على ألسنة الطلبة، و لدغت أفاعي الإفساد قلوب العلماء بالغَلَبَة، فجدّوا كل الجد في منع الطلبة جَبْرًا من القراءة عليه و من الوقوف معه و إلقاء السلام عليه، و في السِّعاية به إلى الرؤساء و الأماجد حتى أخرجوه من جميع المساجد...» [3].

و رغم أن الخنقي لم يذكر المجاوي بالاسم إلا أنه كان في زُمرة المغضوب عليهم، و ما كان ليذكره جهرة لعلمه بأنّ الشيخ المجاوي يتمتّع بالحماية لمنصبه كمدرس رسمي، و لأن أقاربه من آل البوطالب كانوا من القضاة و العدول، فتأكد الشيخ عاشور يقينا بأن لا طاقة له

[1] ) عاشور الخنقي ( 1264- 1848هـ/ 1848- 1929م) أبو الفيض عاشور بن محمد بن عبيد أبي عبد الله محمد المسعود بن أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي، ولد في خنقة سيدي ناجي (بسكرة)، نشأ يتيما فحفظ القرآن في مسقط رأسه ثم انتقل إلى قسنطينة، و منها إلى نقطة فتلقى بها مختلف العلوم و قفل راجعا إلى قسنطينة، فعكف على التدريس الحر في مساجد المدينة، لكنه تعرض للمضايقة من سلطات الاستعمار الفرنسي و طرد منها إلى برج بوعريريج ثم نفي إلى تاعظميت ( الجلفة ) في جبال العمور و لم يعف عنه إلا بعد أن توسطت له زاوية الهامل ( بوسعادة ) و أكرمت مثواه و صار من مدرسي هذه الزاوية و من المنافحين عنها و لقب نفسه بكليب الهامل، له شعر غزير في أغراض عدة أكثرها في مدح الأشراف تحمل في طياتها الكثير من الخنوع و التذلل، من آثاره المطبوعة كتاب " منار الإشراف على فضل عصاة الأشراف و مواليهم من الأطراف " طبع سنة 1914م بالجزائر.
- عاشور الخنقي، منار الإشراف على فضل عُصاة الأشراف و مواليهم من الأطراف، المطبعة الثعالبية، ط1، الجزائر 1914م، ص ص1-37.

[2] ) نفسه، ص ص 17- 18.

[3] ) نفسه، ص 19.

بهم فاستجار بالصمت و انسحب «...عن ساحة التدريس ساخطا(أو كما قال)... مُكرها أخاك لا بطل...» [1].

و الواقع أننا لم نحط خبرا بتفاصيل الخصومة و حيثياتها بين المجاوي و الخنقي، فهل كان ذلك بسبب الحسد؟ أم بسبب تعيين المجاوي مدرسا في الكتانية و لم يعينوا عاشورا [2] و مهما يكن من أمر فقد لقي الشيخ المجاوي هجاءً لاذعا من عاشور [3]، و في نظرنا أن المجاوي كسب المواجهة إذ كان حصيفا يعمل في صمت و يشق طريقه بهدوء، أما الخنقي فيبدو أن طريقته في التحصيل لم ترق لطلبته و ساءه أن يرى الطلبة قد انفضوا من حوله، و انتقلوا لحضور مجالس المجاوي العامـــرة فهجـــاه بقوله:

كأنّ حلقته سوق ببادیـــة و هو على بغلــة عرجاء سنسار [4].

و ممّا رُوِيَ أنّه نظم قصيدة من سبعمائة بيت سمّاها « الديوان الباوي في هجو المجاوي»[1] لكنّها ضاعت في جملة ما ضاع من آثار الشيخ الخنقي و أضحت أثرا بعد عين.

---

[1] ) الخنقي، المصدر السابق، ص 19.

[2] ) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ص 210.

[3] ) إن الهجاء الذي تعرّض له الشيخ المجاوي كان امتدادا للحملة الشعواء التي أطلقها الخنقي ضد كل من المصلح محمد الصالح بن مهنا ( ت 1311 هـ/1913م) و الأستاذ محمد المولود بن الموهوب، أما المجاوي فبصفته منافسا له في مجال التدريس وأما ابن مهنا و ابن الموهوب فلحملتهما على البدع و مهاجمتهما الطرقية الضالة، و المعروف أن الخنقي كان من المنافحين عنها، حتى بلغ به الأمر تلقيب نفسه بكليب الهامل، و قد كان للشيخ ابن مهنا النصيب الأوفر من الهجاء، من ذلك هجاؤه في قصيدة بعنوان " ترقيص الطلاب بالصالح بن مهنا الكذاب " و مما جاء فيها:

يا بنـــي الكُتّاب قولوا جُنّ جنّ ابن مهنـا
لعنـــة الله عليـــــه حيثما شـــنّ و كنا
وعلـــــى شيعتــه في كل ما شــنّ و سنا

- الخنقي، مصدر سابق، ص 158.

أما الأستاذ ابن الموهوب فكان له نصيبه أيضا من الهجاء بقصيدة عنوانها " شرح الويل الصابح على بيتي الكلب النابح " و هو مخطوط لتخميس شعري توجد نسخة منه في الزاوية القاسمية بالهامل.

[4] ) دبوز، نهضة، ص99، إذا كان الخنقي قد رأى ذلك من العيوب و المآخذ، فإن الشيخ عبد الحميد ابن باديس اعتبر التفاف الناس حول المجاوي من علامات التميّز و التقدير فقال مادحا:

و قام به للعلم سوق تواردت عليه وفود من جميع جهات
فأنهلهم و علمهـــم بشرابه فأرواهـم بالعلم في سنوات

- الفاروق، السنة الثانية، عدد81، 19 ذو القعدة 1332هـ/ 5 أكتوبر 1914م.

لم نر الشيخ المجاوي غرق في حمأ الهجاء المسنون، بل و منع تلامذته من الرد عليه و إن كان منهم من يقرض الشعر من أمثال أحمد البوعوني ( الشاعر البدوي ) ومحمد المولود بن الموهوب و حمدان الونيسي، و لا ندري إن كان المجاوي قد اشتكى الخنقي بعد تعرُّضه للإهانة و الأذى؟ و هي تُهمة بيّنة يعاقب عليها القانون الفرنسي خاصة إذا ما تعلّق الأمر بموظف رسمي لديها، لكن هذه الخصومة التي امتدت لسنوات و مثّلت إحدى حلقات الصراع بين الإصلاح و الطرقية انطفأت جذوتها بعد طرد الشيخ عاشور من قسنطينة و نفيه إلى مدينة برج بوعريريج[2]، التي غادرها دون رجعة بأمر من السلطات الفرنسية إلى تاعظميت ( الجلفة ) في أقصى الهضاب فتعرّض للنّفي و السّجن بها لسبعة عشرة عاما[3].

لم تنته متاعب الشيخ المجاوي عند هذا الحد فقد تعرّض للأذى بعد عودته من رحلته إلى المشرق حتى أنه فضّل « الموت الكريم على هذه الحياة »[4] جراء المضايقة و التهديدات التي طالته من بعض سكان قسنطينة، و ربما كانت الذكرى الأسوء له في المدينة، و فيما يبدو أنها امتدت لشهور، إذ اعتدي عليه بالضرب و تفوهوا بكلام مُهين بحقّه، و شكّكوا في نسبه حتى اعتزل بيته خائفا يترقّب، حتى لا يمنح للمتربصين فرصة إلحاق الضرر به، و بلغ الأمر بهم إلى التلويح بقتله، و كانت التهمة حسبما تشير إليه إحدى الرسائل [5] التي نشرها غرماؤه، أن المجاوي وجّه كلمات مُشينة و أوصافا شنيعة إلى سكان عمالات الجزائر الثلاث

---

[1] ) دبوز، المرجع السابق، ص 91.
[2] ) الباروني، ديوان ...، ص ص 80-81.
[3] ) الخنقي، مصدر سابق، ص ص 22- 23.
[4] ) رأينا أن ننشر الرسالة كاملة في الملحق رقم 2 تتميما للفائدة.
[5] ) Réponse Aux Allégations Publiées par Abdel- Kader El Medjaoui Le Marocain dans le Journal L'Indépendant du 25 Novembre Courant, Typographie L. Arnault, Constantine.

دون استثناء واصفا إياهم بالحيوانات و السوائم، فطفق بعض أهالي المدينة المدفوعين بنوايا سيئة يهدّدونه لإرغامه على مغادرتها دون رجعة معتبرين ذلك نصيحة منهم إلى ذلك "المغربي" إذا كان يسري في دمه شرف.

و حاول الشيخ المجاوي الدفاع عن نفسه من تهمة لم يرتكبها مُطالِبا « بالرحمة و العفو » و لكنه لم يُفلح، فلجأ إلى الصحافة لتكون واسطة بينه و بين المتحاملين عليه، داعيا السلطات الفرنسية لأن تقوم بعملها و تتولى حمايته [1].

و يشير المتحاملون عليه في الرسالة المُحرَّرة باسم بعض سكان قسنطينة الغاضبين أن الشيخ قد بالغ عندما طلب الحماية لنفسه ! لأن معشر الغاضبين لا يسعون إلى تطبيق العدالة بأنفسهم بل ينتظرون رد فعل السلطات الفرنسية.

و يتساءل هؤلاء عن الجدوى من طلبه الحماية و قد استعان ببعض أصدقائه للدفاع عنه عند الحاجة، مع أنّ الناس قد عفوا عنه، لكنه – كما يشيرون – فقد احترامهم بالمقابل بعد أن تنكّر للعِشْـرة.

و بشيء من التهكّم يضيف محرّر الرسالة، بأنّ على الشيخ عقد صداقات جديدة، و البحث عن قوم آخرين في مستوى علمه ليُدفَن معهم أو أن يشتمهم إن شاء و يدّعي بعدها بأنه يسدي إليهم النصائح.

[1] ) انظر الملحق رقم 2.

و لنا أن نتساءل إن كان للفرنسيين ذراعًا في عاصفة الغضب التي طالت الشيخ المجاوي و كادت أن تُخرجه من مدينة قسنطينة ؟ إنّه و إن كان قد أفلت من هذه الخصومة فليس هناك مجالا للشك أن الإدارة الفرنسية تراقبه، لأنها تنظر بعين الريبة لكلّ ما من شأنه إيقاظ معشر الجزائريين من هجعتهم.

لقد كان على الشيخ المجاوي أن يكفّ عنه أيضا أذى أحد يهود مدينة قسنطينة و يُدعَى شَالُومُون عَدِيدَة، ويبدو أنه كان من تجّار المدينة، لقد ظهرت خيوط هذه القضية في 11 جمادي الأولى 1296هـ/ ماي 1879م عندما استدان محمد بن الحاج صالح و نعتقد أنه صهر المجاوي ( شقيق زوجته ) مبلغ أَلْفَا فرنكا فرنسيا، من شخص يُدعى سي الحاج طاهر و يعود هذا المال في الأصل لليهودي المذكور و قد سُجِّل ذلك الدين في ذات الفترة، و جرى تأكيده باستئناف مؤرخ في 21 ذو القعدة 1298هـ/15 أكتوبر 1881م [1]، أمّا المجاوي فكان وصيا على المبلغ الذي استدانه صهره محمد بن الحاج صالح، و عندما طالت مدّة الدين تحرّك اليهودي عديدة و رفع دعوى قضائية ضد الشيخ المجاوي بصفته وصيا على الدين المذكور، و في نظرنا أن هدف اليهودي هو إسقاط صفة الوصي عن المجاوي، فصدر حكم قضائي يَحرِم المجاوي من حقوقه المدنية في حال عدم سداد الدين و يُلزمه بذلك، و عليه أيضا أن يدفع لليهودي مبلغ 43 فرنكا فرنسيا كفوائد [2] و 15 فرنكا إضافية كمصاريف التنازل عن صفة الوصي، و صدر حكم غيابي في 28 رجب 1300هـ/4 جوان 1883م يؤكد الحكم

[1] ) Revue Algérienne et Tunisienne de Législation et de Jurisprudence, Tome 2 éme, Année 1886, Adolph Jordon Libraire Editeur, Alger 1886, pp 281-282.

[2] ) يبدو أن اليهودي عديدة كان يسعى من وراء الضغط على المجاوي الحصول على فوائد من الدين المذكور و هو ديدن اليهود الذين لا ذمة لهم، و من المعلوم أن الشريعة الإسلامية حرّمت التعامل بالربا.

المذكور كقرار مُلْزِم و غير قابل للاستئناف، و تم تثبيته في 9 شعبان 1301هـ/27 ماي 1884م رغم معارضة الشيخ المجاوي، و لا ندري إن كان قد استعان بأصهاره من آل البوطالب الذين يشتغلون قضاة و عدولا في عمالة قسنطينة، فقد تقدّم بطعن إلى هيئة المحكمة و قدّم «...حُجَجًا منطقية لا يمكن تجاهُلها ...» [1] حسبما أشارت إليه هذه الهيئة، مكّنته من كسب القضية و ثبّتت الطعن، فأدانت اليهودي عديدة و ألزمته بدفع كافة المصاريف المُتعلقة بالقضية [2]، و هكذا حقّق المجاوي انتصارا معنويا و استطاع أن يَكُفّ عنه كيد هذا اليهودي.

لقد نجح الشيخ في تجاوز العقبات التي اعترضته في قسنطينة بمختلف الوسائل، و يبدو أن حصافته و معالجته الأمور بحكمة ساهمت بقسط وافر في دفع الأذى عنه، حتى أضحى بمرور الزمن من صفوة القوم و ممّن يشار إليهم ببنان الاحترام، و ساهم بشكل أو بآخر في ما شهدته المدينة من حراك اجتماعي و ثقافي كان آنذاك لا يزال يخطو وئيدًا كما سنرى.

**مـــــــواقف و مطالب:**

نشط الجزائريون في تقديم العرائض منذ السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي لحماية وجودهم و دفع أذى و سطوة المستوطنين، و لعلّ العرائض التي قدّمها سكان قسنطينة لدليل على مدى الضّيم الذي حاق بهم و بغيرهم من الجزائريين [3]، و قد طرقت تلك العرائض مسائل

---

[1] ) Revue Algérienne et Tunisienne..., p 283.

[2] ) I bid.

[3] ) نذكر من بين العرائض، عريضة 16 صفر 1304هـ/ 14 نوفمبر 1886م لإصلاح شؤون الديانة الإسلامية، و عريضة 18 شوال 1304هـ/ 10 جويلية 1887م التي تضمنت مطالب اجتماعية و ثقافية، و أخرى في 7 ذو القعدة 1304هـ/ 28 جويلية 1887م تصف ما يُحَاك ضد الديانة الإسلامية دون غيرها و ضرورة حمايتها، و عريضة 12 ذو الحجة 1309هـ/

مختلفة، و الواقع أن الشيخ عبد القادر المجاوي كان في زُمرة المدافعين عن مصالح مسلمي قسنطينة و لم يكن بمفرده بل في جملة المدرّسين و الأعيان و أصحاب الحرف و الصنائع.

كانت بدايات هذا النشاط وئيدة، لكنّها لفتت أنظار السلطات الفرنسية، فقد سعى أحد المستوطنين و يُدعى بول إيتيان Paul Eteinne إلى تأسيس صحيفة دُعِيَت المنتخب [1] و نرجّح أن يكون أعيان قسنطينة من وراء تأسيسها و أُسنِدت إدارتها إلى هذا المستوطن، سيّما و أن الفرنسيين لم يسمحوا حتى ذلك العهد للجزائريين بتأسيس صحف تعبّر عن آرائهم و مواقفهم، و قد ظهر هذا الرجل بمظهر المنافح عن الجزائريين الذين تعرّضوا لأذى المستوطنين عبر هذه الصحيفة التي وجدت التفاتا و التفافا من أعيان و قضاة و مُدرّسي قسنطينة، خاصة من عائلتي ابن باديس و بوطالب و كان الشيخ المجاوي من بينهم[2].

إنّ ما يهمُّنا هنا هو رأي الشيخ المجاوي مما يجري حوله من أحداث، فمن النادر أن نراه يقحم نفسه في قضايا كهذه، و قد كان هو و من معه حذرين كلّ الحذر لِئَلاّ يثيروا غضب الإدارة الاستعمارية، فعبّروا عن مواقفهم بقليل من الجرأة، إذ لم تتعدّ مطالبهم حدود مسألة تمليك الأرض و التعليم المجّاني للجزائريين، و الدفاع عن اللغة العربية كمكسب ثقافي بِجَعلِها إلزامية إلى جانب الفرنسية [3]، و من دون شك أنّ المطلب الأخير كان من اهتمامات المجاوي و غيره

---

= 8 جويلية 1892م ممضاة من شخصيات دينية على رأسها الشيخ حمدان الونيسي القسنطيني، و الواقع أن هذه العرائض و غيرها كانت انعكاسا للسياسة الفرنسية في مختلف المجالات، و قد اقتصرنا على بعضها على سبيل المثال لا الحصر.

[1] ) ظهر أول أعدادها في 4 جمادي الثانية 1300هـ/ 23 أفريل 1882م و كانت تصدر باللغتين، و الملاحظ أن النسخة العربية لم تكن إلا ترجمة للنسخة الفرنسية و لم تهتم بالأدب و المقالات، كما أنها لم تعمر طويلا، إذ توقفت بعد صدور أربعين عددا منها حتى 12 ربيع الأول 1300هـ/ 21 جانفي 1883م – سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 68.

– جمال قنان، نصوص سياسية جزائرية في القرن 19 م ( 183- 1914م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2002م، ص 62.

[2] ) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ص 49.

[3] ) قنان، المرجع السابق، ص 184.

من المدرسين الرسميين، لأنه من ضمن اختصاصهم و قد رأينا مِنْ هؤلاء من سخّروا أقلامهم لهذا الغرض [1].

لكن الصحيفة التي استبشر سكان قسنطينة المسلمين بصدورها و منحتهم لبعض الوقت أنفاسا واهنة توقّفت عن الصدور بإيعاز من الإدارة الاستعمارية التي كادت تحصي على الناس أنفاسهم، و رغم ذلك لم تتوقف جهود الشيخ المجاوي و غيره من مثقفي المدينة، فقد سعى و من معه إلى تقديم العرائض و بسط المطالب التي لم تخرج في مجملها عن الإطار الثقافي بالدفاع عن اللغة العربية و « ...نشر التعليم الأنسب بلغة البلاد ...» [2].

و الجدير بالذكر أن الدائرة التي كان المجاوي ينشط بها قد اتسعت بانضمام مستشارين بلديين و رجال إفتاء و مستخدمين و رجال صناعة، إضافة إلى الأساتذة و القضاة و العدول، و لكن جرى التركيز في ذات الفترة على شخصيتين من رجال الفكر « شهرتهما غير محصورة في منطقة قسنطينة، و نعني بهما الشيخ عبد القادر المجاوي ... و الشيخ حمدان الونيسي...»[3]، إذ لهما من الباع ما يُؤهّلهما لتزعّم مبادرة تقديم عريضة 18 شوال 1304هـ/10 جويلية 1887م التي جرى توقيعها من طرف 1700 شخصية من عمالة قسنطينة، و توسيع رقعة المطالب مع التركيز على الجانب الثقافي، و جعلت البعض يعتقد جازما بأنهما قد تولّيا صياغتها باسم سكان قسنطينة المسلمين، و عبّرت حسب وجهة نظرهم

[1] ) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج٦، ص 69.
[2] ) مصطفى الأشرف، الأمة و المجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر 2007م، ص 240.
[3] ) نفسه، ص 241.

عن «... وعي قومي عميق للردّ على محاولات الاستعمارية الاندماجية ...»[1] لكن و إن كان ذلك مؤشرا على رد فعل إيجابي من جانب الشيخ المجاوي و غيره من مدرسي قسنطينة و أعيانها، إلا أنه من المبكر جدا الحديث عن « نضال سياسي» [2] قاده الشيخ ضد الفرنسيين انطلاقا من قسنطينة !

إنّ اهتمامات المجاوي بِردّ الاعتبار للثقافة الجزائرية و الدفاع عنها في ذلك الظرف العصيب قد سببت له المتاعب، و جعلته مُراقبا من الإدارة الاستعمارية التي حشرته في زمرة « مُقلقي النوم العام »[3] فحوّلته إلى الجزائر العاصمة و احتفظت له بمنصبه كمدرس لتسهيل مراقبته، و طوّقوا عنقه بأغلال الوظيف، فلم نره أقحم نفسه بعد انتقاله إلى العاصمة في بسط المطالب و تقديم العرائض.

و مما يجدر ذكره أن مجموعة من الأعيان و المثقفين و التجار و المفاتي في مدينة الجزائر و جّهوا خطابا للحاكم العام بول ريفوال (1318– 1320هـ/1901– 1903م) و كان الشيخ المجاوي من بينهم[4] باسم سكان الجزائر المسلمين يعبّرون عن امتنانهم لشخصه

---

[1] ) الأشرف، المرجع السابق، ص 238.

[2] ) نفسه، ص 250.

[3] ) ابن نبي، شروط النهضة، ص 23.

[4] ) وقّع الخطاب السادة الآتي ذكرهم: محمد بن مصطفى بن زاكور المفتي المالكي، محمد بو قندورة المفتي الحنفي، بلبحار عمر بن حمدان قاضي مالكي، دراجي حمو بن أحمد القاضي الحنفي، عبد القادر المجاوي بن عبد الله الأستاذ بمدرسة الجزائر، ابن زكري محمد السعيد بن أحمد الأستاذ بمدرسة الجزائر و الإمام في مسجد سيدي رمضان، علي بن الحاج موسى إمام مسجد سيدي عبد الرحمان، محمد بن الحاج موسى و كيل مسجد سيدي محمد بن عبد الرحمان، علي بن الدراجي إمام مترجم، الحاج حمدان بن محمد نائب، محمد دادي نائب، محمد بن علي بن طالب ... و غيرهم.

- لم تذكر الصحيفة إلا أسماء هؤلاء و فيما يبدو أنها ضمت عشرات التوقيعات:

- Le Mobacher 13 Châaban 1320h/ 15 Novembre 1902, 54éme Année, № 4466.

و المُلَاحظ أن هذا الخطاب نُشِرَ لاحقا في:

- Journal Officiel, 35éme Année, № 86, (28/3/1903), pp 1388- 1389.

و تفكيره السّديد بتنظيمه للمحاكم القمعية! التي رأوا أنّها وضعت حدّا للانتهاكات التي يقوم بها بعض الأشرار تجاوزا للقانون وإضرارا بالعامة من الناس.

و يشير مُحرّرو ذلك الخطاب بأن سكان الجزائر المسلمين ثمّنوا العدالة الجديدة التي أقامتها الحكومة الفرنسية، و كُلِّفَ بها قضاة من مسلمي الجزائر.

و المُلفت للانتباه عثورنا على وثيقة صادرة عن محكمة تلمسان مؤرخة في 3 جمادي الأولى 1326هـ/ 3 جوان 1908م موقّعة باسم الشيخ المجاوي يطالب فيها بإلغاء حكم الإدانة في المسائل القمعية المتعلّقة بالأهالي ( الجزائريين )[1]، و لا ندري إن كان قد زار تلمسان في تلك الفترة ؟ و نعلم أنه كان آنذاك مستقرا بالجزائر العاصمة مُدرّسا و إمامًا.

رأينا أن نشاط المجاوي في قسنطينة كان مؤثّرا، إذ شارك بفعالية في الحراك الاجتماعي و الثقافي الذي عرفته المدينة، قبل أن يتمّ نقله إلى الجزائر العاصمة، و يبدو أنه قد لجأ إلى أسلوب أخر بعد المضايقة التي تعرّض لها فأضحى يُمارس نوعا من التّقية.

**فـــي مدرســـة الجزائـــر:**

انتقل الشيخ المجاوي إلى الجزائر العاصمة في 24 ذو القعدة 1315هـ/16أفريل 1898م، بقرار من الإدارة الفرنسية[2] و عُيّن مدرّسا للفقه و التوحيد و اللغة العربية في القسم العالي لمدرسة الجزائر التي اختصت بتدريس العلوم العقلية و النقليـة لتخريج القضاة و

[1] ) Pandectes Française Périodiques , Recueil Mensuel de Jurisprudence et de Législation, Librairie Général de Droit et de Jurisprudence, 23éme Année, paris 1908, p 88.
[2] ) Archive d'Outre Mer ( Aix en Provence ) 14 H 44.

العدول[1]، و يدرّس الطلبـــة باللغتين العربيـــــة و الفرنسيـــة، فالمواد التي تُدَرَّسُ بالعربيـــة هي اللغة و التوحيد و الفقـــه الإسلامي، بينما تُدرَّس الهندســـة و الحساب والتاريخ و الجغرافيا و الهيئة و العلوم الطبيعية و القواعد و الأدب و القانون و حفظ الصحة باللغة الفرنسية[2]، و يحصل الطالب بعد سنتين دراسيتين على شهادة العلوم العليا[3]، و يجزم البعض أنّ هذه المدرسة شُيِّدت أساسًا لتلميع صورة فرنسا في العالم الإسلامي[4] وخاضعة لسلطة وزارة الحربية الفرنسية ! و هي بذلك ذات صبغة سياسية[5].

و يقتصر دور المدرّسين الجزائريين من وجهة نظر الفرنسيين على تعليم فئات من الجزائريـــــــــن و إعدادهم لوظيفة قضاة و عدول و مفاتي للاستفادة منهم[6] في المشروع الاستعماري.

إذا كان البعض قد رأى في تعيين المجاوي ترقية يكون قد حصل عليها من الإدارة الفرنسية[7]، فإن البعض الآخر يجزم بأن القرار الفرنسي له أبعاده و خلفياته السياسية[8]، فمن مصلحة الفرنسيين تحويله حتى تسهل مراقبته، و على هذا الأساس فإنّ هذه الخطوة المدروسة من الجانب الفرنسي كانت ترقية في الظاهر و مراقبة و تقييدًا في الباطن.

---

[1] ) الخضر الحسين و آخرون، خمس رحلات...، ص 34.

[2] ) Claude Bentemp, Manuel de l'institution…, , p 510

[3] ) الخضر الحسين وآخرون، المصدر السابق، ص 34.

[4] ) Allan Christelow, Algerian Muslim Judges and the Colonial State 1854- 1892, University of Michigan 1977, p 436.

[5] ) Bentemp, Op cit, p 523.

[6] ) Archive d'Outre Mer ( Aix en Provence ) 14 H 47.

[7] ) المجاوي، اللمع...، ص 5.

[8] ) ابن نبي، شروط النهضة، ص 23.

رغم أن المجاوي حديثُ عَهْدٍ بمدينة الجزائر، إذ لم يكن قد زارها قط في حدود علمنا قبل تولّيه مهنة التدريس بها، إلا أنه لم يجد صعوبة في فرض نفسه كأستاذ كونه اكتسب خبرة طويلة في هذا المجال، فبعد سنتين من العمل نراه على رأس أساتذة القسم العالي لمدرسة الجزائر بعد مديرها دولفان Delphin [1] و ممّن يُشار إليهم ببنـــان الاحترام.

لقد وردت العديد من التقارير [2] التي أعدّها مفتّشو مدرسة الجزائر بشأن الشيخ المجاوي منذ ترسيمه بالمدرسة في 10 رمضان 1318هـ/1 جانفي 1901م و الراتب الذي كان يتقاضاه و المقدر بثلاثة آلاف فرنكا فرنسيا[3]، لكن ما تجدر الإشارة إليه أنّ أساتذة المدرسة من الفرنسيين كانوا يتقاضون مرتّبات مضاعفة إذا ما قارنّـــاهم بنظرائهم من الجزائريين رغم ما بذلـــوه من جهـــود.

و منذ سنة 1322هـ/1904م أُسنِد إليه تدريس علم الفلك والهيئة إضافة إلى المواد المُوكَلة إليه قبل ذلك[4]، و في الموسم الدراسي الموالي 1323 – 1324هـ/1905– 1906م كتب المفتش الفرنسي في تقريره عن الشيخ المجاوي أنه يحظى باحترام طلبته و يتمتّع بحُسن السّيرة و الهندام[5]، و دَوَّن ملاحظة في 26 ربيع الثاني 1323هـ/30 جوان 1905م يصفه

[1] ) Almanach National, Annuaire Officiel de la République Française pour 1900, Berger Lovrault Ed Paris 1900, p 1171.
[2] ) Archive d'Outre Mer ( Aix en Provence ) 14 H44.
[3] ) الملحق رقم 8.
[4] ) الملحق رقم 11.
[5] ) الملحق رقم 9.

بالأستاذ اللامع الذي يتحلّى باليقظة و الصرامة، و مع أنّ دروسه تقليدية إلا أنّه مؤثّر و ذو حصافة و يتعامل بإيجابية مع تلامذته[1].

و يشهد الكثير من تلامذته بخُلوص نيّته « و محبّة العلم و الميل إلى بثّـــه و نشره و إعانة ذويه والحرص على شيوعه بأيّ الطرق الممكنة ... و كثيرا ما يُنفق على طلبة العلم و يساعدهم حتى يحصلوا منه على نبذة كافية لهم »[2] و منهم من أساء إليه من تلامذته « فإنّهم بعد أن يكترعوا من حياض معارفه ويتزوّدوا من مواهبه و عطاياه، و ينسبون إليه ما سوّلت لهم نفوسهم، ثم يضطرّون إليه فيأتونه و يجدون منه قلبا سليما و ضميرا خاليا من المُؤاخَذة...»[3].

إنّ سرّ نجاح الشيخ المجاوي في أدائه لهذه المهنة النبيلة هو « سلوكه في معاملة التلامذة طريقا وسطا، لا يَنْحَطُّ عن مكانة عِزّة النفس و لا يرتفع عن سماحة التواضع تَحْمِلُه عواطف النسب العلمي عن العناية بشؤونهم و بذل الوُسْعِ في قضاء مآربهم، و يَصُدّه عُلُوُّ الهِمَّةِ عن مجاراتهم فيما يزري بخطته الشريفة...» [4].

لقد كان تلامذة الشيخ المجاوي هم خاصّته، إذ كان منهم من لا يفارق مجلسه سواء في أثناء الدروس أو في أعقابها [5] حبًّا له و تعلُّقا به، و لم تكن طريقته في التدريس مَثار إعجاب طلبته و تلامذته فحسب، بل تجاوز الأمر إلى العلماء و المشائخ من ذوي الباع

---

[1] ) الملحق رقم 10.
[2] ) المجاوي، اللمع...، ص 3.
[3] ) نفسه، ص 5.
[4] ) الخضر الحسين وآخرون، مصدر سابق، ص 38.
[5] ) نفسه، ص 37.

و الاطلاع و كان من أولئك الشيخ محمد الخضر الحسين[1]، الذي زار عاصمة الجزائر سنة 1322هـ/1904م و حضر جانبا من دروسه التي تجاوزت إلى المساجد، إذ كان يلقي دروسا في مسجد سيدي محمد الشريف، و من الدروس التي حضرها ذلك الضيف في الحديث "جوهرة التوحيد" يوم13 رمضان1322هـ/20 نوفمبر 1904م، و حضر في الليلة الموالية درسه الاعتيادي في الأربعين النووية و كان موضوع تلك الليلة " الدين النصيحة " و قد شهده الخاصة و العامة في « مَجْمَعٍ عظيم » [2].

و يبدو أن الشيخ الزائر على سعة علمه نراه قد استفاد من تجربة الشيخ المجاوي في التدريس فاستحسن « اقتصاره في كلّ فنٍّ على تقدير مسائله التي يشملها موضوعه و عدم خلط بعضها ببعض، و قد كنت ممن أُبتُلِي درسه باستجلاب المسائل المختلفة الفنون و أتوكّأ في ذلك على أدنى مناسبة، حتى أَفْضَى الأمر إلى أن لا أتجاوز في الدرس شطر بيت من ألفية ابن مالك مثلا، ثم أدركت أنها طريقة مُنحرفة المِزاج عقيمة من الإنتاج، و نرجو أن تكون توبتنا من سلوكها توبة نَصُوحًا »[3].

---

[1] ) محمد الخضر الحسين ( 1293- 1377هـ/ 1873- 1958م) ولد بنقطة في تونس و هو من أصل جزائري لعائلة شريفة، نشا في بيئة صافية مفعمة بالعلم، فحفظ القرآن الكريم و درس بعض العلوم الدينية و اللغوية على شيوخ المنطقة و على خاله محمد المكي بن عزوز الذي كان يهتم به و يرعاه، انتقل مع عائلته إلى تونس سنة 1306/ 1888م فانتسب إلى الزيتونـــة و درس على كبار مشائخها فحصل على شهادة التطويع سنة 1316هـ/ 1898م، و هي شهادة تُمكّن حاملها من الظفر بمناصب علمية أو دينية، تولى قضاء بنزرت و لم يدم فيه طويلا، و عُرِف بنشاطه الحثيث في الصحافة فأسس مجلة السعادة العظمى سنة 1322هـ/ 1904م، و اشتهر برحلاته الكثيرة إلى الجزائر و مصر و الشام و مالطة و اسطنبول و ألمانيا فاستفاد منها أيّما استفادة في تكوينه العلمي و انخراطه في العمل السياسي لاهتمامه الشديد بما يمور به المشرق و المغرب و أوربا من أحداث، استقر في القاهرة منذ 1338هـ/ 1920م و حصل على الجنسية المصرية، فاهتم بالتأليف ثم استُدعِي لتولي مشيخة الأزهر ما بين سنتي 1371- 1373هـ/1952- 1954م، توفي بعد مرض لازمه الفراش و أوصى بدفنه في مقبرة آل تيمور بالقاهرة.
- محمد مواعدة، محمد الخضر الحسين، حياته و آثاره (1873-1958م)، الدار التونسية للنشر، تونس 1974م، ص ص 21-130 (بتصرف).

[2] ) الخضر الحسين وآخرون، مصدر سابق، ص 37.

[3] ) نفسه، ص ص 37-38.

و يجدر بنا أن نذكر وصيّته الخالدة لأحد تلامذته النجباء ممّن كان لهم عظيم الشأن و هو أرزقي الشّرفاوي [1] الذي أضحى من كبار المشائخ، لمّا عزم على الهجرة في طلب العلم بالأزهر، و ممّا رُوِيَ أنّ الشيخ المجاوي شجّعه على ذلك و أوصاه وصيّة الوالد لولده: « أوصيك بوصيّة أجمع لك فيها علم العلماء و حكمة الحكماء فَعُضَّ عليها بالنّواجذ، أَحْسِن الظنّ بالله و اتّقه في السرّ و العلانية و تَسلَّح بالصبر فأنت المُنتصر، و الرجل يصهره القدر في بَوتَقـــة المِحَــن و الخطوب و لكنّــه ينكشف عن ذهب خالص »[2] ثمّ تلى قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[3].

لقد أقرّ كل من عرف الشيخ المجاوي بحصافته و سداد رأيه إذ له « الأستاذية على الكلّ و المَشيَخة على الجميع، فإذا قال فلا يضع أقواله إلا في مقاعدها و إذا كتب فلا تقع كتاباته إلا في مواقعها من النفوس المُهذّبة و القلوب الواعية و الآذان السامعة » [4].

---

[1] ) أرزقي الشرفاوي ( 1302-1364هـ/ 1880-1942م) محمد أرزقي بن محمد وعلي ولد بقرية شرفاء بهلول بعزازقة حفظ القرآن الكريم بزاوية أحمد الإدريسي البجائي، و درس النحو و الفقه و التوحيد و مبادئ العربية و الحساب، ثم انتقل إلى العاصمة فواصل دراسته بالثعالبية على يد الشيخ عبد القادر المجاوي و حضر دروسه خارج المدرسة لعامين، هاجر بعدها إلى مصر و التحق بالأزهر و رغم ما عاناه من عنت و شظف عيش إلا أنه استطاع أن يشق طريقه بنجاح، و تأثر بأستاذيه العلامة محمد بخيت المطيعي و الشيخ يوسف الدجوي، نال شهادة العالمية سنة 1339هـ/1921م، و تولى التدريس بالأزهر و انكبّ على التأليف، و بعد أن أدى مناسك الحج سنة 1351هـ/1933م، عاد إلى وطنه من بوابة الجزائر العاصمة، و لم يلبث بها طويلا، إذ قفل راجعا إلى مسقط رأسه فتولى التدريس، إلا أنه تعرّض للمضايقة بسبب مواقفه الواضحة من الاستعمار، من مؤلفاته: الخلاصة المختارة في فضلاء زواوة، إرشاد الطلاب إلى ما في الآيات من الإعراب، الرسالة الفتحية في الأعمال الجيبية و هو مفقود، و له مقالات مفيدة نشرت في صحيفتي الصّدّيق و البصائر، دُفِنَ بمسقط رأسه بشرفاء بهلول.
- محمد الصالح الصديق، الشيخ الرزقي الشرفاوي حياة و آثار، شهادات و مواقف، دار الأمة، الطبعة الأولى، الجزائر 1998م، ص 18.

[2] ) نفسه.

[3] ) سورة النساء، الآية 100.

[4] ) المجاوي، اللمع...، (تقريض محمود كحول).

هكذا كان الشيخ عبد القادر المجاوي في مدرسة و مساجد مدينة الجزائر شعلة من النشاط و الجد و ظل على ديدنه لنحو ستة عشر سنة متواضعا يختلط بالعامة و لا تفارقه مهنة الأستاذ فتعلّق به تلامذته و تأثروا به، و قد رأينا منهم من التحق به في الجزائر فهم تلامذته و زملاؤه.

أدرك الشيخ أنّ العلم هو أساس التقدم فَبثّه في أوساط العامة و الخاصة، فكسب احترامهم و مودتهم، وتلك هي أخلاق علمائنا بالأمس فَنِعِمَّا هي، و شتّان بينهم و بين علماء اليوم إلا قليلا فهل من مُدَّكِر؟

**شخصيتـــه و علاقاتـــــه:**

كان الشيخ المجاوي مُعتدلا في قامته يميل إلى النحافة أسمر تشُوبه حُمرة [1]، و كان متواضعا في مظهره يلبس القشّابية المغربية و عليها برنوس و يلتحف عمامة [2] على عادة مشائخ أهل الجزائر، و يَرى المُتأمّل في شخصه مَخَايِلَ العلم و الأدب و التُّؤْدَة و العِفّـــة و التّقوى و التواضع [3].

و على سعة علمه و حصافته لم يكن ممّن يتكلّمون عن أنفسهم و يتباهون بها، و هي من الصفات التي قلّما تتوفّـر في كثير من علماء زماننا الحاضر، و كان في كلامه فَكِهًا يخالط العامة من الناس و يخاطبهم بما يفهمون، فَأُشْرِبُوا حُبَّه و أَسَرُّوا و أظهروا له الاحترام و

[1] ) دبوز، نهضة...، ص 95.
[2] ) نفسه، ص 89.
[3] ) المجاوي، اللمع...، ص 5.

أطلقوا عليه لقب الأُونْسِي « لأُنسهم و حبهم له »[1]، فكان مثالا لِحُسن الخُلُق و كرم الطّبع و لباب الفضيلة [2]، ذو مكانة، ليِّنا سَمْحًا « زيادة على فُطِرَ عليه من سخاء اليد و مساعدة المحتاجين و إسعاف المضطرين و غضّ النظر عن الحسدة و المتقوِّلين، و قد يزيد في الإحسان إليهم و البرور بهم و الثنـــاء عليهم »[3].

أجمع مُعاصرو الشيخ المجاوي على وصفه بما يليق بمقامه فأنصفوه و أُعجبوا به و من أولئك العلماء الأستاذ سليمان باشا الباروني[4] عند نزوله مدينة الجزائر زائرا سنة 1316هـ/1899م، و كان الشيخ على كبر سنّه و عريض قدره قد جاء للسلام عليه في إقامته و ما ذلك إلا لتواضع و كرم منه، فأوفاه الباروني حقّه من الثناء و التنويه إكبارا و إعجابا بخصاله و أخلاقه و سعة علمه فأنشده قائـــلا:[5]

أهلا و سهلا بالإمـا م الأَرْيَحِـــي الناصر

شرَّفت بيتا زرتـــــه يـــا بحر علم زاخر

---

[1] ) دبوز، المرجع السابق، ص 93.

[2] ) الفاروق، السنة الثانية، عدد 81، 19 ذو القعدة 1332هـ/ 9 أكتوبر 1914م.

[3] ) المجاوي، المصدر السابق، ص 5.

[4] ) سليمان باشا الباروني ( 1227- 1359هـ/ 1870- 1940م) ابن عبد الله بن يحي الباروني ولد بجبل نفوسة ( طرابلس الغرب ) أخذ العلم عن والده ثم التحق بالزيتونة في تونس سنة 1305هـ/ 1887م لمواصلة دراسته، ثم بالأزهر بمصر سنة 1310هـ/ 1892م، و التحق بمعهد الشيخ محمد بن يوسف أطفيش بالجزائر سنة 1313هـ/ 1895م لدراسة العلوم الشرعية، عاد بعدها إلى طرابلس فولج باب السياسة و عُيِّن عضوا في مجلس المبعوثان بالأستانة مُمثِّلا عن طرابلس الغرب و لُقِّب باشا، و بعد الغزو الايطالي انتظم في حركة المقاومة الرسمية منذ سنة 1329هـ/ 1911م، انتخب رئيسا للجمهورية الطرابلسية التي تأسست سنة 1326هـ/ 1918م، و نسج علاقات مع الساسة و العلماء و القادة في العالم الإسلامي، و كان يطمح إلى إنشاء جامعة إسلامية، و ساهم في الحركة الثقافية بتأسيسه للمطبعة البارونية و إصداره لصحيفة الأسد الإسلامي بالقاهرة و صحيفة الباروني باسطنبول من آثاره: مختصر تاريخ العائلة البارونية (مخطوط)، الأزهار الرياضية في أئمة و ملوك الإباضية (جزآن) و ديوان شعر و مؤلفات أخرى مخطوطة، توفي في مومباي بالهند و دفن بها، و في سنة1393هـ/ 1373هـ نُقِلت رُفاته إلى طرابلس الغرب.

- الباروني، ديوان...، ص ص 5- 6 (بتصرف).

[5] ) نفسه، ص 89.

فاهتــزت الأرواح من مرأى سنــاك الباهــر

هذا على دوح الرُّبى صنو الهزار الساحـر

حيّـــا و غنى قائـلا يا مغرمـــــا بالناثر

بشرى هذا بحر العلـــ وم الشيـخ عبد القادر

قلنـــــا احتراما و الرضا و البِشْرُ بــاد ظاهر

ادخل هنيئا بالســـلا م يا سعدنــا بالزائـر.

و جدّد الشيخ المجاوي زيارته للضّيف المُسافر، و كان قد تواعدا بارًّا بوعده فزاد ذلك من إعجاب الباروني به فمدحه قائلا:[1]

كوكب المغرب في برج الأسد حلّ بالإجلال في ليل الأحد

فصفـــا الأُنس و طاب الإلتقا مُذْ غَدَا مركزنا قطب البلـــد

سيبويـــه العصر من هذّبه أدّب العلـم فـــأروى من ورد

ذاك عبد القــادر الطـــود الذي لا يقول القول إلا بِسَنَد.

و عندما نزل الشيخ محمد الخضر الحسين مدينة الجزائر في 13 رمضان1322هـ/20نوفمبر 1904م و مكث بها أياما، كان في جملة من لقيهم من العلماء

[1] ) الباروني، المصدر سابق، ص 89.

الشيخ المجاوي فوصفه « بالعالم الشهير»[1] و فيما يبدو أنّ له سابق معرفة به، فحيّاه بحرارة « أكّدت للتعارف القديم ميثاقا، و صَبَغَت علينا شِيَمُهُ الشريفة من المؤانسة كأسًا دِهَاقًا »[2]، فتسامر الرجلان في مجلس علم و أدب، و كان الشيخ الخضر من المُستمعين تواضعا و احتراما و توقيرا للشيخ المجاوي الذي أخذ عهدا على ضيفه لتجديد الزيارة في الليلة القادمة، فعقب الضيف على ذلك العهد بالوفاء، فالتقيا بعد صلاة التراويح و حضر درسه و تعلّم منه[3] و هو الشيخ العالم، فَتِلْكُم هي أخلاق العلماء و نِعِمَّا هي.

لقد ربط الشيخ المجاوي صداقات مع علماء الجزائر و غيرها من الأصقاع منهم من وصلتنا أخبارهم و منهم من اندَرَسَت، و ممّا ذُكِرَ أنه كان صديقا حميمًا للشيخ أمحمد أطفيش[4] أشهر علماء وادي ميزاب الذي أرسل بعض طلبته للدراسة عليه و الاستفادة من علمه[5].

و جزم البعض[6] أنّ للشيخ علاقات وثيقة بمُصلحي العالم الإسلامي لكن لم يُذكَر من أولئك إلا الشيخ محمد عبده ( 1266–1323هـ/1849–1905م) عندما زار الجزائر سنة 1320هـ/1903م، و أنه لازمه أيام نزوله بها، و قِيلَ أنّه أُعْجِبَ به و أَثْنَى عليه[7].

---

[1] ) الخضر الحسين وآخرون، خمس رحلات...، ص 37.

[2] ) نفسه.

[3] ) نفسه، ص ص 37-38.

[4] ) أمحمد أطفيش ( ت 1332هـ/ 1914م) ابن يوسف المعروف بالقطب من كبار علماء الاباضية، مصلح و متكلم أصولي تبحر في العلوم العقلية و النقلية، فاهتم بالمنطق و الفلسفة و العلوم و التاريخ و السياسة، و له مواقف واضحة من الاستعمار، ألّف نحو ثلاثمائة مصنفا في مختلف العلوم منها: شرح شواهد القزويني، حاشية في النحو، شرح القلصادي في الفلك.
- أبو عمران الشيخ و آخرون، معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1995م، ص ص 47- 49.

[5] ) دبوز، مرجع سابق، ص 93.

[6] ) نفسه، ص 94.

[7] ) لم نعثر في حدود اطلاعنا على خبر اجتماع الشيخ المجاوي بمحمد عبده، و قد رأينا من كتب عن تلك الزيارة و نشر صورة لمن استقبله ولازمه و لم يكن المجاوي منهم، و من المعلوم أن الشيخ عبد الحليم بن سماية (1283- 1352هـ/ 1866=

و رُوِيَ أنّه كان مُعتزًّا بشخصيته الجزائرية و مُتمسِّكا بدينه، إذ أشار أحد تلامذته أنّه ثار على أستاذ جزائري تخرّج من باريس قدّم محاضرة، و ممّا ذكر فيها أنّ « عشر خصال من الصالحين توجــد في الكلب و من لم تكن فيه فالكلب أحسن منه »[1]، و لم يَرُق هذا الكلام للشيخ فزَجَرَهُ أمام الملأ و قَرَّعَهُ قائلا: « اذهب الى باريسك و اخطب فيه بهذا، أمّا في بلدنا فلا نرضى أن يغضّ أحد من ديننا و إخواننا المسلمين»[2].

علينا الاعتراف أنّ جوانب كثيرة من شخصية الشيخ عبد القادر المجاوي لم تصلنا إلا شذرات منها، لكنّ ذلك لا يمنعنا من القول أنّ الرجل ذاع صيته و شقّ لنفسه طريقا خالدة، فكان خُلُقُهُ و زُهده و إخلاصه في عمله هم أساس نجاحه، فنال النصيب الأوفر من احترام الناس و كسب مودّتهم و تمكّن في قلوبهم، فما أحوجنا إلى أخلاق كهذه، و لله دَرُّ القـــائل:

وليس بِعَامِـــرٍ بُنيـــانُ قومٍ إذا أخلاقُهُـــم كانت خَرَابَـــا.

---

= 1933م) و الأستاذ مصطفى بن الخوجة الكمال (1282- 1334هـ/ 1865- 1915م) كانا من أبرز المتأثرين بفكر محمد عبده في الجزائر، و كان بينهم وبينه مراسلات نُشِرت في مجلة المنار، و في غياب أي دليل مادي لا نعتقد أن الشيخ المجاوي قد التقى أو اجتمع به.

- المنار، الجزء 13، المجلد السادس، 1 ذو الحجة 1321هـ/ 18 فبراير 1904م، ص ص 917- 918.

- المدني، حياة كفاح (مذكرات) في تونس 1905- 1925م، الجزء الأول، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1976م، ص ص81 و 87.

[1] ) دبوز، مرجع سابق، ص 90 (هامش).

[2] ) نفسه.

**مهـــــام و نياشيـــــن:**

إنّ السُّمعة الطيبة التي اكتسبها الشيخ المجاوي في أوساط العامة جعلته موضع اهتمام السلطات الفرنسية التي أقحمته في العديد من المسؤوليات، كان الهدف منها تشتيت جهوده التربوية و تحجيم أفكاره بهدف « تحطيمها أو كَفِّهَا حتّى لا تُؤدِّي مفعولها في توجيه الطاقات الاجتماعية »[1].

و على هذا الأساس شكّلت الإدارة الفرنسية لجنة مختلطة لتدوين الفقه الإسلامي سنة 1324هـ/1906م ترأّسها المستشرق مارسيل موران عميد كلية الحقوق في مدرسة الجزائر، و ضمّت في عضويتها أساتذة و قضاة جزائريين و مستشرقين فرنسيين[2] كان من بينهم الشيخ المجاوي و الهدف من أعمال اللجنة المذكورة هو إعداد تصوّرات للقضايا الفقهية الإسلامية الخاصة بالجزائريين من منظور فرنسي، و بعد انعقاد سلسلة من الاجتماعات و المناقشات جرى إصدار مجلة الأحكام الإسلامية التي اختصّت بقضايا الزواج و التجنّس[3].

---

[1] ) ابن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق 1981م، ص 37.

[2] ) ضمت اللجنة الأعضاء الجزائريين الآتي ذكرهم : علي محي الدين و محمد الشريف بن علي (نائبان في المجلس المالي) هني بن السائح (قاض و نائب في المجلس المالي)، و عبد الرزاق الأشرف بن محمد قاضي باتنـــة المكلف بالترجمة للعربية و عبد القادر المجاوي أستاذ القسم العالي في مدرسة الجزائر الشرعية ، و أضيف إلى هؤلاء عضو سادس هو مصطفى شرشالي الأستاذ في مدرسة الجزائر و المحرر في صحيفة المغرب.

أما الأعضاء الفرنسيون فنذكر منهم دومنيك لوسياني مدير الشؤون الأهلية و المستشرق هوداس و الأستاذ إيستو بلان و الأستاذ مارسيل موران و وليم مارسي المفتش العام في المدارس الأهلية و غيرهم:

- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع، ص 533.

- Marcel Morand, Le Droit Musulman Algérien (Rite Malékite) ses Origine, Adolf Jordan, Alger 1913, p 17.

[3] ) احتجبت هذه المجلة بعد فترة قصيرة من صدورها ( سعد الله، المرجع السابق، ص 535 ).

الجدير بالذكر أن الأستاذ بمدرسة الجزائر عمر بن الحسن بريهمات ألّف كتابا بعنوان "النهج السوي في الفقه الفرنسوي" طُبِعَ بمطبعة بيير فونتانة بالجزائر سنة 1325هـ/ 1908م، و نُرجّح أن يكون هذا العمل امتدادا للمشروع الذي قامت به اللجنة المذكورة.

لقد وظّفت مديرية الشؤون الأهلية التي كان على رأسها المستشرق دومنيك لوسياني الشيخ المجاوي و غيره من الأعضاء الجزائريين في هذه اللجنة لإضفاء طابع الشرعية على أعمالها، و فيما يبدو أنّ حضورهم كان شكليا فعددهم أقلّ بكثير من ممثلي الإدارة الفرنسية [1] التي سعت إلى تمرير المشروع الذي أرَّقها لعقود أملا في إحيائه من جديد[2].

و منذ سنة 1326هـ/1908م عيَّنت الإدارة الفرنسية الشيخ المجاوي إماما و خطيبا في مسجد سيدي رمضان [3] بأعالي القصبة خَلَفًا لتلميذه الشيخ محمد السعيد بن زكري، و كان بيته مجاور لهذا المسجد[4] و عادة ما كان يلقي الدروس به قبل أن يشغل هذا المنصب، و قد كان مُرشَّحا فوق العادة من طرف الفرنسيين لتولّي منصب مفتي الجزائر مُستغلين المكانة الرفيعة و الاحترام العريض الذي حظي به، و لم يكن ينافسه سوى مُفتي دلس حسب ما أشارت إليه الصحافة الفرنسية[5]، في غضون شهر رجب 1332هـ/ جوان 1914م، لكنه لم يُعَيّن في هذا المنصب كما هو معلوم، و نرجّح أن يكون قد اعتذر عن تولّيه لحساسيته.

[1] ) كان عدد الأعضاء الجزائريين خمسة، بينما عدد الأعضاء الفرنسيين ستة عشر عضوا (سعد الله، المرجع السابق، ص 533).

[2] ) كان هذا المشروع موضع نقاش منذ سنة 1281هـ/ 1865م و استمر طرحه في فترات لاحقة، و أعيد إحياؤه من جديد على يد المستشرق دومينيك لوسياني الذي كان على رأس مديرية الشؤون الأهلية (سعد الله، نفس المرجع).

[3] ) المجاوي، اللمع...، ص 5.

[4] ) Achour Cheurfi, Ecrivains Algériens, Casbah Edition, Alger 2004, p 248.

[5] ) L'Echo d'Alger 31/5/1914, 3éme Année, № 807.

و ممّا ذُكِرَ أيضا أن الشيخ المجاوي كان من الفاعلين في تأسيس الجمعيات و النوادي الثقافية كالجمعية التوفيقية [1] بصفته من مؤسّسيها و عضويته في جمعية دينية ضمّت ثلاثة آلاف عضوا [2] ، و مشاركته في محاضرات الجمعية الرشيدية [3].

و منذ سنة 1315هـ/1898م خصّت الإدارة الفرنسية الشيخ المجاوي بالتكريم بصفته موظفا نشيطا و مثقفا بارزا فمنحته وسام المعارف الذهبي [4]، ثم توالت النياشين فحصل بموجب مرسوم رئاسي على وسام جوق الشرف في 6 رمضان1322هـ/14 نوفمبر 1904م [5]، ثم وسام الاحترام ( شوفالييه) سنة1324هـ/ 1906م، و فيما يبدو أن آخر ما تقلّده تقلّده من أوسمة كان نيشان الافتخار التونسي من درجة التطويق سنة 1328هـ/ 1910م [6]، و و لا نعلم إن كان قد تنقّل إلى تونس لِتَقَلُّدِ هذا الوسام الذي يُعتَبر من أرفع الأوسمة الممنوحة، و لا يحصل عليها إلا الراسخـــون في العلم.

إذا كان غرض الفرنسيين من تَولّي الشيخ المجاوي هذه المسؤوليات و إسداء الأوسمة الرفيعة إليه في ظاهره إبداء جانب الاحترام لشخصه، فإنّ ما خفي منه هو « محاولة تنفير

---

[1] ) تأسست سنة 1326هـ/1908م بالجزائر العاصمة و هي ذات طابع ثقافي، ثم أُعِيد تنظيمها سنة 1329هـ/ 1911م، ترأسها الدكتور ابن التهامي أحد جماعة النخبة، لتفصيل أكثر انظر:
- Revue de Paris, 20éme Année, Tome 20éme, Paris 1913, pp165- 166.

[2] ) أولمان، دور الشيخ المجاوي...، ص 22 (لم تذكر الأستاذة أولمان اسم الجمعية أو أسماء البعض من أعضائها).

[3] ) تأسست سنة 1311هـ/ 1894م من طرف مجموعة من الشباب الجزائريين من خريجي المدارس الفرنسية، و كانت تُصْدِرُ نشرتين باللغتين العربية و الفرنسية و تنظم محاضرات، من أعضائها الدكتور ابن التهامي و الأستاذ ابن بريهمات، و كان المجاوي من بين هؤلاء، و قد عثرنا على عناوين لمحاضرات باللغتين العربية و الفرنسية قدّمها بعض الأساتذة الأعضاء في الجمعية، و للاطلاع على أسماء المحاضرين وعناوين المحاضرات يُنظَر:
- Revue du Monde Musulman, Tome Dixième, Ernest Leroux Editeur, Paris 1910, pp 437- 440.

[4] ) المجاوي، اللمع...، ص 5.

[5] ) Journal Officiel de La République Français, 36éme Année, № 317 ( 21/11/1904) , p 6885
- Le Radical (22/11/1904), 24éme Année, № 327.

[6] ) المجاوي، المصدر السابق، ص 5.

الرأي العام في بلاده من أفكاره...بجميع الوسائل الصالحة لذلك »[1]، لأنّ النياشين التي يُسْدِيها الاستعمار لا تُعَلَّقُ عادة إلا على صُدور الخونة من بائعي أوطانهم بأبخس الأثمان، و هي التُّهمة الشنيعة التي أراد الفرنسيون إلصاقها بالشيخ المجاوي، لمّا فشلوا في إيقاف جهوده الإصلاحية، لكن سُمعة الشيخ الطيبة غلبت على دسائس الاستعمار الذي ما فَتِئَ يطعن في ديننا و لغتنا و علمائنا و تاريخنا و ثقافتنا الوطنية، و حقٌّ علينا و على الأجيال الذّود عنها لأنّ ذلك عين الواجب.

**وفـــــاتـــــــه[2]:**

عاد الشيخ عبد القادر المجاوي إلى قسنطينة بعد غياب لانشغاله بالتدريس و الإمامة في الجزائر العاصمة، إذ لم يكن لديه الوقت الكافي للسياحة و السفر، و لعلّ الفرصة سنحت له لِيُجَدِّد العهد للمدينة التي احتضنته، فمكث بها بضعة أيام استغلها في زيارة أقاربه و أصهاره، ثم اتجه إلى شاطودان ( شلغوم العيد حاليا) لزيارة ابنته زوجة القاضي محي الدين بوطالب، و كان في غاية الصّحة يخالط العامة، و قيل أنه زار مقبرة قسنطينة فأُعجِب بها فقال: « ما أجمل هذه المقبرة تَجْلُب لناظرها السرور » و في ليلة السبت 5 ذو القعدة 1332هـ/25 سبتمبر 1914م استضافه تلميذه الأستاذ محمد المولود بن الموهوب على العشاء فلم تفارقه مهنة الأستاذ و بشاشته المعهودة و طِيبِ مؤانسته فكان كلامه كلّه حكم، و بعد فراغه من العشاء دَعَى الشيخ لصاحب الدار و الضيوف، ثم اتجه إلى مسجد سيدي عبد

[1] ) ابن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ص 37.

[2] ) نشرت صحيفة الفاروق أخبارا عن آخر أيام الشيخ في قسنطينة، و ما وقع من تأثر و حزن في سكان المدينة يوم جنازته، فرأينا أن ننقلها مع بعض تصرّف.

- الفاروق، السنة الثانية، عدد 81، 19 ذو القعدة 1332هـ/ 9 أكتوبر 1914م.

المؤمن مع الحاضرين لأداء صلاة العشاء، فصلّى و اجتمع مع بعض التلامذة حتى الحادية عشرة مساءً، ثم غادر برفقة صهره إلى البيت القريب من المسجد فلمّا وصل اعتصر قلبه ألم فصار يتوجّع و يقول:« إن الضّيقة اشتدّ ألمها عليّ » و يضع يده على صدره و يُكرّر الشهادة و لفظ يا لطيف حتى فاضت روحه، و كان صهره يظنّ أنّه نائم.

لقد كان وَقْعُ وفاته في اليوم التالي على سكان قسنطينة و ما جاورها عظيما، فالمصاب جليل و العزاء جميل، و الشيخ كان ذا حظوة عند أهلها، فتدفّقت الحشود من المواطن في مشهد عظيم يوم جنازته في زوال يوم 6 ذو القعدة 1332هـ/26 سبتمبر 1914م، و سُجِّي جثمانه و صلّى عليه تلميذه العلامة الفقيه أحمد الحبيباتني، و ابَّنه تلميذه العلامة محمد المولود ابن الموهوب بخطبته مؤثرة مما جاء فيها: « هذا عبد القادر الذي أكرمنا بقدومه من خمس و أربعين سنة، فأحيا القلوب كالغيث بعد القحط... هذا عبد القادر الحسني جاء بأوعية من العلوم و المعارف بثّها و نشرها، و لم يبخل بها على الخصوص و العموم... هذا عبد القادر الذي نوّر العقول و المساجد بدروسه... هذا عبد القادر النّصوح الذي زيّن الوطن الجزائري بتلاميذه... هذا أستاذ الجميع الذي ما من عالم إلا و له فضل عليه، فَارَقَكُمْ بعد أن بلّغكم الأمانة التي لديه...»، و دمعت عَيْنَا الخطيب الذي تذكّر مآثر و خصال شيخه و هو أعرف بها فقد لازمه سنوات طويلة، حتى أنّ السّامعين لم يتمالكوا أنفسهم من البكاء، و للأستاذ ابن الموهوب قصائد كثيرة في شيخه تُعْرِبُ عما وقع من التأثير يوم ودّع قسنطينة [1].

[1] ) محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، الجزء الثاني، تقديم عبد الله حمادي، دار بهاء الدين للنشر، قسنطينة 2007م، ص 57.

إنّ هذا المُصاب الجلل لم يؤثر في تلامذته فحسب بل امتد إلى تلامذة تلامذته، فارتجل الشيخ عبد الحميد ابن باديس خطبة مؤثرة كان لها وقعٌ على القلوب ذكر فيها سجايا الشيخ و خصاله و مما جاء فيها: « ...فإنّ أجلّ الخطوب وقعا و أعظمها رقعا و أشدّها للنفوس صدعا ذهاب العلماء الذين هم سر الحياة و كير الوجود، فكم بذهابهم انجلت للمجد عُرى، و كم بفقدهم انحطت لنا من قمة العزّ إلى حضيض الثرى، و قد أصابنا ما أصاب الأمم في علمائها، و فيما نحن مُنقَصفوا الظهور تحت كَلْكَلِ هذا الرزء الثقيل...غار بحر العلوم الذي طلّ علينا بكؤوس العرفان... كيف لا تنخرس الألسُن و قد غار من كان يقوّمها بدقيق البلاغة و البيان، فرحماك يا الله ما أوجع هذا الموقف المؤسف الذي نرى فيه هذا الإمام مُسجّى على وشك الارتحال، وا أسفاه عليك أيها الإمام الذي ببزوغ شمسه تمزّقت سُحب الجهل و بنت غرّة القلم للعين... أنت الذي عانيت في سبيل إصلاحنا أتعابا طويلة، أنت الذي كما كنت مورد المتعطشين و مصدر الكاملين، كنت مثالا لحسن الأخلاق و كرم الطبع و لباب الفضيلة، أنت الذي تَعَامَدَ حِلمك و عِلمك فاصعدا بالناس في معاريج الكمال و أورثاها المآثر الجليلة، فلا بِدْعَ أن تطول عليك حسرتنا و تصعد فيك زفرتنا و تُرَاقَ على جِدْثِكَ المُنعَّم عبراتنا... نبكيك بالدموع السخينة و يبكيك القرطاس و القلم، نبكيك و تبكيك المنابر و دروس العلم و الحكم، نبكيك و يبكيك هذا القطر الحزين الذي غَمَرْتَه بِبِيضِ أياديك و غُرَرِ فضائلك الحسان، و قد حان أن أودِّعك و عزيز عليّ وداعك، وداعا بِعُقْبَةِ اللقاء إن شاء الله تعالى في مقام الرضوان، ارجع إلى ربك راضيا مَرْضِيًّا مُثنِيا عليك بكل لسان، فهنيئا لك الفوز بالخلد في أرقى فراديس الجنان ...».

ثم تلى قصيدة أثارت كوامن الأشجان و لواعج الأحزان، فكانت صادقة مُوحية مُثقَلة بالدموع و العَبَرَات و الأسى و الحسرة، منها هذه الأبيات:

ألا إنّ هــذا الدهــر ذو فتكات  و إنّ لنــا في طيّـــه لَعِظات

رمانا بِفَقْدِ الهاشمـــي عبد القادر  فنحـن لِذَا في حيـرة و صمات

مُصاب جليل قد مزّق الحَشَـــا  و فتّت أكبـــاد بدون أنـــات

فَيَالَكَ من خطب تعاظــم وقعُــه  فـــلا رغبـــة بعده في حيـــاة

و ما لذّة الدنيـــا إذا لم يكن بها  إمـــام هـدى مستمسك بهـــداة

و كيف يطيب العيش بعد إمامنا  و منقذنـــا من لُجـّـــة الغَمَرات

سأبكيك ما أبقى لي الله مُقْلَـــةً  و إلا فقلبـــي دائـــم الحسرات

سقى الله مجدا عَمَّ طَوْدَكَ وابـلا  و صبّ عليك هَاطِلَ الرّحمـات

عليك تحيـــــة من الله سَرْمَـدًا  مُعطّـــرة بأطيـب النفحـــات

كذلك ســـلام طيب متواتـــر  من الله في الرّوحات و الغدوات

و خطب الأديب محمد النّجار بن الحاج طاهر نيابة عن تلامذة الشيخ و بها كان الوداع الأخير [1].

إنّ الوفاة المفاجئة للشيخ المجاوي دفعت بتلميذه إبراهيم أطفيش (1305-1385هـ/1886-1965م) إلى القول بأن للسلطات الفرنسية اليد الطولى في اغتياله، بعد أن عمدت إلى ثلاثة عشرة من علماء الجزائر و مصلحيها و دسّت لهم السمّ في قهوة شربوا منها فتوجّعوا حتى قضوا، و كان المجاوي منهم [2].

و لم يصلنا شيء عن ردود فعل الدوائر الفرنسية- في حدود اطلاعنا- إثر تلقّيهم نبأ وفاة الشيخ و كلّ ما علمناه أن الإدارة الاستعمارية صرفت لأرملته عيشة بنت صالح معاشا قدره 842 فرنكا فرنسيا هي حصيلة منصبه كموظف رسمي لما يزيد عن سبعة و عشرين سنة قضاها في التعليم حتى تاريخ 6 ذو الحجة1332هـ/ 26 سبتمبر 1914م [3].

رحل الشيخ عبد القادر المجاوي و عُدّت وفاته من الرَّزايا التي حلّت بقطر الجزائر الذي هو في أمسِّ الحاجة إليه و إلى أمثاله من العلماء و المصلحين، بَيْدَ أن آثاره لازالت تؤتي أُكُلَهَا ضعفين و تحظى بالإشادة و التنويه لا في أوساط عامة الجزائريين و خاصتهم فحسب،

---

[1] ) خصّصت صحيفة الفاروق عشرة أعداد كاملة لنشر قصائد و تأبينيات في رثاء الشيخ تحت عنوان " دموع الشعر و الشعراء على فقيد العلم و الإسلام أستاذ الجماعة المقدس الأستاذ عبد القادر المجاوي " بداية من العدد 82 ( 26 ذو القعدة 1332هـ/ 16 أكتوبر 1914م ) إلى العدد 92 (7 صفر 1333هـ/ 25 ديسمبر 1914م ).

[2] ) دبوز، نهضة...، ص 105 ( يبدو أن الرواية التي ذكرها دبوز تفتقد إلى الكثير من الواقعية، و إن كنا لا ندرأ الشبهة بأي حال عن فرنسا الاستعمارية البغيضة، فالشيخ إبراهيم أطفيش لم يذكر أسماء من قضى من علماء في تلك الحادثة، و لعلّه رجّح هذه الرواية لأن أستاذه القطب أمحمد بن يوسف أطفيش توفي في ذات السنة التي مات فيها الشيخ المجاوي، لكن كان ذلك في 22 ربيع الثاني 1332هـ/ 21 مارس 1914م أي قبله بستة أشهر.

[3] ) Journal Officiel..., 48éme Année, № 32, (2/2/1916), p 954.

بل و في الأوساط الفرنسية التي اعتبرته الأوسع معرفة و اطلاعا في شمال إفريقيا [1]، فجلب لنفسه الاحترام حيًّا و ميتًا.

**آراء في المشــروع الإصلاحــي للشيخ عبد القادر المجــاوي:**

لم تكن الجزائر رغم صعوبة المرحلة و تضييق الاستعمار في معزل عن الإصلاح الذي ظهر بها منذ النصف الثاني من القرن 13هـ/19م على يد العلماء الجزائريين [2]، فالتجارب الناجحة قبل أن يعيها الناس و يقدروها حق قدرها تمرّ بمراحل صعبة، و قد تستغرق زمنا طويلا لتجد لها صدى و يلتف حولها الدَّهماء، و كذلك كان الحال مع التجربة الإصلاحية للشيخ عبد القادر المجاوي و الثقافة الجزائرية كانت تواجه أزمة عميقة هي من صنع الاستعمار و أذنابه، و قد ساهم الشيخ في محاولة إيجاد سبيل للخروج من هذه الأزمة، فكان الحلّ من وجهة نظره هو التعليم الذي طبعه بمنهج جمع بين الدين الإسلامي و اللغة العربية مع لمسة التجديد بالاعتماد على دراسة العلوم الحديثة [3]، فمنهجه قام على عقيدة صحيحة بالرجوع إلى السلف الصالح و تغيير ما بالنفس من آثار الانحطاط [4] ، و قد وجدت دعوته و أفكاره صدى في أوساط العامة من الجزائريين المحرومين من التعليم القويم إلا قليلا.

و رغم أن الشيخ المجاوي لم تكن له مواقف واضحة من الاستعمار إلا أنه نادى بتحرير العقل و تقليد الأوربيين و نبذ الجمود، لأنه ليس في الإسلام ما يمنع من التقليد

---

[1] ) L'Echo d'Alger, 16éme Année, № 6626, (1/12/1927).

[2] ) كريستلو، حول بداية النهضة...، الثقافة، عدد 146، أوت- سبتمبر 1978، ص 61.

[3] ) نفسه، ص 60.

[4] ) ابن نبي، شروط النهضة، ص 25.

إذا كان محمودا [1]، لكن ممّا يثير الانتباه هو ذهاب البعض إلى القول بأنه قد تأثر بمنهج الشيخ محمد عبده ( 1266–1323هـ/ 1849–1905م) في الإصلاح [2]، و يدفعنا هذا الرأي إلى القول بأن هذا التأثر و إن كُنّا قد رأيناه جليا في كتابات بعض العلماء الجزائريين من أمثال الشيخ عبد الحليم بن سماية و الأستاذ مصطفى بن الخوجة ( الكمال ) في مراسلاتهما مع الشيخ محمد عبده إلا أنّ الأمر ليس كذلك مع الشيخ المجاوي حسب رأينا، و إنما وجه التشابه يكمن فقط في اعتماد كل منهما على التعليم في مسيرته الإصلاحية، بينما لكل امرئ منهم خصوصياته و بيئته و تكوينه و روافده الثقافية [3].

و يرى بعض المهتمين أن الشيخ المجاوي عالج مسألة الإصلاح بقليل من الجرأة، و مع ذلك كان مؤثرا، إذ رأينا من تلامذته و في طليعتهم الأستاذ محمد المولود بن الموهوب يحذو حذو أستاذه بعد فترة قصيرة [4] بالدعوة حثيثا إلى إصلاح المجتمع الجزائري و إنقاذه من وَهْدَةِ الانحلال.

لقد كانت الطريق التي سلكها المجاوي طويلة ذات عقبات مُثقَلة بالصعاب، و مع أن البداية كانت وئيدة حسب تعبير البعض [5] إلا أنه حقق نجاحا مُلفتا، و لعلّ سرّ نجاح تجربته الإصلاحية هو إحاطته خبرا بشؤون الجزائريين و فهمه العميق لأوضاعهم، و قد مكّنته خبرته

---

[1] ) سعد الله، أفكار جامحة، عالم المعرفة، الجزائر 2011م، ص 32.

[2] ) Gilbert Meynier, l'Algérie Révélée, Librairie Droz, Genève 1981, p 247.

[3] ) هناك اختلاف في طريقة التعليم بين المشرق و المغرب، كما ذكر محمد عبده نفسه، عندما التقى بأحد شيوخ المغرب في الأزهر و يُدْعَى الشيخ التادلي، فالعلم عند أهل المغرب حسبه ينتشر بقوة التدريس و كثرة المُذاكَرة الشفوية في أصناف العلوم المختلفة.

- محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام...، ص 412.

[4] ) Amar Hellal, Mouvement Réformiste Algérien (Les Hommes et l'Histoire), Officier des Publications Universitaire, Alger 2002, p 96.

[5] ) Sari, l'émergence de l'intelligentsia..., p 28.

التي سلخت أربعين سنة من عمره لأن يُصبح من خيرة المعلّمين [1] « ...فشارك في إحياء اللغة العربية و العلوم الإسلامية، و بذل جهدا جهيدا في سبيل ارتقاء مستوى الجزائر الثقافي حسب اتجاهات جيله الشريفة ...» [2].

ورغم سعي الإدارة الفرنسية لإقصاء أفكاره بجميع الوسائل إلا أنها فشلت بعدما تبين «... أنّ الفكرة التي أراد إقصاءها بقيت حيّة في ميدان المعركة... في صورة جديدة كفكرة مجرّدة استقرت في ضمير الشعب..»[3]، فالسلاح الذي استخدمه المجاوي و غيره من العلماء في حركة المقاومة الثقافية ضد الاستعمار و إن طالت مدته إلا أنّه غالبا ما يقود إلى النجاح، و هو سلاح لا يخيّب الآمال أبدا [4]، و قد شهد الكثير من المهتمين بالفكر الإصلاحي للشيخ المجاوي بفضله و كان منهم من درس على تلامذته لِمَا له من «...مدارك فكرية واسعة و جهاد في سبيل العلم و المعرفة من أجل صنع الرجال... فعاش مُفكّرا واضح الرؤيا و الدلالة هاديًا شديد المنطق واضح المنهج ...» [5].

إنّه ممّا يُعاب و يثير العتاب و الاستغراب هو أنّ بعض المهتمين بالتاريخ الثقافي للجزائر لم يشيروا و لو همسًا إلى هذا العالم الجليل و مساهماته، رغم أنهم عاصروا زملاءه و تلاميذه في مدرسة الجزائر و مـــن أولئك العلامة عبد الرحمان الجيلالي ( 1326–1431 هـ

---

[1] ) ابن حبيلس، الجزائر الفرنسية...، ص 77.

[2] ) سعد الدين بن أبي شنب، النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن 14هـ، مجلة كلية الآداب، العدد الأول، السنة الأولى، جامعة الجزائر، الجزائر 1964م، ص 51.

[3] ) ابن نبي، الصراع الفكري...، ص 16.

[4] ) أولمان، دور الشيخ المجاوي...، ص 36.

[5] ) نفسه، ص 5 ( كلمة الشيخ محمد الصالح الصديق، و كان قد تتلمذ على الشيخ العلامة أرزقي الشرفاوي تلميذ الشيخ عبد القادر المجاوي).

/1908–2010م) إذ لم يذكره في جملة ما ذكر من العلماء و المشايخ ممّن ساهموا في دفع عجلة الثقافة الوطنية زمن الاستعمار في موسوعته الموسومة بتاريخ الجزائر العام في أربعة أجزاء ، و الأمر لم يقتصر على الجيلالي فحسب، فقد وجّهت مجلة الشهاب عتابا ظريفا للأستاذ أحمد توفيق المدني ( 1316– 1403هـ/1899–1983م) الذي « سكت عن أفراد لا تكتمل الصورة التاريخية إلا بهم، منهم الأستاذ عبد القادر المجاوي رحمه الله، فهذا الرجل هو أبو النهضة العلمية بقسنطينة، و هو شيخ الناس بجميع عمالتها عليه تخرج القضاة و رجال المحاكم و رجال التدريس و الفتوى، فلا تجد واحدًا من هؤلاء في الرُّبع الأول من هذا القرن إلا و هو من تلامذته، و لو كان هذا الرجل من أمّة عالمة لأَحيت ذكراه في كلّ مناسبة » [1].

إنّ للشيخ المجاوي الفضل الكبير في إحياء تراث الجزائر و ربط « ... حاضرها بتاريخها العربي الإسلامي الحافل بالإنجازات الحضارية ...» [2]، و شجّع الأجيال الصاعدة على الأخذ بزمام المبادرة و حمل مشعل الإصلاح الذي تولّى أمره الرعيل الأول من العلماء المصلحين عقودا طويلة بالاعتماد على عناصر الحضارة لبلوغ أسباب التقدم [3] و المحافظة على الخصوصية الثقافية للجزائر و إنقاذها من خطر الاندماج.

إنّ المشروع الإصلاحي للشيخ لم يتوقف بوفاته، فالجيل الذي خلفه سار على ذات النهج التي سلكها و غدت في ثلاثينيات القرن 14 هـ/ 20 م صرحا ثقافيا و اجتماعيا دُعِيَ بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و في ذلك تأكيد من مشائخها و علمائها على مدى استمرارية ذلك

[1] ) الشهاب، الجزء3، المجلد 8، (1 ذو القعدة 1350هـ/ مارس 1932م)، ص 194.

[2] ) مولود عويمر، الشيخ المجاوي أستاذ الجماعة، مجلة الوعي، العدد المزدوج 3- 4، جمادي الأولى والثانية 1432هـ/ أفريل- ماي 2011م، ص152.

[3] ) Hellal, op cit, p 107.

المشروع العظيم الذي آتى أُكْلَهُ ضعفين « ... و إن اختلفت مذاهب الأشياخ و مشاربهم فهم ممّا يُسقى بماء واحد »[1].

إنه لمن كوامن الأسف أن لا نُقَدِّرَ علمائنا و نوقّرهم و نبخسهم حقّهم و لا نُخلِّد ذكراهم لما لهم من وافر الفضل و عظيم البذل، ففي ذلك إنكار و جحود لجهودهم العريضة في سبيل نفع المجموعة الجزائرية، فالعلامة الشيخ المجاوي هو بحقّ شيخ الجماعة « و من أساتذة الجزائر العظماء الذين يجب أن تُسمّى بهم أكبر معاهدها و أكبر الشوارع في عاصمتها إحياءً لذكراهم و وفاء لهم يرحمهم الله » [2]، و هذا في نظرنا و نظر كلّ مُذَّكِر لهو عين الواجب.

إنّ ما أدركناه في دراستنا لبعض الجوانب من حياة الشيخ عبد القادر المجاوي هو انشغاله بالعلم فقد سلخ سواد حياته في تدريس الأجيال وإعداد النشء لِمَا يُقارب ثلاثين سنة في مدينة قسنطينة ونحو ستة عشر سنة في مدينة الجزائر، فرأيناه في قسنطينة نشيطا خارج أسوار المدرسة الشرعية، إذ كان مُهتمًّا بما يَمُورُ حوله من أحداث في شقّيها الاجتماعي والثقافي، فكانت مشاركاته واضحة في الدفاع عن اللغة العربية والشخصية الجزائرية وإصلاح المجتمع، ورغم الصعوبات التي اعترضته في بدايات استقراره بها إلا أنّه استطاع تجاوزها بحصافة، فذاع صيته وأضحى ذا حظوة عند أهلها، قبل أن تنقله الإدارة الاستعمارية الفرنسية إلى الجزائر العاصمة.

[1] ) حمزة بوكوشة، شيخ الجماعة عبد القادر المجاوي، الثقافة، عدد 10، أوت- سبتمبر 1972م، ص 12.
[2] ) دبوز، نهضة...، ص 105.

ومما يثير الانتباه أن نشاط الشيخ المجاوي في قسنطينة خارج مجال التدريس يختلف عن نشاطه في الجزائر العاصمة، فقد رأينا أن الوظيف قيّده مُدرِّسا وإمامًا وصار من الوجهاء وفي زُمرة الأعيان، وغاب عنه طابع الانتقاد المُبَطَّن الذي تميّز به خلال سنواته الأولى بقسنطينة.

ولنا أن نتساءل، هل لذلك الجُنُوح ما يُبرِّره؟ ممّا لا شكّ فيه أنّ الإدارة الاستعمارية أرادت الحدّ من نشاطه فنقلته إلى العاصمة وأثقلت كاهله بالوظائف والمهام كما رأينا، وربّما يكون السّبب غير ذلك؟ ومهما يكن من أمر فما قُمنا به ما هو إلا محاولة لإبراز جوانب من حياة الشيخ، بينما لا تزال معالم و جوانب أخرى غير واضحـــة و يكتنفهـــا الغموض تَرُومُ جـــوابًا شـــافيًا.

# الفصل الثالث

# آثـــــــاره

في هذا الفصل تفصيل لبعض ما تركه الشيخ المجاوي من آثار و لا ندعي شرفا أننا ذكرنا مؤلفاته كلها لأن ما أشرنا إليه يتعلق بتآليفه المكتوبة، و لا نشك إطلاقا في أن تكون أعماله و نشاطاته أكثر مما عثرنا عليه حتى الآن.

ترك الشيخ عدة تآليف من رسائل و شروح منها ما لا يزال موجودا و منها ما أضحى أثرا بعد عين، و قد اطلعنا على بعض آثاره المطبوعة و المخطوطة التي جاءت في شكل كراريس تدل على أن صاحبها كان منشغلا بالتدريس و هو ما يؤكد أن هدفها كان تعليميا ألف بعضها في فترة وجوده بقسنطينة عندما كان مدرسا حرا ثم رسميا و البعض الأخر في مدينة الجزائر التي انتقل إليها سنة 1315 هـ/1898م، و الواقع أن ناصية التأليف لم تكن خاضعة لمشائخ و علماء ذلك الزمان إلا قليلا، فهناك من العلماء من لم يترك تآليف مطبوعة أو مخطوطة إذ كان اعتماد الكثير منهم على الدروس و المذاكرة الشفوية، إذا استثنينا ما كتبوه من رسائل ضاع منها ما لا نُحصى عَدَّه.

لقد أشرنا إلى مؤلفات الشيخ من وجهة النظر التاريخية في حدود اختصاصنا، لأن تآليفه طرقت مجالات عديدة ليس في إمكاننا دراستها على الوجه المرغوب، لعدم تمكننا من هذه العلوم و الفنون فهي تحتاج في نظرنا إلى باحثين متخصصين للعمل عليها و إخراجها في حلة قَشِيبَة، و مما يجدر ذكره أننا لم نُرَتِّب هذه المؤلفات زمنيا بل حسب موضوعاتها، فجعلناها أجزاء لتيسير دراستها، و كل جزء منها يشير إلى مجال من المجالات، فجعلنا الجزء الأول للمجتمع و التربية و الأخلاق، فمن مؤلفاته التي طرقت هذا الجزء هناك رسالة إرشاد

للمتعلمين المطبوعة بالقاهرة سنة 1294هـ/1877م التي دعى فيها الجزائريين إلى التعلم و شجع على الأخذ بزمامه للخروج من رِبْقَةِ الجهل، و المجموع المسمى الإفادة لمن يطلب الاستفادة الذي طبع بقسنطينة سنة 1318 هـ/1901م، و كتاب اللمع على نظم البدع المطبوع بالجزائر سنة 1330هـ/1912م و شد فيه من أَزْرِ تلميذه صديقه الأستاذ محمد المولود بن الموهوب الذي هوجم بسبب انتقاده للطرقية و للعادات السيئة التي نخرت المجتمع الجزائري زمن الاستعمار.

وذكرنا أيضا مؤلفاته في النحو و الصرف و هي شروح لمتون ألفها غيره بذل جهده في تسهيل دراستها و تبسيطها لطلبته قصد الاستفادة منها و هي الدرر النحوية على اللامية الشبراوية و نزهة الطرف فيما تعلّق بمعاني الصرف طبعا سنة 1298 هـ/1881م و كشف اللثام على شواهد قطر ابن هشام قسنطينة 1296هـ/1879م و مخطوط الدرر البهية على القصيدة المجرادية، و شرح جمل المجرادية ( قسنطينة1311هـ/1894م).

و في المنطق و علم الكلام تحفة الأخيار في الكسب و الاختبار (الجزائر 1322هـ/1904م) و القواعد الكلامية ( الجزائر1328هـ/1911م) ذكر فيهما آراء أهل السنــة و الجماعة في مسائل و قضايا كلامية مختلفة مُسْتَدِلا فيها برأي الأشاعرة و مُرَجِّحًا لمذهبهم.

و كان له اهتمام بالحساب و علم الفلك و الهيئة فأفرد لهما مؤلفين هما الفريدة السّنية في الأعمال الجيبية ( قسنطينة 1321هـ/1904م)، و شرح منظومة ابن غازي في المسائل النجومية ( قسنطينة 1296هـ/1879م)، و مما ذكر أنّ له منظومة في الفلك لم يتسنّ لنا التأكد أنها من تآليفه.

و ظهر أن له ميلا للتصوف على خطى والده، و لانتماء العائلة للطريقة القادرية التي ذاع صيتها و كثر أتباعها في بلاد المغرب الإسلامي، فترك لنا شروحا في هذا الباب أشرنا إلى بعضها، كشرحه لمنظومة نصيحة المريدين لمحمد المنزلي التونسي طبعت بتونس سنة 1314هـ/1896م و شرح لمنظومة مصطفى بن عبد الرحمان باش تارزي بعنوان مواهب الكبير المتعال لا يزال مخطوطا، بينما فُقِدَت منظومة ألفها في آداب الطريق شرحها تلميذه محمد المولود بن الموهوب القسنطيني نجهل زمن تأليفها و تاريخ طبعها.

و للشيخ المجاوي مشاركة في الاقتصاد الذي لم يحظ بالاهتمام كعلم عندنا إلا في العصور المتأخرة، فألف مع زميله المدرِّس في الثعالبية عمر بريهمات رسالة المرصاد في مسائل الاقتصاد طبعت بالجزائر سنة 1322هـ/ 1904م.

وهناك تقاريض لمؤلفات كتبها موظفون لدى الإدارة الفرنسية عليها مَسْحَة أدبية فيها تنويه لما خطته أقلامهم، كما أفردنا بابا فيه إشارة لرسائله و دروسه الشفوية و أشعاره و محاضراته و ما فُقِدَ من آثاره و ما كتبه في الصحافة، إذ كان مُشاركا في صحيفتي المغرب و كوكب إفريقيا بمقالات مفيدة طرقت مواضيع عديدة.

و لسائل أن يقول هل هذا كل ما تركه الشيخ المجاوي من أعمال؟ علينا أن نجيب بالنفي فقد اعترف صديقه الأستاذ محمود كحول (ابن دالي) الذي كان ملازما له سنة (1329هـ/1911م) أن للشيخ « رسائل و كتب نفيسة بصدد جمعها و طبعها لِيَعُمَّ نفعها »[1]، و نعلم أنه حتى السنة المذكورة كانت مؤلفاته جُلّها مطبوعة أو مخطوطة باستثناء القواعد

[1] ) كحول، التقويم الجزائري، السنة الثانية 1912م، ص 105.

الكلامية و اللمع على نظم البدع اللذان طُبِعَا لاحقا، فأين هي تلك الآثار النفيسة التي أشار إليها كحول؟ و من يحتفظ بها؟ إنّ هذا ما لم نعثر له على جواب شافٍ حتى الآن.

# في المجتمع والتربية والأخلاق

بحكم السنوات الطويلة التي قضاها الشيخ المجاوي مدرسا، عكف على تأليف كراريس قليلة الحجم كثيرة الفائدة تُعين تلاميذه على تحصيلهم العلمي و اختلفت مواضيعها إلا أنها لم تخرج في مضمونها عن الدعوة حثيثا إلى التعلم و إحكام العقل لأنهما الأساس في إصلاح المجتمع.

يُعَدُّ الشيخ– في حدود اطلاعنا – من الرعيل الأول للعلماء الذين ألفوا في هذا المجال لكن تآليفه لم تكن كثيرة، إذ لم نعثر إلا على ثلاث مؤلفات، أولها رسالة " إرشاد المتعلمين " التي طبعت في القاهرة سنة 1294هـ/ 1877م و فيها دعوة إلى التعلم و نبذ الجمود و الاهتمام باللغة العربية و الاطلاع على مختلف العلوم و الفنون، و أخبار الأمم و الشعوب التي تقدّس العلم، و فيها ما يجعلنا ندرك يقينا ما لأهمية الرحلات من فوائد في الاطلاع على عادات الأمم و الشعوب و المقارنة بينها، و اكتشاف أسباب رقيها و تقدّمها و الاستفادة من التواصل بين المشرق و المغرب.

أما كتاب" الاستفادة لمن يطلب الاستفادة " المطبوع بالجزائر سنة 1318هـ/1901م فهو تعليمي موجه لطلبة مدرسة الجزائر، تنوّعت مطالبه و اختلفت حسب الحاجة، عرف الشيخ كيف يمزجها في مؤلفه و يقدمها لطلبته في شكل فوائد تُعينهم على دراستهم.

و ألف كتاب " اللمع على نظم البدع " و طبعه في الجزائر سنة 1330هـ/1912م دعما لجهود تلميذه محمد المولود بن الموهوب ليشد من عضده و يعينه على الإصلاح الذي كان آنذاك لا يزال يخطو وئيدا، و تنوعت مواضيع هذا الشرح و تشعبت بين نقد حاد لواقع مؤسف

أطبق فيه الجهل على المجتمع و انتشرت الخرافات و البدع، و بين إرشاد للأمة من أجل التصدي للفساد و الأمراض الاجتماعية فكان لِزاما على رجال الإصلاح – على قلتهم – التصدي بخُطبهم و أقلامهم للخطر الذي نهش المجتمع الموبوء بالاستعمار و البدع و الخرافات، و كان الحل حسب الشيخ هو التمسك بكتاب الله و سنّة نبيّه صلى الله عليه و سلم و الإقبال على طلب العلم، و التزود بمختلف العلوم و الاقتداء بما كان عليه المسلمون في عصورهم الذهبية و ما شيدوه من حضارة بلغت أنوارها مشارق الأرض و مغاربها و أفادت الإنسانية أيما إفادة، فكانت موضع احترام و إشادة من علماء الغرب.

و يمكننا اعتبار هذه الثلاثية التي سنشير إليها بشيء من التفصيل بداية لظهور مشروع تربوي إصلاحي ذو أهداف، يحتاج تحقيقه إلى عقود طويلة قبل أن تظهر نتائجها عمليا، لكنها لا تتوقف عند جهود الشيخ فحسب، بل تروم الاستمرارية، لإصلاح مجتمع أَعْمَلَ الاستعمار الفرنسي مَعَاوِلَهُ لهدم خصوصياته و طمس معالمه الحضارية.

**إرشـــــاد المتعلمين:**

هي رسالة تربوية ألفها الشيخ المجاوي في قسنطينة، و أضاف إليها بعض مشاهداته في رحلته إلى المشرق (الحجاز و مصر)، و طُبِعَت في المطبعة الوهبية بالقاهرة سنة 1294هـ/1877م.

كان المضمون الأساس لهذه الرسالة هو العلم، أما الداعي من تأليفها كما أشار أنه قد ساءه ما رأى «...في هذا الزمان من فتور المعلمين و المتعلمين حتى أن أهل قطرنا من

إخواننا المسلمين القسنطينيين و الجزائريين و الوهرانيين قد تراكم عليهم الجهل ...» [1] فجمع لهم رسالة مختصرة من مبادئ العلوم و خصّ بالذكر طلبته النجباء[2].

قسّم الشيخ رسالته إلى مقدمة و أربعة فصول و خاتمة، و جعل المقدمة في فضل العلم و التعلم و ما يجب أن يتعلمه الإنسان و قابليته لاكتساب العلوم المختلفة، فأول ما يجب على الإنسان أن يتعلمه حسبه هو القرآن الكريم و الحديث الشريف ثم علم الفرائض، ثم علم الفقه و علوم العربية كالنحو و الصرف و البيان و اللغة و المنطق « الذي به العِصْمة من الخطأ » [3] و علم الطب و الكتابة و الحساب و الهندسة و الزراعة و المساحة و الجغرافيا و الهيئة و الرماية و السباحة و الفروسية ( التربية البدنية ) و غيرها و لكن «...على المتعلم أن يختار معلما عالما بحقائق الأشياء مُجِدًّا فصيحًا...» [4].

أما الفصل الأول فخصّه لعلوم اللسان حيث أشاد فيه باللغة العربية باعتبارها من أقدم اللغات «... قد ملأها الله من الآداب و الحكم فنالت من الأمثال القديمة و الحديثة ما لم ينله غيرها، و هي في الشعر لا يُشَقُّ لها غبار و لا يباريها مُبَار...» [5] و كان الإسلام سببا في انتشارها، ثم فصّل في شرحها مُستشهدا بقول الشاعر:[6]

صرف بيان معاني النحو قافية  شعر عروض و اشتقاق الخط إنشاء

محاضرات و ثاني عشرها لغة  تلك العلوم لها الآداب أسمـــــاء

---

[1] ) المجاوي، إرشاد المتعلمين...، ص2.
[2] ) نفسه.
[3] ) نفسه، ص 3.
[4] ) نفسه، ص2.
[5] ) نفسه.
[6] ) نفسه، ص ص 5- 7.

و أشار في الفصل الثاني إلى علوم الأديان، و ذكر فيه أركان الإسلام و صفات الله تعالى و هي أربعة نفسية ( الوجود الواجب ) و سلبية ( القدم و البقاء و المخالفة للحوادث و قيامه بنفسه و الوجدانية في ذاته و أفعاله ) و صفات المعاني ( القدرة و الإرادة و السمع و البصر و الحياة و العلم و الكلام ) و الصفات المعنوية و هي ملازمة لصفات المعاني ( قادرا مريدا سميعا بصيرا عالما حيا متكلما ) و فيما ينبغي للمكلف أن يعرفه من تفسير و حديث و علم الفرائض و علم أصول الفقه[1].

و جعل الفصل الثالث في علوم الأبدان و ما تعلق بالداء و الدواء و عن فضل علماء اليونان في تصنيف هذا العلم، و دور علماء المسلمين في جمع ما تفرّق منه، و اهتمامهم بمختلف العلوم و الفنون باعتراف من الأمم المسيحية ( الأوربيين ) و ارتباط هذا العلم بعلوم أخرى كالطبيعيات و الكيمياء و التشريح و علم الأمراض و الفيزياء المغناطيسية و الكهربائية و المناخ و الفلك و الكائنات الجوية كالضباب و السحاب و الندى و الطَلّ و الصقيع و المطر و الثلج و البرد و الهالات و الرعود و الشّهب و الصواعق و العواصف و الشفق و قوس قزح و الحجارة الساقطة من الجو ( النيازك ) و الزوابع.

و ذكر علوما أخرى كعلوم التاريخ الطبيعي و الطبقات الأرضية و المعادن ( الجيولوجيا ) و علم الحيوانات و تشريحها و ما يتعلق بها[2]( البيطرة ) .

---

[1] ) المجاوي ، المصدر السابق، ص 8.
[2] ) نفسه، ص ص 9- 10.

أما الفصل الرابع ففي المعاش و طرق الكسب، و في فضل الحرف و الصنائع و تطورها و الزراعة و ما تعلق بها، و التجارة التي اعتبرها « من أحسن طرق المعاش » [1]، و ما قيل في العمل و فوائده فعلى حد قوله « ... من عرف أن الحركة لِقَاحُ الجسد العقيم وجب عليه أن يحتال في معاشه و يتحرك لانتعاشه...»[2].

أما الخاتمة فتحتوي « على آداب و أمثال و حكم و بعض فصول و أبيات مما تمُسُّ الحاجة إليه »[3]، و شجّع على حفظ الشعر و أمثال العرب مما تقدم منها أو تأخّر[4].

و في آخر الرسالة ذكر الشيخ المجاوي خبر اجتماعه بالشيخ إبراهيم سراج المدني المدرس في المدينة المنورة و أُعجب بشعره و بنثره فنقل لنا شذرات منه [5].

و قرّظ هذه الرسالة شعرا و نثرا الأستاذ وهبي تادروس معلم اللغة الفرنسية بمدرسة حارة السقائين بالقاهرة و مما قال: « فقد اطلعت على هذه الرسالة المفيدة و العجالة العلمية الفريدة اطلاع من تدبر الألفاظ لإدراك معانيها و أمعن النظر في كيفية أسلوب مبانيها، فأَلفَيتُ ما لم تُحِطْ به باع الاطلاع قبلها في كتاب و لا تعلّقت به أطماع الأسماع في سالف الأحقاب من الفوائد الجمّة و الفرائد المُهمّة و اللطائف الفائقة و الأساليب المُسْتَعذَبة الرائقة... فقد سلك فيها

[1] ) المجاوي ، المصدر السابق، ص 11.
[2] ) نفسه.
[3] ) نفسه، ص 13.
[4] ) نفسه، ص ص 12-13.
[5] ) نفسه، ص ص 15-19.

مَسلكا لم يُسبَق إليه ولا حامَ فكر أحد من المتقدّمين عليه، حيث جعلها كسلّم يتوصل به الطلاب إلى تحصيل العلوم و الآداب....»[1] ، كما أثنى على الرسالة و مؤلفها شعرا بقوله [2]:

كتاب قد حوى غُرر المعاني فأزرى بالمثالث و المثانـــي

تقول لكلِّ مطلع عليـــــــه مطالبه اعتزل ذكر الأغاني

فــإنّ العلم إرشاد و نـــور و أفضل ما يعانيه المعاني

فَدُونَك تُحفة أدنى جناها بقسطنطينـــــة رب البيــان

فلا زالت به تزهوا افتخارا و دام مُكَرَّمًا سامي المكان

أما الصفحة الأولى من الرسالة ففيها تقريظ الأستاذ حامد سليق أحد فضلاء الشام و علمائها المقيمين في مصر، و مما جاء فيه: « قد اطلعت من هذا الكتاب على ألفاظ رقيقة و معاني رشيقة و آداب فائقة و حكم رائقة...»[3].

و يبدو أن الشيخ المجاوي أطلع الأستاذين على الرسالة مخطوطة فقد كانت لهما دراية بهذا المُؤلَّف قبل طبعه[4]، لكن الشيء المثير للاهتمام هو انتقاده للوزير خير الدين التونسي[5]،

---

[1] ) المجاوي، المصدر السابق، ص 20.

[2] ) نفسه.

[3] ) نفسه، الصفحة الأولى.

[4] ) عويمر، الشيخ عبد القادر المجاوي و كتابه إرشاد المتعلمين، أعمال ملتقى وطني بتلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، دار الجائزة للنشر و الطباعة و التوزيع، الجزائر، 2012م، ص 65.

[5] ) خير الدين التونسي ( 1235- 1307هـ/ 1820- 1890م ) أصوله شركسية من بلاد القوقاز، قيل إنه كان عبدا مملوكا بعد وفاة والده في إحدى الحروب بين الدولة العثمانية و روسيا القيصرية، نشأ في اسطنبول حتى سن السابعة عشرة ثم انتقل إلى تونس في عهد الباي أحمد باشا، فالتحق بمدرسة باردو الحربية و تخرج منها، و ترقّى في الرتب حتى بلغ مرتبة آمر لواء ( عقيد ) سنة 1266هـ/ 1850م، ثم أضحى وزيرا أكبر سنة 1289هـ/ 1873م و استقال بعد أربعة سنوات فعاد إلى إسطنبول و تولى وزارة العدلية، فصدرا أعظم سنة 1295هـ/ 1878م ألّف كتابا ذاع صيته عند الأمم الإسلامية و الغربية و هو " أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك " وقد ترجم إلى عدة لغات =

الذي كان الشيخ سراج المدني قد مدحه شعرا، فأعجب بالقصيدة لكنه لم يكن معجبا بشخصية خير الدين باشا الذي وصفه بأنه من « ... المماليك الناشئين في تونس ...و قد تولى الوزارة فيها و ظن الناس أن بتوليه الوزارة تنتفع البلاد و العباد مستدلين بنسبة المجموع المسمى بأقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك إليه » [1].

رغم صدور الرسالة في ظرف تاريخي حساس كما يشير البعض، إلا أن غرضها لم يكن سياسيا أو تحرريا[2] لكنها عرفت انتشارا واسعا، و ربما يكون المجاوي أحضر نسخا كثيرة بعد عودته من القاهرة ووزعها على تلامذته و معارفه، و الذي يلفت الانتباه أن كبير المترجمين العسكريين و رئيس تحرير صحيفة المبشر الحكومية الضابط آرنو Arnaud أثنى على جهود الشيخ المجاوي في نشرها تحت عنوان « كتاب مفيد » [3] ، و اعتبرها دعوة إلى الجزائريين كي يستيقظوا و ينتبهوا من غفلتهم و يُقبلوا على طلب العلم حتى يلتحقوا بغيرهم، و يصفه بالعالم النصوح لما له من طول باع و تبحر في العلوم، و أن على الجزائريين الاستماع إلى إرشاداته فهي بمثابة نصيحة الوالد لولده و يوجه المحرر دعوته إلى مسلمي الجزائر قائلا: « هلموا إلى الاجتهاد لنلحق بركب التقدم الذي سبقنا إليه أهل المشرق و نتعاون لتحقيق

---

= ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ص ص 16- 17.
- أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة، الجزائر 1990م، ص ص146- 183.

[1] ) المجاوي، إرشاد المتعلمين، ص 18.

[2] ) عويمر، النخبة الإصلاحية و سؤال التنوير في القرن 19م، البصائر 2015/7/19م، عدد 764.

[3] ) Le Mobacher, 2 Dou el Hidja 1294 h/ 8 Décembre 1877, 29éme Année, N°1854.

ذلك...»[1]، و نظنّ أن الإدارة الفرنسية أرادت مصادرة الرسالة و احتوائها من أن هذا التأليف جاء بإيعاز منها، رغم أنه لا يسرُّها بأي حال « إشادة المؤلف باللغة العربية »[2].

لقد تعرض الشيخ المجاوي لردود فعل عنيفة و مضايقات و تهديدات ألزمته بيته و جعلته في موقف لا يُحْسَدُ عليه، مما دفعه لطرح انشغاله على السلطات الفرنسية لحمايته ممن يتربصون به الدوائر، و لتوضيح ما وقع فيه الناس من سوء فهم لأفكاره[3].

لكن مناوؤوه أرادوا أن يجعلوا من هذا الموضوع « قضية سياسية » [4] لتشديد العقوبة عليه و إلحاق الأذى به، و مما حزّ في نفوس تلك الجموع الغاضبة– حسب زعمهم– أن انتقاداته جاءت من مواطن بعيدة كالقاهرة و تونس (؟)، حتى أضحى كل جزائري يذهب إلى الحج أو التجارة يكون عرضة للاحتقار من مواطن تلك الأصقاع (!)، و بلغ بهم الأمر إلى الطعن في نسبه و طالبوه بالخروج من الجزائر و العيش في البلدان التي احتفى بها و مدح أمراءها في ختام رسالته [5].

---

[1] ) Le Mobacher, 2 Dou el Hidja 1294 h/ 8 Décembre 1877.

[2] ) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 96.

[3] ) الملحق رقم 2.

[4] ) الملحق رقم 3.

[5] ) Réponse aux Allégations..., p3.

( يبدو أن تحامل كاتب المقال على المجاوي و رسالته جعله لا يُدرك أن الشعر المنشور في رسالة الشيخ ليس من تأليفه بل هو من قريظ الشيخ إبراهيم سراج المدني يمدح فيه الوزير خير الدين التونسي و عبد الله باشا أمير مكة و الخديوي إسماعيل حاكم مصر، و لشدة إعجابه رأينا المجاوي نشره في ختام رسالته ).

و يشير أحد الباحثين أن كتيّب إرشاد المتعلمين، جعل الحكومة في ورطة، و كان مؤلفه مراقبا من السلطات الفرنسية، وفقا لتقرير [1] كان قد بعث به القائد العسكري لإقليم قسنطينة إلى الحاكم العام الفرنسي ألفرد شانزي Alfred Chanzy.

و طفقت صحيفة تقدم الشرق Progrès de l'Est تُشَنِّعُ بالكتاب و بصاحبه و تصفه « بكتاب شر » [2] و عنوان المقال يدل على مضمونه، ففيه تحامل شديد على الشيخ المجاوي و على اللغة العربية التي اعتبرها محرر المقال « ... نكبة على الجزائر و على سكانها العرب أنفسهم »[3] !

ورغم أن عاصفة الغضب التي طالت الشيخ المجاوي قد مرت، إلا أن أثرها ظل غائرا في ذاكرته، فرأيناه بعد مدة من الزمن يتذكر ذلك بأسف قائلا:«... حاشى لله أن نريد بكلامنا نفي العلماء و المتعلمين من هذا القطر العظيم الذي هو منبع العلم قديما و حديثا... بها رفع العلم أعلامه و عليها نصب خيامه ...»[4]، إذا فطابع الجرأة الذي ميّز أسلوب المجاوي في رسالته[5]، و صعوبة المرحلة جعلته عرضة للانتقاد الشديد من أعداء الإصلاح الذين لا يريدون بأي حال من الأحوال أن تقوم للعلم و للغة العربية قائمة في الجزائر، خاصة إذا ما

---

[1] ) وردت هذه التقارير في توراريخ متقاربة ( 15-20-1877/12/22م) و فيها تحذير من عبد القادر التلمساني ( المجاوي ) الذي أثار سكان قسنطينة بكتاباته، و بما يجب القيام به في هذه الحالة.
- كريستلو، حول بداية النهضة...، الثقافة، عدد 46، ص 60 ( نقلا عن وثائق عبر البحار IKK 59 ).

[2] ) نفسه، ( في هذا المقال ردٌّ على صحيفة المبشر التي نشرت مقالا تحت عنوان « كتاب مفيد » بتاريخ 9 ذي الحجة 1294هـ/8 ديسمبر 1877م ).

[3] ) نفسه، نقلا عن: Le Progrès de L'Est 20/12/1877

[4] ) المجاوي، كشف اللثام على شواهد ابن هشام، قسنطينة 1873م، ص ص 2- 3.

[5] ) عويمر، الشيخ عبد القادر المجاوي و كتابه...، ص 69.

تعلّق الأمر بتجربة اعتمدت في نجاحها على التواصل الثقافي بين أهل المغرب و المشرق و الهدف منها هو الرغبة في تغيير الوضع إلى الأفضل، « اعتمادا على الدين و العلم »[1].

**الإفادة لمن يطلب الاستفادة:**

هو مجموع في مختلف العلوم طبع على الحجر في مطبعة شارل زميط بالجزائر العاصمة سنة 1318هـ/1901م، و تكفل المدعو الحسين بن الطاهر بن يوناح الفرجيوي – و يبدو أنه من تلامذة الشيخ– بكتابة أوراقه على المطبعة الحجرية، و كان الشيخ المجاوي قد أمره بذلك حسبما ذكره[2].

يقول الشيخ بعد البسملة و الصلاة و السلام على رسول الله صلى الله عليه و سلم و هي العادة التي استحكمت في جميع كتاباته و حرص عليها أنه «... لما برز الإذن بالامتحان و تَعَيَّنَ لاختيار الطلبة جماعة من الأعيان، عَنَّ لي أن أجمع مسائل فقهية و وثائق عرفية و بعض جمل منطقية و نحوية، فبادرت إلى الاستخارة إلى جمع ما أردت على الوجه الذي بَيَّنت...»[3].

نشر المجاوي في مؤلفه هذا مجموعة من وثائق الأحكام العدلية زمن الاستعمار الفرنسي تعددت مواضيعها و تشعّبت و اختصّت بقضايا مختلفة قُضِيَ فيها الأمر و فصلت المحكمـــة

[1] ) Christellow, Algerian Muslim Judges..., pp 437- 439.
[2] ) المجاوي، الإفادة لمن يطلب الاستفادة، دار زمورة للنشر و التوزيع، الجزائر 2011م، ص 76.
[3] ) المجاوي، الإفادة ...، مطبعة شارل زميط، الجزائر 1901، ص 1.

فيها مع حذف بعض الخصوصيات أحيانا كأسماء أصحابها و وظائفهم و الإبقاء على البعض الآخر لِمُقتَضى الحال.

من الملاحظ أن هذه العقود على اختلافها كان قد جمعها الشيخ من المحاكم الشرعية في عمالة قسنطينة و جلبها معه إلى الجزائر العاصمة عندما انتقل إليها مدرسا سنة 1315هـ/ 1898م، و أضاف إليها عقودا أخرى من محاكم العاصمة في مواضيع شتى لاختبار التلاميذ و فحص قدراتهم العلمية، فهذا إذا من صميم اختصاصه كونه يشتغل في مدرسة لتخريج القضاة و العدول و الموظفين الرسميين في الإدارة الفرنسية.

و الملاحظ أيضا أن الكثير من تلك العقود، ركيكة و أسلوبها هجين امتزجت فيه العامية بالعربية المُفرنَسَة فجاءت سقيمة [1]، و قد أوردها الشيخ المجاوي كما هي دون تصرف إلا ما تعلّق بحذف بعض الجمل و الكلمات التي رأى أنها غير مفيدة من وجة نظره فوضع نقاطا مترادفات بدلا عنها.

و يمكننا تقسيم هذه الوثائق حسب مواضيعها على النحو التالي:

– وثائق تتعلق بمسائل شرعية كعقود الطلاق و النكاح و النفقة و الخلع و الإيصال و الحبس و الوصية[2].

[1] ) أعمل الاستعمار الفرنسي معاوله لهدم النظام القضائي الإسلامي، حتى أضحت الأحكام الشرعية لا تُطَبّق إلا في حالات الزواج و الطلاق، و ضمن أُطر ضيقة جدا، و كانت الإدارة الاستعمارية تستخدم موظفين غير أكفاء و النتيجة هي كما نرى.
[2] ) المجاوي، المصدر السابق، ص ص 13- 27.

– وثائق تتعلق بمسائل اقتصادية كعقود البيوع و الرهن و الشراكة و القروض و التسيير و الإجارة و السّلم و المَساقات[1].

– وثائق تتعلق بمسائل اجتماعية كالصلح و الشَّفَعَة و القِسمة و الإبراء[2].

و جمع أسئلة فقهية تنفع الطلاب فأجاب عنها باختصار في النكاح و شروطه و أركانه و أنواعه و مسائل أخرى مختلفة مستشهدا بآراء و مؤلفات علماء السنة و الجماعة[3]، ثم ذكر ما ينفع الطالب فيما اختص بالقضايا كلياتها و جزئياتها فشرحها شرحا بسيطا و مختصرا تقريبا لإفهام الطلبة و تيسيرا لهم، و يظهر لنا حرصه الشديد في إبداء المسائل و إزالة اللبس عنها، و نراه يغضب، على غير عادته، إذا ما أنكر بعض الطلبة عليه شيئا و ابتغوا من وراء ذلك الجدال العقيم، فيصفهم بالأغبياء و الجلامدة و الأبالس، و يستنكر تطاول التلاميذ و الطلبة على أساتذتهم[4].

و ضَمّن مؤلفه هذا " لطيفة " مشتملة على مسألة ابن خميس[5]، ثم أضاف إليها مسائل أخرى فتكلم عن السحر و الكهانة و الطلاسم و غيرها من البدع المُنكَرة المخالفة للشرع فهـــي

---

[1] ) المجاوي، المصدر السابق، ص ص 16-27 يُنظر أيضا: المجاوي، إرشاد المتعلمين، ص 8.

[2] ) المجاوي، الإفادة...، ص ص 18- 28.

[3] ) نفسه، ص ص 29-33.

[4] ) نفسه، ص 37.

[5] ) ابن خميس التلمساني ( 645- 708هـ/ 1247- 1309م) محمد عمر بن محمد بن عمر الحجري الرعيني أبو عبد الله الملقب بابن خميس، ولد بتلمسان و نشأ بها، تولّى ديوان الإنشاء بأمر من السلطان أبو سعيد يغمراسن ثم رحل إلى سبتة و منها إلى غرناطة التي استقر بها و أضحى ذا حظوة عند الوزير ابن الحكيم، فلازمه حتى قتل في قصر الوزير في شهر شوال، كان شاعرا مجيدا من فحول الشعراء و له ديوان شعر جمع بعيد وفاته في كتاب " الدر النفيس في شعر ابن خميس ".

و فحوى المسألة التي أشار إليها المجاوي ( ص ص 39-42) أن ابن خميس لما نزل سبتة اجتمع عليه بعض طلبتها فألقوا عليه جملة من المسائل من غوامض الاشتغال، فلم يجبهم و استصغر شأنهم، فتحداه أصغرهم و عرض عليه المسألة في علامات الإعراب و خاطبه قائلا: "فأنت دونهم إن لم تُجِبْ" ، فشعر ابن خميس بالإهانة فانصرف من فوره و ركب البحر إلى مالقة ثم نزل غرناطة فلبث فيها زمنا حتى مقتله كما سبق ذكره =

من الكبائر، و ذكر ما يوافق الشرع، مما ورد في الكتاب و السنة النبوية المطهرة[1].

و كان للشعر نصيبه عند المجاوي فقد أفرد له جانبا من كتابه، و هي قصائد كما أشار " لبعض الأفاضل " فجعلها في أبواب و هي جديرة بالحفظ من وجهة نظره، في التوحيد و فرائض و سنن الوضوء و الغسل و التيمم و الزكاة و الحج، و في المقولات العشر، و فوائد في مختلف العلوم و الفنون، و في المنازل و حفظ اللسان و الحكمة[2].

و في الكتاب بعض التفاصيل في علم المعاني و البيان و البديع للإمام عضد الدين الإيجي [3]

كما ساق بعض المسائل من الفرائض و أحكام المواريث مفصلة و مختصرة في شكل أسئلة و أجوبة[4]، ثم ذكر نبذة عن علم الحساب و اختار أن تكون بدايتها شعرا فيها تفاصيل لأنواع الحساب، و يبدو أنها لم تكن موجهة لطلبة و تلامذة القسم العالي لمدرسة الجزائر، لأنها لا تعدو كونها مجرد أبجديات و مبادئ أوليـــة.

و ختم الشيخ المجاوي بفائدة عن الكليات و الجزئيات و الإدراك[5] و هي مواضيع يختص بها علم المنطق شرحها مختصرة لتذكير تلامذته و تلقيح أذهانهم.

---

= أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، المجلد الخامس، دار الأبحاث للترجمة و النشر و التوزيع، الطبعة الأولى، بيروت 2008م، ص ص 356- 359.

[1] ) المجاوي، الإفادة ...، ص 43.

[2] ) نفسه، ص ص 44- 61.

[3] ) عضد الدين الإيجي ( 680- 756هـ/1281- 1355م) قاض و متكلم و فقيه و لغوي من إيج ببلاد فارس و هو من الشافعية، مات مسجونا بالقلعة بعد أن حبسه عامل كرمان (فارس) من مؤلفاته المواقف في علم الكلام، الرسالة العضدية، المدخل في علم المعاني و البيان و البديع، و هي المؤلفات التي استشهد المجاوي بها في مؤلفه هذا.

– خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين، ج7، دار العلم للملايين، ط15، بيروت 2002م، ص 295.

[4] ) المجاوي، المصدر سابق، ص ص 63- 70.

[5] ) نفسه، ص 75.

**اللمـــــع علـــى نظم البدع:**

اهتم رجال الإصلاح مشرقا و مغربا بتأليف الكتب النافعة التي تحارب الخرافات و توجه المجتمعات لما فيه مصلحة الأمة[1]، لكنها تفاوتت كَمًّا و كَيْفًا، ففي المشرق انتشر الإصلاح بقوة مستفيدا من الحرية الثقافية التي كان عليها، أما في الجزائر فكان الوضع حالكا لأن الفساد الاجتماعي ضرب أطنابه و نصب خيامه، فانتشر الجهل و انتشرت البدع و الخرافات و السبب أن فرنسا كانت تستمرئ هذا الإغراق في الخرافات و كانت تمنع من يدعو المسلمين إلى اليقظة و التنوُّر بنور العلم[2].

إنّ الجو الاجتماعي الفاسد الذي كانت عليه الجزائر دفع ببعض المصلحين إلى التأليف و الكتابة و محاربة البدع و الخرافات بأقلامهم، فكان من أولئك الشيخ محمد المولود بن الموهوب[3]، الذي ألف قصيدة المُنْصِفَة [4]، فحضيت باهتمام بالغ من معاصريه عناية و دراسة، خاصة من فئة الموظفين الرسميين، فهي على حد قول أحدهم « طويلة و مفيدة

---

[1] ) المنار، المجلد3، الجزء3 ( 21 ذي القعدة 1317هـ/ 22 مارس 1900م )، ص 51.

[2] ) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 252.

[3] ) محمد المولود بن الموهوب ( 1282- 1357هـ/ 1866- 1939م) ابن السعيد بن الشيخ المدني بن العربي بن المسعود بن عبد الوهاب، ولد بقسنطينة و تربى في كنف والده القاضي، درس على صهره الشيخ محمد المكي بن الصحراوي، و الشيخ محمد الدراجي في النحو، ثم درس على الشيخ عبد القادر المجاوي التوحيد و الحديث و التفسير و المنطق و العروض فلازمه اثنا عشرة سنة ثم إذن له بالتدريس، عُيِّن أستاذا للفقه و العلوم العربية في مدرسة سيدي الكتاني سنة 1312هـ/ 1895م، قلدته السلطات الفرنسية عدة أوسمة كالوسام العلمي سنة 1320هـ/ 1903م، ووسام الليجيون دونور من درجة شوفالييه سنة 1911م/ 1329هـ، عُيِّنَ مفتيا للمالكية سنة 1325هـ/ 1908 مع بقائه مدرسا، و نال العضوية في مجلس الصداقة الإسلامي، عرف بنشاطاته الحثيثة في النوادي مثل نادي صالح باي الذي كان من مؤسسيه، و نشرت محاضراته في صحيفتي لاديبـــاش و كوكب إفريقيا " و في كتاب " الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي " من مؤلفاته " نظم مقدمة آجروم"و "مختصر الكافي في العروض و القوافي " و تقارير على مسائل و تشاطير مشهورة.
- كحول، التقويم الجزائري، مطبعة فونتانة، السنة الثانية، الجزائر ( 1330هـ/ 1912م)، ص ص 175- 180 (بتصرف).
- حشلاف، سلسلة الأصول...، ص ص 61- 62.

[4] ) قصيدة في إصلاح المجتمع و إنكار البدع، تتكون من 73 بيتا ( بحر الوافر )، شطّرها الأستاذ إبراهيم العوامر السوفي، و شرحها الشيخ المجاوي شرحا وافيا، وجاء في مطلعها: صُعود الأسفلين به دُهِينـــا لأنّا للمعارف ما هُدِينـــــا
- السنوسي، شعراء الجزائر...، ص 69.

و للبدع قامعة... فلو كان إلا هذه المنظومة من علومه المفيدة لكفى بها حجة...»[1]، في حين اعتبر البعض الآخر أنها هجوم ضمني من الشيخ ابن الموهوب على البرجوازية المغرورة في مدينة قسنطينة المُصَابَةِ بالكسل و الخمول[2].

و رغم أن للإدارة الفرنسية اليد الطولى فيما حاق بالجزائريين من سوء الحال و المنقلب، إلا أنها اعتبرت هذا التأليف من صميم جهودها و أعمالها المفيدة في الجزائر[3]، لتبدو بمظهر المنافح عن الجزائريين و الراعي لمصالحهم و المشجع لثقافتهم و تآليفهم.

قام الشيخ عبد القادر المجاوي بتأليف شرح للمنصفة تقديرا منه لجهود تلميذه ابن الوهوب « و هو ما يدلّ على التواضع »[4] ، و نادرا ما نجد أستاذا يشجع تلميذه بهذا الأسلوب، فجاء الشرح مستفيضا غنيا بالحقائق و الأمثال و الحكم و الأخبار و الفوائد و التاريخ و العلوم فَيُخَيَّلُ للقارئ أنه يطالع مؤلفا مستقلا لا شرحا لقصيدة، و فيه ما يدل عل سعة اطلاع منه، و هو في نظرنا صالح لكل زمان و مكان، كما يمكن اعتباره من أكثر مؤلفات الشيخ قبولا و شهرة في أوساط العامة و الخاصة.

و من دواعي تأليف هذا الشرح حسب الشيخ المجاوي أنه « لما انتشر بحر البدع في الآفاق و رمى بأمواج الباطل و الزخارف باتساق، و تمكّن في قلوب كثير حبّ العادات المُهلكة و المخالفات المُوبقة، و نهض بعض علماء الوقت ينهى بالتأليف عن هذه المنكرات التي

[1] ) حشلاف، المصدر السابق، ص 62.
[2] ) ابن حبيلس، الجزائر الفرنسية...، ص 78.
[3] ) Bulltin de Récentes Publication Française, BNF, Librairie H.Champion, Paris 1914, p216.
[4] ) ابن قينة، شخصيات جزائرية، ص 15.

أفقرت مرتكبيها و أهلكت أكابر مجرميها فصاروا كلا على العباد و أكثروا في الأرض الفساد..» [1].

و قرّظ هذا الشرح تلميذه و صديقة الحميم محمود كحول (بن دالي) فألفاه « ...جديرا بالإقبال و مُستوجبا للاعتبار و باعثا على استئصال جذور البدع الممقوتة و المستحدثات المردودة بما يدعو إليه من الحكمة و الموعظة الحسنة...» [2]، كما قرظه تلميذه أحمد بن الشيخ باش عدل محكمة سيدي عقبة، و أشاد بمؤلفه الذي كان في نظره من الذين إذا « ...ما كتبوا على الطروس انحنت الرؤوس و إذا ما نقشوا على القرطاس خنس الوسواس...» [3].

و المثير للانتباه أن هذا الشرح كان موضع اهتمام أيضا من أحد جماعة النخبة الذي رأى أن أسلوبه « هادئ رزين لا عنيف و لا عدواني صادر عن ذهن حصيف لرجل مُجرّب طريقته هي التمهيد لأفكاره بسلاح الإقناع...»[4]، لكن عُقدة التبعية لفرنسا لا تكاد تفارق صاحب هذا الرأي، فهو يرى أن الفضل يعود في الأصل لفرنسا التي تعمل على قدم و ساق من أجل تحضّر الجزائريين (!)[5].

مما لا شك فيه أن الشيخ المجاوي أعجب بتلميذه الذي اعتبره من علماء الوقت، كما أعجب بالقصيدة بقوله « فلمّا تأملتها و نزهت النظر في بديع مبانيها عنّ لي أن أجعل عليها

---

[1] ) المجاوي، اللمع...، ص ص 1-2.
[2] ) نفسه، ( تقريض محمود كحول ).
[3] ) نفسه، ( تقريض أحمد بن الشيخ باش عدل محكمة سيدي عقبة ببسكرة ).
[4] ) ابن حبيلس، المصدر السابق، ص 92.
[5] ) نفسه، ص 77.

شرحا يبيّن ما انْبَهَمَ من بعض تلك الجمل التي لا يعرفها إلا أهل تلك البلاد، العارف لتلك العوائد التي يستعملها هناك أهل الجهل و العناد....»[1].

و قسم شرحه –على عادته– إلى مقدمة و أقسام سمّاها مطالب و مباحث و ختم شرحه بفوائد للترويح على القارئ.

أما المقدمة فجعلها مطالب، أولها في العمل بالسنة و ضمّنها جملة من الأحاديث النبوية التي تدعو إلى اتباع هدي النبي صلى الله عليه و سلم و نبذ البدع و الغلو في الدين و الفتن ما ظهر منها و ما بطن و ضرورة إعمال العقل «...فعلى الإنسان أن يشكر هذه النعمة باتباع دين ارتضاه الله له و ليس ذلك إلا باتباعه و اجتناب البدعة، و أنّ ذلك لا يتم إلا بالعلم و لا يُدرَك إلا بالتعلم و لا يمكن إلا بمعلم نصوح »[2].

و تطرق في المطلب الأول إلى العلم[3]، و فضله مستشهدا بالقرآن و السنة النبوية و طائفة من أقوال الصحابة و التابعين، و في الحكمة [4] فساق جملة من الحكم و الأمثال و الأشعار تدعو إلى التمسك بطاعة الله و اتباع دينه و اجتناب نواهيه، و مطلب في الانقياد للحق[5]، و لم يُدْلِ المجاوي بدلوه بل استشهد بالقرآن و السُّنة و مختارات من الأثر موزونه و منثوره، و في التربية[6]، و للشيخ المجاوي في رأيه في ذلك– فهي من صميم اختصاصه– لأن الفساد ما

[1] ) المجاوي، اللمع...، ص 2 ( مطبعة بيير فونتانة 1912م ).
[2] ) المجاوي، اللمع...، دار زمورة للنشر، الجزائر 2011م، ص 104.
[3] ) نفسه، ص ص 105- 108.
[4] ) نفسه، ص ص 109- 111.
[5] ) نفسه، ص ص 112- 114.
[6] ) نفسه، ص ص 115- 137.

كثر«... في أمة إلا بعدم تربية الأولاد فانا نرى الأولاد مهملين يتعلمون الفساد و يرتكبون المعاصي حتى صارت ديار آبائهم خرابا...»[1].

و يركز المجاوي على المرأة لأنها أساس التربية «...و في الغالب أن إهمال الأولاد من الأمهات الجاهلات أو المتعلمات تعلُّما ناقصا، و الآباء مطيعون لأزواجهم، فحصل الضرر بسبب ذلك للأولاد...» [2].

و يعقِد مقارنة بين المرأة الجاهلة أو المتعلمة تعليما ناقصا، و بين المرأة التي «... عرف أولياؤها كيف يعلمونها و كيف يجعلونها تستفيد من الذي تلقَّته...»[3] فتُعلِّم أولادها التربية الصحيحة، و تسهر على راحتهم و الاهتمام بصحتهم، و الدين وحده لا يكفي– حسبه– ما لم يقترن بالعلوم النافعة، و يتأسف لندرة العلماء الذين « صاروا لقلتهم كالعدم »[4].

و فصّل في شرح العلم و أقسامه[5]، فالعلم الأعلى هو علم الدين و الأوسط هو علم الدنيا كالطب و التنجيم و الموسيقى و الهندسة و الحساب، و الأسفل هو أحكام الصناعات و ضروب الأعمال ( الحِرَف ) كالسباحة و الفروسية و الرّمي و الخط و التزويق و غيرها و في التحذير من مجالسة الأشرار و منادمتهم « ... فإذا بانت لك معرفة الأشرار الذين لم يجتنبوا الأوزار لَزِمَكَ منهم الفرار...»[6].

---

[1] ) المجاوي، المصدر السابق، ص 115.
[2] ) نفسه، ص 116.
[3] ) نفسه، ص 117.
[4] ) نفسه، ص 119.
[5] ) نفسه، ص 123.
[6] ) نفسه، ص 137.

و اغترف من كتب الأدب و السِّيَر و الأشعار و الأخبار مما يَنِمُّ عن اطلاع واسع منه و ذاكرة قوية و استشهاد وافر، و يشير إلى الربا و المَيْسِر و أضرارهما[1].

ثم خصّص مبحثا للكبائر[2]، و التحذير من التشبه بعادات غير المسلمين من فرنسيين و أوربيين رغم أنه لم يشر إليهم جهرة- فحسب رأيه- ظنّ الكثير من أهل الجزائر « ...أن التقدم بالشقاشق و تغيير الأشكال وخلع بُرقُع الحياء، فأخذوا يشربون الأشربة المُتّخذة من الرمان و أمثاله المَشُوبة بالكحول، ثم أفضى بهم الأمر إلى أن شربوا الخمر و ارتكبوا الفجور مع التواني و الكسل حتى هلكوا...» [3] و يوصي إخوانه «... بحفظ الأصل...أكلا و شربا و لباسا و التقدم يكون بالعلم لا بالجهل ...» [4].

و حضّ على الخصال الحميدة كالنصح، و نهى عن الإخلاف بالوعد و الحسد و القدح و الفجور و العصيان، و لخطورة بعض العادات السيئة نراه أفرد فصلا لحفلة الزّار و ما يقع فيها من محرّمات و منكرات يندى لها الجبين[5] ، و دفع ذلك بالشيخ المجاوي إلى مطالبة من سمّاهم فضلاء البلد لوعظ الناس [6]، ثم خصّص مبحثا للسحر و مراتبه مستشهدا بآراء ابن خلدون ( 732-808هـ/1332- 1406م ) و أشار إلى التصوف و الاعتكاف و الانقطاع و الإعراض عن زخرف الدنيا و زينتها [7]، كما استشهد بكبار حكماء الإغريق، و دعا إلى

---

[1] ) انتشر الربا في الجزائر زمن الاستعمار انتشار النار في الهشيم، و اهتم العلماء الجزائريون في التحذير من مضاره، فعلى سبيل الذكر نشر الشيخ عبد الحليم بن سماية رسالة بعنوان " اهتزاز الاطواد و الربا في مسالة تحليل الربا " طبع بالجزائر سنة 1320هـ/ 1911م.

[2] ) المجاوي، المصدر السابق، ص ص 147- 153.

[3] ) نفسه، ص 153.

[4] ) نفسه.

[5] ) نفسه، ص 103 و ما بعدها أيضا: - ابن حبيلس، المصدر السابق، ص 79.

[6] ) المجاوي، المصدر السابق، ص 213.

[7] ) نفسه، ص ص 225- 226.

إعمال الفكر و السعي إلى الحكمة و بذل المال في سبيل العلم و التحذير من مَغَبَّة الجهل [1]، كما وقف في شرحه عند العصور الذهبية لحواضر الإسلام مشرقا و مغربا مثل بغداد و الزوراء و قرطبة وفارس و بُخَارى و القاهرة و سمرقند و البصرة [2].

لكن ما لفت انتباهنا أنه تحاشى ذكر الحروب الصليبية رغم أن الشيخ ابن الموهوب ذكرها جَهْرَةً في المنصفة بقوله:

سَلُوا حرب الصليب فكم أفادت  سِواكم من علوم السّالفينـــا[3]

بينما رأينا المجاوي يشير إليها بحرب القديم، و يبدو أنه تحاشى ذكرها لِئَلّا يتم تأويل كلامه فيصطدم بالإدارة الاستعمارية الفرنسية.

و أشار إلى فضل المسلمين على غيرهم من الأمم في زمن خيمت على أوربا و بلاد فارس سحب الهمجية المظلمة باعتراف من فلاسفة الغرب [4]، لكن شهد الغرب الأوربي– حسب المجاوي– نهضة، فعكفوا على البحث و التنقيب عن ينابيع العلوم بينما هَامَ المسلمون على وجوههم، و طَفِقُوا في حشو أدمغتهم بالخرافات و الأباطيل المُؤثِّرة في العقائد خِسَّةً و فسادا و قذارة [5].

---

[1] ) المجاوي، المصدر السابق، ص 262.
[2] ) نفسه، ص ص 277- 279.
[3] ) السنوسي، شعراء الجزائر...، ص 75.
[4] ) اعترف الكثير من المستشرقين بفضل العرب و المسلمين في مختلف العلوم و الفنون و دورهم في النهضة الأوربية خلال القرن 15م يُنظر على سبيل المثال لا الحصر:
- Louis Amélie Sedillot, Histoire des Arabes, Librairie de L.Hachette, paris 1854, pp332- 398.
[5] ) المجاوي، المصدر السابق، ص 286 ( ذكر الشيخ المجاوي طائفة من المؤلفات التي تتضمن الكثير من الأباطيل و الخرافات و الأكاذيب و الفجور منها: قصة عنترة، فتوح اليمن، أعلام النساء، مجاني الأدب و غيرها) ذُكرت هذه المؤلفات أيضا في المصدرين التاليين:
- المنار، المجلد الثالث، الجزء الثالث ( 21 ذي القعدة 1317هـ/ 22 مارس 1900م )، ص 52 =

كما أشاد بدور الخطابة في إرشاد الأمة و إيقاظها تارة بالترغيب و بالتهريب تارة أخرى، و بِحكم وظيفة الشيخ ابن الموهوب الرسمية نراه يشيد بجهود الحاكم العام الفرنسي شارل جونـــار ( 1320– 1329هـ/ 1903– 1911م) إذ مدحه بقوله:

أعينوا و استعينوا و استفيدوا  فوالي البر عَوْنُ المسلمينـــا (!)[1]

و شرح الشيخ المجاوي هذا البيت بقوله أن جونار «... سعى في بناء المدارس و الكتاتيب و المستشفيات و غير ذلك من أنواع البر، كما هو مُشَاهَدٌ عَيَانًا، فجزى الله المحسنين خيرا...»[2].

و ختم شرحه بفوائد– كما اعتدنا– في ما كانت عليه بغداد من الحضارة في تاريخها الذهبي بفضل المدارس و حصون العلم، كالمدرسة النظامية و المستنصرية و علمائها و مكتباتها و عماراتها و علومها المختلفة و اهتمامها بطلبة العلم، و ما لحقها من خراب و إهمال في عصور لاحقة[3].

إن شرح الشيخ المجاوي لقصيدة تلميذه و صديقه جاء غزيرا مستفيضا يؤكد ما لصاحبه من سِعَة علم و تبحُّرٍ في مختلف العلوم، استطاع أن يدعم جهود تلميذه و أضفى عليها أهمية علمية و اجتماعية فزادها شهرة و قبولا، و اعتبر أحد المهتمين أن قصيدة ابن الموهوب و شرح

---

= إدوارد كرنيليوس فانديك، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، صححه محمد علي البيلاوي، مطبعة التأليف، القاهرة 1896م، ص313 و ص ص196-197.

[1] ) السنوسي، مصدر سابق، ص 75.

[2] ) المجاوي، ص 302 ( إنه لَمِنَ العَجَبِ المُبالغة في وصف ساسة الاستعمار بهذه الأوصاف، فمتى كانت عين فرنسا على مسلمي الجزائر؟ و الأغرب من ذلك أن نرى المجاوي يدعو الله لهم بالسداد !).

[3] ) نفسه، ص ص 303- 307.

المجاوي جاءا « استجابة لداعي النهضة الإسلامية و الدعوة السلفية »[1]، فالنقد الشديد الذي تضمّنه هذا الشرح كان مُوَجّها بالأساس إلى فئات جاهلة في المجتمع الجزائري نخرها الفساد و غض الاستعمار الفرنسي طرفه عنها مُتَمَنِّيًا لها الدوام، لكن يبدو أن الشرح و على أهميته في نظر البعض غير كاف، لأن الظاهرة التي يشير إليها خطيرة و هي«...في حاجة إلى دراسة أكثر جدية و تعمُّقا...»[2]، فأمراض المجتمع تحتاج إلى تضافر جهود العلماء و التفافًا من فضلاء الأمة، و القابلية لتغيير ما بالنفس من آثار الانحطاط و الفساد و سوء الأخلاق.

استطاع الشيخ المجاوي أن يخوض في ميدان التربية و الإصلاح بنجاح لأن ذلك من صميم اختصاصه، فقد مكّنته خبرته الطويلة من فهم ذهنيات تلامذته على اختلاف مستوياتهم و معرفة ما بالمجتمع من حاجات، فاستقصى الداء العضال الذي هو الجهل، فعكف على التدريس و التأليف، لكن مؤلفاته في هذا المجال كانت قليلة، إذا ما قارناها بالعقود الأربعة التي سلخها مدرسا بارعا، و من الخطأ الجسيم القول أن هذا كل ما ألفه، ففي رأينا أن الكثير من أفكاره الإصلاحية لم تحفظ و ما وصلنا ما هو إلا نزر يسير منها مطبوعا في كراريس.

إنّ ما أشرنا إليه في هذا الباب لا يعدو كونه مجرد إطلالة عامة تحتاج للمزيد من البحث و التعمق، و الأهم هو أن يستفيد المجتمع الجزائري من آراءه و أفكاره التربوية و الإصلاحية فنحن في حاجة ملحة لجهود علماء من طينة المجاوي في زمن يروم منا الوقوف مَلِيًّا لإصلاح ما بأنفسنا من نقائص و شرط ذلك هو توفر القابلية لتحقيق النجاح.

---

[1] ) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 173 ( ربما يكون حكما مُبالَغًا فيه بعض الشيء لولا أن تُفَنِّدون ).
[2] ) ابن حبيلس، المصدر السابق، ص 92.

# في النحو والصرف

اهتم الجزائريون بعلوم العربية و لم يكتفوا بها اطلاعا بل حفظوا الكثير من المتون و الشروح في المدارس و المساجد التي كانت تلقن هذا العلم، و حرص المدرسون على تلقينها للطلبة و فائدتها لطالب العلم أشبه بفائدة الطعام بالنسبة للإنسان.

كاد الاعتماد في تلك الفترة يكون أساسيا على ألفية ابن مالك، و هي من المصادر الشرقية التي لا غنى عنها، و على شاكلتها نسج أهل المغرب مُتونا نحوية هي من الأهمية كالمجرادية و الآجرومية اللتان كانتا تدرسان على نطاق واسع في الجزائر و سائر بلاد المغرب الإسلامي، و إذا كان من الواجب ذكر بعض علماء الجزائر المتقدمين الذين برعوا في النحو و الصرف فنخصّ بالذكر الشيخ عبد الكريم بن الفكون القسنطيني ( ت1073هـ/1663م)[1].

كان في مدينة قسنطينة على وجه الخصوص العديد من المدرِّسين الذين أجادوا في هذا الباب لكن دروسهم كانت شفوية لم يُدَوَّن أغلبها، و من الطبيعي أن يكون مصيرها الضياع إذ لم يَسْلَم منها إلا القليل المخطوط، و من جملة الأساتذة المجيدين في الثلث الأخيـــــر من القرن14 هـ/19م هناك الشيخ المجاوي الذي شرع في تدريس هذا الفن و ازدادت شهرته بتأليف رسائل و شروح في زمن غاب فيها الإنتاج الأدبي إلى درجة تدفع إلى الشعور بالإحباط و اليأس حسب تعبير بعضهم[2].

[1] ) له من المؤلفات في هذا الباب فتح المالك و هو شرح على لامية ابن مالك في التصريف، و شرح شواهد الشريف بن يعلى على الآجرومية، و فتح الهادي في شرح جمل المجرادي - سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم بن الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت 1986م، ص 151.

[2] ) Polybiblion, Revue Bibliographique Universelle, Partie Littéraire, 2éme Série, Tome 3éme, Bureaux du Polybiblion, paris 1881, p 151.

في تلك السنوات العِجَاف ظهرت أولى تآليف الشيخ في النحو و هو شرح أطلق عليه " كشف اللثام على شواهد قطر ابن هشام" لكنه لا يزال مخطوطا، و نجا من الضياع و لم يكن متاحا للجميع، استعان في كتابته بخطاط معروف يعمل لدى الإدارة الفرنسية ليُتِمَّه على الوجه المناسب، ثم ظهر " شرح الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية " و " نزهة الطرف فيما تعلّق بمعاني الصرف " و قد طُبِعا في سفر واحد، و دفعا المستشرق الفرنسي و الأستاذ بمدرسة قسنطينة أوغست شيربونو إلى التنويه بالشرح و بصاحبه، و يبدو أنه قد أحيط خبرا بهذا التأليف قبل طبعه و ربما يكون الشيخ أطلعه على مضمونه و سلّمه نسخة مما خطت يمينه، فأشار مُعَلِّقا بأن الرسالتين « فيهما بعض الانتقاد فيما يخص دراسة بعض المسائل النحوية عُولجا بعناية حتى يكونا في متناول الطلبة و الدارسين و يصبحا عَونًا للتلاميذ على دراسة الإنشاء...»[1].

لكن إدارة المدرسة التي تكفّلت بطبعه جعلته مُتاحا للطلبة و الدارسين بمقابل مادي قدره عشرون فرنكا فرنسيا[2]، و مع ذلك بإمكاننا القول أن شروح الشيخ شكّلت على قلتها تراثا أدبيا هاما، يحتاج إلى جمع و تحقيق و اهتمام من ذوي الاختصاص حتى يعمّ نفعها، لأن ظهورها في تلك المرحلة الحالكة كان عسيرا عليه من وجهة النظر المادية و الأدبية، لكنه لم يدخر جهدا في التوفيق بين التدريس و التأليف و السعي لكسب قوت عياله.

1 ) Polybiblion..., p 151.
2 ) Paul Geuthner, Linguistique Général et Comparée, Librairie Orientaliste, Paris 1929, p288.

**كشف اللثام على شواهد قطر ابن هشام:**

هي رسالة في النحو من 129 صفحة مطبوعة على الحجر بقسنطينة و مكتوبة بخط مغربي جميل توجد نسخة منها في أدراج مكتبة المركز الثقافي الإسلامي بالجزائر العاصمة و ربما هي ليست الوحيدة بين النسخ، إذ لا نشك في أن تكون نسخ أخرى محفوظة في المدينة التي ألف فيها المجاوي رسالته، كتب أوائلها بخط يده متسرعا، إذ لم يكن لديه الوقت الكافي للكتابة، فاستعان بالخطاط مصطفى بن محمد الصالح العنتري[1] ليقوم على هذا الأمر و ظهر ذلك في قوله « انتهى بحمد الله و حسن عونه الشرح المبارك الجليل أحسن الله الى مؤلفه و أطال حياته ببلوغ أمله على يد كاتبه و مُتَمِّمِة من عدد خمسة و عشرين من أوراقه ...العنتري مصطفى بن محمد الصالح في 10 شعبان المبارك سنة 1295هـ»[2] و رغم هذا القول الصريح إلا أننا نعتقد جازمين أن الصفحات من 17 إلى 24 هي بخط ابن العنتري أيضا.

جاء هذا التأليف إجابة لطلب بعض المجتهدين، كما أشار في المقدمة، فوافق بعد إلحاح و يبدو أنه كان مترددا، لأن ما تعرّض له من إساءة و أذى جعله زاهدا في الكتابة[3] و ليس من اليسير العودة إليها و في نفسه حَرَجٌ، و مع ذلك أراد إفادة طلبة مدرسة سيدي الجليس ذات

---

[1] ) من أسرة معروفة في مدينة قسنطينة، كان جدّه كاتبا عند الحاج أحمد باي ( 1200-1266هـ/ 1786-1850م) و قُتِل مسموما، فحَنِقَ والد المُتَرْجَم له على العثمانيين الذين قتلوا والده فانضم إلى الإدارة الفرنسية كاتبا عند الضابط بواسوني Boissonnet في مديرية الشؤون الأهلية، و هو خطاط معروف ترك العديد من المؤلفات اعتبرها المستشرق الفرنسي شاربونو Cherbonneau.Aug تُحَفًا فنية راقية، ألّف كتابا في تاريخ مدينة قسنطينة إبان حكم الأتراك سنة 1262هـ/1846م عنوانه " الأخبار المُبينة في استيلاء الترك على قسنطينة"، و سار الولد مصطفى على خُطَى والده الخطاط و شغل منصب عدل في وادي العثمانية زمن تأليف الشيخ المجاوي لرسالته هذه.

- Revue Africain, Publiée par La Société Historique Algérienne, 57éme Année, Typographie Adolphe Jordan Ed, Alger 1913, pp73-74.

- ابن العنتري، تاريخ قسنطينة، مراجعة و تحقيق يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر 2009م، ص ص 4- 5.

[2] ) المجاوي، كشف اللثام...، ص 129.

[3] ) يعود السبب في ذلك إلى الردود العنيفة التي تعرّض لها المجاوي من بعض سكان مدينة قسنطينة عندما ألّف رسالة " إرشاد المتعلمين " ، و قد أشرنا إليها في الفصل الثاني من هذه الأطروحة (يُنظر أيضا الملحقين رقم 2 و3).

المستوى الابتدائي لتبسيط ما جاء في كتاب " قطر الندى و بل الصدى " لابن هشام[1] حتى يسهل على التلاميذ فهم ما ورد فيه.

بذل المجاوي جهدا كبيرا في رسالته هذه، إذ لم يكتف بالتركيز على النحو بل علّق على الأبيات فشرحها شرحا وافيا ثم أعربها إعرابا مفصّلا، أما المسائل النحوية التي أشار إليها فهي متداولة في كتب المتقدمين و المتأخرين، كالمبتدأ و الخبز و كان و أخواتها و الفاعل و نائبه و المنادي و أنواعه و الاسم الموصول و المعرب و المبني من الأسماء و الحال و التمييز و المفعول المطلق و المفعول له و اسم الفعل و التمييز و التوكيد و التعجب و الممنوع من الصرف و الترخيم و غيرها كثير، و حتى يُثير تركيز تلامذته فقد كرّر كتابة كلمتين بمداد أحمر هما " قوله " و " الإعراب " لتترسخ الأبيات الشعرية في أذهانهم فيحفظونها و يستشهدون بها و يعرفون أوجه إعرابها.

حرص الشيخ على تلقين تلامذته المبتدئين للعلم و تعريفهم بأصول لغتهم على الوجه الصحيح، فوضّح هدفه في بداية هذا التأليف لِئَلّا يتم تأويل كلامه قائلا « لم نُرِد به إلا إفادة الطلبة من غير تَعَرُّضٍ إلى دعوى أو امتياز بينهم »[2] و ظل هذا التأليف مُتَدَاولا و مُتاحًا لطلبة مدرسة قسنطينة و غيرها من المدارس، فكانت دون شك عَوْنًا لهم لدراسة النحو في زمن

[1] ) عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري ( 761-708هـ/1308-1359م) ولد بالقاهرة و توفي بها نحوي مشهور على المذهب الشافعي ثم الحنبلي، أتقن العربية حتى أقبل عليه الناس ففاق أقرانه و شيوخه، قال عنه ابن خلدون " مازلنا و نحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يُقال له ابن هشام أَنْحى من سيبويه "، له تصانيف غزيرة منهـــا مُغْنِي اللبيب عن كتب الأعاريب و أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك و قطــر الندى وبــلّ الصدى.

- جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، بُغية الوعاة في طبقات النحويين و الوعاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه، القاهرة 1965م، ص ص 68-69.

[2] ) المجاوي، كشف اللثام...، ص 2.

قلّت فيه التآليف العربية النافعة بسبب الاستعمار الذي ضيَّق السُّبل على طالبي الرغيف من الجزائريين، فما بالكم بطالبي العلم؟

**الدرر النحويـــة على المنظومـــة الشبراويـــة:**

هي رسالة تحوي 57 صفحة، طُبعت بالمطبعة الشرقية لبيير فونتانة بالجزائر سنة 1907م 1325هـ شرح فيها المجاوي منظومة الشيخ الشبراوي[1] مُعْرِبًا عن تواضعه المعهود قائلا « قد تَجَاسَرْتُ على أمرٍ لست من أهله و لا ممّن يركض في ميدانه »[2] فشرع في شرح المنظومة شرحا مفصّلا استهلّها بنداء لطالب النحو للاستفادة من قواعده و استشهد بأبيات من شعر يسهُل حفظها.

قسّم المجاوي شرحه إلى مقدمة و خمسة أبواب، أما المقدمة ففي فضل علم النحو، و الباب الأول في الكلام عند النحاة و ما يتألف منه، فذكر آراء بعض فطاحلة علم النحو كابن جِنِّي ( ت392هـ/1002م) و سيبَوَيْه ( ت180هـ/796م) و ابن مالك ( ت 672هـ/ 1274م ) و غيرهم[3].

و الباب الثاني فيه تعريف للإعراب بقوله « اعلم أن في الإعراب وجهين أحدهما أن يكون مأخوذا من قولهم أعرب عن نفسه إذ بيّن ضميره...و الثاني أن يكون أعرب من قولهم عَرُبَت

---

[1] ) الشبراوي ( 1071-1091هـ/ 1680-1758م) عبد الله بن محمد بن عامر، فقيه من أهل مصر تولى مشيخة الأزهر، من مؤلفاته عنوان البيان و بستان الأذهان في النصائح و الحكم طُبع سنة 1305هـ/1887م) بالقاهرة، و ديوان منائح الألطاف في مدائح الإشراف طُبعَ سنة 1306هـ/1888م، و شرح الصدر في غزوة بدر طُبعَ سنة 1297هـ/ 1880م.
- الزركلي، الأعلام...، المجلد الرابع، ص 130.
- يوسف إليان سركيس، معجم المطبوعات العربية، الجزء الثاني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ( د.ت.ط ) ص ص 1098-1099.

[2] ) المجاوي، الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية، المطبعة الشرقية لبيير فونتانة، الجزائر 1907م، ص 56.

[3] ) نفسه، ص ص 11-16.

معدة البعير إذ فسدت و كان المراد...إزالة الفساد و رفع الإبهام...»[1]، ثم شرع في الكلام عن أنواع الإعراب، و ذكر بابا مستقلا في معرفة علامات الإعراب و أسهب في شرحها.

و الثالث في مرفوعات الأسماء و هي سبعة الفاعل و نائبه و المبتدأ و الخبر و كان و أخواتها و أن و أخواتها و ظن و أخواتها و التوابع[2].

و الرابع في منصوبات الأسماء كالمفاعيل و لا النافية للجنس و المنادي و الحال و التمييز و الاستثناء و بقية المنصوبات[3].

و الخامس في مخفوضات الأسماء، و هي خاتمة المنظومة و فيها دعوة إلى التواضع و الخفض لطالب العلم لنيل العز و الشرف[4].

من المُلاحَظ أنّ الشيخ المجاوي تأثّر بأهل المشرق و استشهد بآرائهم لأنهم سبقوا أهل المغرب في هذا العلم، إذ لهم مدارسهم و منظريهم و آرائهم، و ما جاء به الشيخ ما هو إلا شرح و تبسيط لقواعد النحو مستعينا بأمّهات الكتب و المظان ذكر بعضها في مقدمة رسالته.

و على غير العادة رأيناه يشكو سوء حاله و فاقَتِهِ و حَسَدِ المعاصرين له[5] ، رغم أنه لم يذكرهم بالاسم، و لكنه مع ذلك نجح في تجاوز العقبات و استمر في بث العلم في أوساط الجزائريين بما أمكنه و أتيح له من وسائل.

و نُنَبِّه إلى وجود اختلاف يسير بين المخطوط الذي ذكرناه سابقا و الرسالة المطبوعة، إذ جرى تغيير بعض الكلمات و الاستعانة بأخرى و حذف بعضها، دون إخلال بالمتن، لكن و من

---

[1] ) المجاوي، المصدر السابق ، ص 16.
[2] ) نفسه، ص ص 27-38.
[3] ) نفسه، ص ص 41-51.
[4] ) نفسه، ص 52.
[5] ) أشرنا إلى ذلك في الفصل الثاني من هذه الأطروحة (أعداء و خصومات ص ص 70- 71).

وجهة نظرنا، كان على الشيخ أو القائمين على الطبع حذف بعض العبارات من رسالته المطبوعة فيما تعلّق بالصعوبات التي تعرّض لها، فالأحداث التي أشار إليها كان قد طواها الزمن، لأن ما أصابه من نَصَبٍ كان سنوات إقامته في قسنطينة، ورأينا أن أحواله قد تحسّنت بعد انتقاله إلى العاصمة، ونُفَسِّر ذلك أن الشيخ المجاوي لم يكن لديه الوقت الكافي لتنقيح شرحه و تغيير ما يجب تغييره.

**نزهـــــــة الطرف فيما يتعلق بمعانـــــي الصرف:**

هو شرح لمختصر في بناء الأفعال[1] يحتوي على 36 صفحة إضافة إلى جدول الخطأ و الصواب، طبع بمطبعة ببير فونتانة بالجزائر سنة 1325هـ/1907م، و استهله بخطبة مقتضبة مما جاء فيها « نحمد من بيده تصريف الأفعال، الفعّال لما يُريد الكبير المتعال و نشكره شُكْرَ من امتثل لأوامره و تباعد عن حدود زواجره...»[2].

و قسّم رسالته إلى أبواب فجعل الباب الأول في الفعل الثلاثي فعل يفعل، و الفعل يكون على وزن فعَلَ بفتح الفاء و العين و مضارعه يفعُل بضم العين، و إما أن يكون متعدّيا أو لازما[3].

الباب الثاني و علامته أن يكون عين فعله مفتوحا في الماضي و مكسورا في المضارع[4].

الباب الثالث أن تكون عين فعله مفتوحا في الماضي و المضارع و يستعمل متعديا و لازما و لزومه أقل من تعدّيه[5].

---

[1] ) يُطلق عليه متن البناء لمؤلف مجهول فيه خمسة و ثلاثون بابا، طُبِع في بولاق سنة 1244هـ/1828م، و يُعتبر من أشهر أمّهات كتب الصرف.
- فانديك، اكتفاء القنوع...، ص ص 310-311.
- سركيس، معجم المطبوعات...، الجزء الثاني، ص 1898.

[2] ) المجاوي، نزهة الطرف فيما يتعلق بمعاني الصرف، المطبعة الشرقية ببير فونتانة، الجزائر 1907م، ص 60.

[3] ) نفسه، ص 61.

[4] ) نفسه، ص ص 62 -63.

[5] ) نفسه، ص 63.

الباب الرابع فعل بكسر العين يفعل بفتحها و يكون متعديا كثيرا و لازما قليلا[1].

الباب الخامس فعل بضم العين في الماضي و المضارع[2].

الباب السادس فعل بكسر العين فيهما و استعماله متعديا كثيرا و لازما قليلا[3].

أما الفعل المبني على أربعة أحرف المبدوء بالهمزة فيكون متعديا كثيرا و لازما قليلا على وزن أفعل و مضارع يفعل بضم حرف المضارعة[4].

و الخماسي على وزن افتعل بزيادة التاء في أوله و جعله أبواب[5].

و السداسي استفعل بزيادة الألف و السين و التاء و جعله أبواب[6].

ثم أسهب في تبيان التصريفات و تشعباتها، فذكر من الأفعال ما زيد فيه حرفان و فيه خمسة أبواب[7] و ما زيد فيه ثلاثة أحرف و فيه أربعة أبواب[8]، و ذكر أقسام الأفعال كالفعل الصحيح و فيه المثال و الأجوف، و اللفيف المقرون و المفروق و المُضَعَّف و غيرها[9] و أضاف جدولا في آخر الشرح لإصلاح الأخطاء الواردة في المتن.

جاء شرح الشيخ وافيا إذ لم يكتف بما تضمّنه المُخْتَصَر بل ساق أمثلة من القرآن الكريم لكنها تكاد تكون نادرة، و استشهد بأمّهات الكتب و المظان[10]، و رغم ما بذله من جهد واضح في تبسيط قواعد الصرف لتلامذة مدرستي قسنطينة و الجزائر، إلا أنه اعترف– و ذلك

---

[1] ) المجاوي، المصدر السابق ، ص 64.
[2] ) نفسه.
[3] ) نفسه، ص 65.
[4] ) نفسه، ص 66.
[5] ) نفسه، ص ص 71-73.
[6] ) نفسه، ص ص 72-75.
[7] ) نفسه، ص ص 68-71.
[8] ) نفسه، ص ص 72-74.
[9] ) نفسه، ص ص 84-90.
[10] ) يكاد يكون اعتماده كليا في هذا الشرح على كتاب الخلاصة و الكافية لابن مالك و هي من أشهر المصادر على الإطلاق عند أهل المشرق و المغرب، كما استشهد بكتاب تاج اللغة و صِحَاح العربية للجوهري إسماعيل بن حماد ( ت 393هـ/1003م) و كتاب المُفَصَّل في صفة الإعراب للزّمخشري ( ت 538هـ/1143م).

هو ديدنه– بقصوره و قلّة اطلاعه طالبا المغفرة و مُلْتَمِسًا المعذرة، و هي من علامات التواضع الذي أضحى في أيامنا هذه عملة نادرة.

**شرح على المنظومـــــة المجراديـــــة:**

هو شرح لمنظومة من سبعين بيتا ألفها الإمام ابن مجراد السلاوي[1] طُبِعت على الحجر في المطبعة البونية بعنابة في 15 ذو القعدة الحرام 1311هـ/20 ماي1894م و لا ندري سببا لعدم طبع الشيخ المجاوي شرحه هذا بقسنطينة التي كان مُقيما و مدرِّسا فيها ؟

و نُرَجِّح أن يكون هناك من تكفّل بطبعه على نفقته لأنه أشار إلى أن تأليفه جاء و هو في حال من الضّيق و عُسْرِ الحال[2].

يحتوي هذا الشرح على 57 صفحة يمكن قراءتها دون عناء عدا بعض الأخطاء اللغوية القليلة التي هي من عيوب المطبعة الحجرية، استهلّه بخطبة مسجوعة مما جاء فيها « ... فهذا شرح وجيز مختصر على منظومة الشيخ ...الإمام الأَبَرّ، اقتصرت فيه على حل ألفاظ النظم و الإعراب، طالبا من الله مزيد الأجر و الثواب...»[3]، ثم قسم شرحه إلى فصول و أبواب على على حسب الترتيب الذي وضعه مؤلف المنظومة، فذكر فصلا في بيان الجملة الفعلية و الاسمية و الشرطية، مبينا الفرق بين الكلام و الجملة المفيدة و غير المفيدة و الصغرى و الكبرى [4] و في انقسام الكبرى إلى ذات وجه و ذات الوجهين[5].

---

[1] ) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمران الفزاري ( ت778هـ/1376م) نحوي من أهل سَلَا بالمغرب الأقصى، من آثاره لامية الجمل و إيضاح الأسرار و البدائع.
- الزركلي، الأعلام...، الجزء السابع، ص 44.

[2] ) المجاوي، شرح على المنظومة المجرادية، المطبعة البونية لرومبي و راستاي، عنابة 1891م، ص 49.

[3] ) نفسه، ص2.

[4] ) نفسه، ص ص 7- 14.

[5] ) نفسه، ص ص 15-16.

و جعل بابا للجمل التي لا محل لها من الإعراب[1] ، ثم ذكر الجمل التي لها محلّ من الإعراب[2] ، ثم الجمل الخبرية بعد النكرات و المعارف[3]، و ما يتعلق من حروف الجر و ما لا يتعلق، و بيان المُتَعَلَّق به[4] ، و حكم المجرور و الظرف بعد نكرة أو بعد معرفة[5]، و ما يتعلق به المجرور أم وقع حالا أو صفة أو خبرا أو صلة [6]، و فصل في رفعه الفاعل بعد النفي و الاستفهام[7]، ثم شرح أبيات خاتمة المنظومة التي على عادة المتقدمين فيها حمد الله و شكره على نعمه و بالصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم [8] ، أما المجاوي فاختار أن تكون خاتمته في الكلام على أحرف يحتاج إليها المُبتدؤون و هي من الفوائد التي اعتاد توظيفها في جل مؤلفاته، و ربما أراد أن يحفظ تلميذته هذه المنظومة فنشرها في أخر شرحه تتميما للفائدة[9].

و قد بذل جهدا وافرا في شرحه لأبيات المنظومة شرحا لغويا لتيسير ما انْبَهَم منها على تلامذته و إعراب المفردات و الجمل إعرابا مفصّلا، و اجتهد في ذكر آراء أهل النحو و مسائل الخلاف بين النحاة في بعض المسائل الإعرابية مُرَجِّحًا بعضها و مُعَقِّبًا على البعض الآخر و إذا كان استشهاده بالقرآن الكريم غزيرا إلا أنّ استشهاده بالحديث الشريف نادر، و على عادته استعان بأبيات من الشعر، و بأمّهات كتب النحو، مثل كتاب الخُلاصة لابن مالك.

---

[1] ) المجاوي، المصدر السابق، ص ص 17-28.
[2] ) نفسه، ص ص 28-35.
[3] ) نفسه، ص ص 35-37.
[4] ) نفسه، ص ص 37- 41.
[5] ) نفسه، ص ص 41-42.
[6] ) نفسه، ص ص 42.
[7] ) نفسه، ص ص 44.
[8] ) نفسه، ص ص 46-47.
[9] ) نفسه، ص ص 51-57.

و رغم أن الشيخ المجاوي لم يكن من السبّاقين في شرح منظومة ابن مجراد لأن هناك من تولّى شرحها من العلماء الجزائريين و غيرهم [1]، إلا أن من اطّلع على بعض هذه الشروح يعترف أنه كان الأقدر من بين أولئك، فقد قدّمه إلى طلابه على الوجه الأكمل بوصفه مدرِّسا مُتَمرّسا مُتمتّعا بقدرة لم تكن تتوفر لمعاصريه[2].

**الدرر البهيـــــة على اللاميـــة المجراديـــة:**

هو مخطوط في النحو و هو شرح لمنظومة العلامة ابن مجراد السلاوي و قد أشرنا إلى ترجمته فيما سبق، و كان الفراغ من نَسْخِه في التاسع ذي الحجة الحرام 1320هـ و هو بخط المجاوي يقع في 63 صفحة و تحتوي كل صفحة على 14 سطرا في كل سطر عشر كلمات.

اطلعنا على النسخة الموجودة في أدراج مصلحة التراث و الثقافة بوزارة الشؤون الدينية و الأوقاف في مجموع رقم 650، و قد سلّموا لي نسخة مصوّرة على قرص مرن فلهم مني موفور الشكر و التقدير.

[1] ) نذكر من بين تلك الشروح، شرح جمل المجراد للحسن بن يوسف الزياتي ( ت1023هـ/ 1614م) ، و فتح الهادي بشرح المجرادي لعبد الكريم بن الفكون (ت 1073هـ/ 1663م) و نيل المُراد في لامية ابن مجراد لمحمد بن الحسن المزمري الأولفي (ت 1160هـ/1747م)، و شرح جمل المجراد لمحمد بن أحمد ميارة ( ت 1072 هـ/ 1661م).
- عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان الفاسي الفهري، الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر، تحقيق و تقديم فاطمة نافع، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 2008م، ص ص 113-182 و ص 202.
- بشير ضيف، فهرسة معلمة التراث الجزائري، بين القديم والحديث، مراجعة عثمان بدري، منشورات ثالة، الجزائر 2007م، ص 338.

[2] ) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء السابع، ص 157.

جاء في بداية الشرح « نحمد من له الحمد على الجملة و التفصيل المُنَزَّه عن التقييد بالزمان و المكان و المثيل، الموصوف بكل فضل و إحسان، المتعالي عن الوزراء و النظراء و الأعوان... »[1].

أراد الشيخ في تأليفه هذا على نظم المجرادية أن يستدرك ما لم يشر إليه في شرحه الأول، فهناك فروق بين الشرحين بداية من العنوان في المبنى لا في المعنى، لكن التسمية الموجودة على غلاف المخطوط غير العنوان الموجود في الصفحة الثانية، ففي الغلاف كُتِبت على هذا النحو " الدرر البهية على اللامية المجرادية " ، أما في الصفحة الثانية كُتِبت " الدرر البهية على القصيدة المجرادية " و رغم اعتراف الشيخ بتعدد شراحها، لكنه أقرّ بأنّ منهم «... من أطنب إطنابا مُمِلًّا و منهم من اختصر اختصارا مُخِلًّا، (فاختار أن يتوسّط) بين الأمرين و يسلك أسهل السُّبلين...»[2].

غيّر الشيخ من سياق شرحه فتصرّف فيه بإضافة ما رآه مناسبا لتلامذته، و حذف ما رأى أنه يثقل عليهم، بينما احتفظ ببعض ما جاء في الشرح الأول، و حافظ على الأبواب التي حَوَتْهَا المنظومة كما رأينا في شرحه الأول لها، و ممّا تصرّف فيه مقدمة الشرح (الخطبة) كما تصرف في الخاتمة أيضا، و الواقع أن الزمان و المكان قد تغيّرا أيضا، فزمن تأليف هذا الشرح كان الشيخ مدرسا في الجزائر، أما الفائدة التي أدرجها في خاتمة رسالته فلم يُغيّرها، و على عادته استشهد كثيرا بالقرآن الكريم، و بالشعر، و ساق أمثلة بسيطة و تقليدية مبسوطة في كتب

[1] ) المجاوي، الدرر البهية على اللامية المجرادية (مخطوط)، وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، مصلحة التراث والثقافة، مجموع رقم 650، الصفحة الأولى.
[2] ) نفسه، ص 2.

علماء النحو المتقدمين و المتأخرين لتسيير الفهم على تلامذته، كما استشهد بآراء النحويين و اقتبس الكثير من ألفية ابن مالك (الخلاصة).

كانت لامية ابن مجراد من المنظومات التي دُرِّست على نطاق واسع في بلاد المغرب للمبتدئين من التلاميذ فهي مفيدة لمعرفة قواعد النحو و أبواب الإعراب، فرأى الشيخ المجـــاوي أنه من الأَفْيَد شرحها فعكف على ذلك زمن إقامته بقسنطينة، و كان الأمر كذلك عندما انتقل إلى الجزائر، و لعل الكثير من تلامذته – الذين أضحى منهم العلماء و الأساتذة – قد استفادوا منها في دراسة و تلقين علم النحو سواء في المساجد أو في المدارس الرسمية التي أدرجته ضمن مناهجها التعليمية.

لقد ترك الشيخ المجاوي تآليف مفيدة في علوم العربية فطرق أبواب النحو و الصرف و البلاغة مبسطا عباراتها شارحا غريب جملها، فقرّب إلى تلامذته أصولها ووجههم إلى أيسر سُبلها بأسلوب جعل الكثير منهم يتأثرون به و يسيرون على نهجه، و استطاع نشر مؤلفاته رغم عسر الحال و قلّة المُعين، و سلمت –على قلتها– من التلف و الضياع، و لنا أن نتساءل إن كانت هذه الرسائل القليلة هي كلّ ما تركه من آثار في هذا الباب ؟

إذا سَلَّمْنَا بذلك نكون مخطئين، فالعقود التي قضاها مدرِّسا للغة العربية في مساجد و مدارس مدينتي قسنطينة و الجزائر تجعلنا ندرك يقينا أن آثاره الشفوية يمكن أن تحوي مجلدات ضخمة لو دُوِّنت و حُفظت، لكن ذلك – مع الأسف – لم يحدث، و نعتبر ذلك من النوائب التي حاقت بتاريخنا و ثقافتنا الوطنية في مختلف فتراتها، و لذلك نرى أنه من الواجب إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

# في الحساب و الهيئة

# وعلم الفلك

برع علماء المسلمين في هذا العلم الذي اقترن أساسا بعلم الحساب، فكان التقدم في علوم الرياضيات أساسا لخدمة علم الفلك و الهيئة، فنُصبت المراصد في الدول الإسلامية مشرقا و مغربا[1]، و كان لبلاد المغرب نصيبها في هذا العلم خاصة في طرابلس الغرب و في تونس، أما الجزائر فلم يكن لعلمائها حظ في هذا العلم، ففي أفضل الأحوال نراهم ينقلون عن غيرهم دون تصرف لقصر باعهم و عدم تمكنهم منه، و هناك من اهتم به لغرض التنجيم و العرافة، و لم يقتصر الأمر على الحقبة العثمانية بل استمر الضعف على عهد الاستعمار الذي اعتُبِر عاملا مُساهما في تدهوره[2].

ظهرت التآليف قليلة و متفرقة، و ممن ترك أثرا في هذا الباب من الجزائريين هناك الشيخ المجاوي[3]، لكن مؤلفاته لا تعدو كونها مجرد مبادئ في هذا العلم المتشعّب، فكانت أولى محاولاته، شرحه على المنظومة المرضية في المسائل النجومية، و ظهور الشروح في هذه المرحلة دليل واضح على الضعف و الركود إذ لا تجديد فيها، و لم نسمع في حدود اطلاعنا عن مؤلفات ظهرت زمن ظهور هذا الشرح الذي لم يحظ هو الآخر بالاهتمام.

---

[1] ) فانديك، اكتفاء القنوع ...، ص 164.

[2] ) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء السابع، ص 77.

[3] ) من العلماء الذين ألّفوا فيه أيضا نذكر المكي بن عزوز ( ت1334هـ/1916م) الذي ألّف رسالة " الجوهر المرتب في الربع المُجيب" طبعت بتونس سنة 1298هـ/1881م و المولود الحافظي ( ت1367هـ/1948م) الذي كانت له شهرة فيما اتّصل بالأهلّة والجداول الحسابية والخسوف والكسوف، وكان يملك الربع المُجيب يَكِيل به الطول والعرض والعمق والمسافة وقد ضاع زمن الثورة التحريرية.

– بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت 1995م، ص ص151-152.

– البغدادي إسماعيل باشا، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المجلد الأول والثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت.ط)، ص384.

و قد تحدث بعض الباحثين – كما سيأتي– عن منظومة ألّفها المجاوي في هذا الباب، لكنها لا تكاد تُذكر، أما تأليفه لرسالة الفريدة السنية في الأعمال الجيبية فكان عملا هاما و إن جاء متأخرا، بعد تعيينه مدرسا في الثعالبية، مُستعينا فيه بآراء علماء الإسلام ممّن ذاع صيتهم لكن غلب عليها الطابع التعليمي بحكم وظيفته و ارتباطه بتلاميذه، إلا أن هذا الأمر لا يمنعنا من الاعتراف بأن الشيخ يُعدُّ من علماء الجزائر السباقين في الاهتمام بهذا العلم الذي أضحى أساسا لتطور الأمم والشعوب في زماننا الحاضر.

**شرح على المنظومة المرضية في المسائل النجومية للإمام ابن غازي:**

هي شرح لمنظومة ألفها الشيخ ابن غازي المكناسي[1] في علم الفلك، طبعت بقسنطينة على الحجر سنة 1296هـ/1879م[2]، و هي من أقدم مؤلفات الشيخ المجاوي على الإطلاق، إذ كان الفراغ من تأليفها في 10 شعبان 1295هـ/9 أوت 1878م، و يعلّل سبب شرحه لهذه المنظومة بقوله «...إنه قد ظهر لي أن أشرح هذه المنظومة المختصرة المُحتوية على معرفة دخول المنازل و الأبراج الفلكية لناظمها العلامة ابن غازي... قُدِّس سِرُّه قاصدا بذلك نفع العباد، و الله الموفق لما فيه الصلاح و السداد...»[3].

---

[1] ) ابن غازي ( 858-919م/1454/1513م) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن غازي المكناسي العثماني، محدث و مدرس و مفتي و خطيب بجامع فاس و القرويين، ولد بمكناسة، له تصانيف عديدة منها شفاء الغليل في حل مقفل خليل و الروض الهتون في التعريف بأخبار مكناسة الزيتون، و التعلل برسوم الأسناد بعد انتقال أهل المنزل و الناد، و كراريس في الحديث، و له حاشية على صحيح البخاري، توفي بفاس و دُفِن بباب الحمراء.
- محمد بن عسكر الشفشاوي، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، الرباط الطبعة الثانية، ص ص 45-46.
- الكتاني، فهرس الفهارس...، الجزء الأول، ص ص 288-289.

[2] ) لا نعلم إن كان قد أُعيد طبعه، فقد عثرنا في المصادر الفرنسية أن الشرح مطبوع سنة 1297هـ/1880م يُنظر:
- Revue Africaine, 5éme Année, № 260, 1er trimestre, Alger 1906, p 385.

[3] ) المجاوي، شرح على المنظومة المرضية في المسائل النجومية للإمام ابن غازي، مطبعة بومون، قسنطينة، 1879، ص 1.

يبدو أن الشيخ كان يقدم دروسا في علم الفلك لتلامذته بالكتانية زمن إقامته بقسنطينة، فبدأ شرحه بخطبة تقليدية، ثم ذكر الشهور و منازل الأفلاك و ما يقابلها من أبراج، و الحسابات الفلكية و معرفة أوقات دخول الصلاة حسب الظل و أشهر السنة مستندا إلى التقويم المغاربي و مستشهدا بآراء ابن سعيد السوسي المرغيتي[1].

و عن حركة الأرض حول الشمس و ما ينتج عنها من تبدُّل الفصول كالاعتدال و الانقلاب و ختم شرحه بترتيب الأبراج الاثنا عشرة، و هي حسبه «... مُرَتَّبة على الشهور الأول للأول و الثاني للثاني و هكذا...»[2]، كما ذكر المنازل و عددها ثمانية و عشرون منزلة و الدراري (الكواكب) و عددها سبعة، و الأشهر و عددها اثنا عشرة.

و ختم شرحه بالاعتذار الذي هو من شيم الكرام رغم ما بذله من جهد، و يقول في ذلك «... و اعتذر لذوي الألباب من التقصير الحاصل في هذه النبذة اليسيرة،... فإني قصير الباع قليل الاطلاع، و ما حملني على ذلك إلا نفع أبناء المسلمين...»[3].

إذا فهذا الشرح كان تحفيزا منه لتلامذته للالتفات إلى هذا العلم الذي لم يكن آنذاك موضع اهتمام من الجزائريين المُصَفَّدين بأغلال الاستعمار، و قد سبقنا إليه علماء مراكش و تونس و طرابلس الغرب.

---

[1] ) محمد بن سعيد بن محمد بن يحي بن أحمد بن أبي بكر المرغيتي السويسي (1007-1089هـ/1599-1678م) عالم صوفي شاذلي الطريقة، إمام و مُحدِّث و مُفسِّر و فقيه و شاعر، عارف بالتنجيم و الفلك، من مؤلفاته المُقنع في علم التوقيت و شهور العام، المُستعان في أحكام الآذان، منظومة في علم الجدول و قصائد في أكل الدجاج.
- الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ج4، ص 114.
- السملالي، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، ج5، ص 213.

[2] ) المجاوي، المصدر السابق، ص 30.

[3] ) نفسه.

**الفريدة السَّنيـــــة في الأعمال الجيبيـــة:**

هي رسالة طُبعت في الجزائر بمطبعة ببير فونتانة سنة 1321هـ/1904م على نفقة الإدارة الفرنسية التي كانت تشرف على هذه المؤلفات[1]، باعتبارها من العلوم التي تُدَرَّس بشكل رسمي في مدارس الجزائر الثلاث.

جاء في بداية رسالته أنها: «... صغيرة الحجم و عجالة مختصرة كثيرة العلم في كيفية العمل بالربع المجيب في الأوقات مشتملة على مقدمة و عشرين بابا و خاتمة فيما يتعلق بالتعديل و الميقات...»[2] و أسهب الشرح في المقدمة حتى تَخَالُهَا متنا، مُعترفا بحكمة الله في خلقه للأرض، و ذكر جهود الإنسان في تقسيم الكرة الأرضية إلى أقسام بخطوط وهمية و الأجزاء المعمورة منها و الاعتدال و البرودة [3].

و ذكر الأقاليم السبعة مَبدَؤُها و مُنتهاها، و جعل بابا في معرفة أسماء البروج و المنازل و الشهور و في مداخل السنين العربية و العجمية، و كيفية حسابها بطريقة رياضية و معرفة بروجها، و ختم مقدمته في تسمية الربع المجيب و تعريفه [4] مستشهدا بالشعر تيسيرا للمسائل و تقريبا لإفهام طلبته.

---

[1] ) وردت في النشرة الصادرة عن الولاية العامة ترجمة الرسالة على هذا النحو " Traité d'Astronomie"
- Exposé de La Situation Général de l'Alger, Présenté par Ch.Jaunart, Imprimeur du Gouvernement Général, Alger 1904, p125.

[2] ) المجاوي، الفريدة السنية في الأعمال الجيبية، مطبعة ببير فونتانة، الجزائر 1904م، ص 2.

[3] ) نفسه، ص ص 18-19.

[4] ) نفسه، ص ص 23-29.

أما الباب الأول ففي كيفية قياس بعد الشمس و الكواكب عن الأفق[1]، و الثاني في معرفة جيب القوس و قوس الجيب[2] ، و الثالث في بيان ميل الشمس و الغاية[3]، و الرابع في معرفة عرض البلد[4]، ثم تلاها ببقية الأبواب كمعرفة بعد القطر و أفق البلد « لِيُعْلَمَ زيادة النهار على الليل و العكس »[5] و في معرفة الأصل المطلق ( الحقيقي )، و في معرفة نصف الفضلة و نصف القوس و قوس النهار و الليل[6] و في معرفة الدائر و فضله[7]، و في معرفة الارتفاع الارتفاع المجهول من فضل الدائرة.

و في الارتفاع المجهول من فضل الدائرة إن كان معلوما، و في الظل من الارتفاع و عكسه و قسّمه إلى بسيط و منكوس، الأول يتناسب عكسيا و الثاني طرديا مع الارتفاع[8] و في معرفة الدائر بين الظهر و العصر و الدائر بين العصر و الغروب[9]، و في مقدار حصة الشّفق « ... للتمكين بالنسبة للآذان و الصلاة و الفطر في رمضان و الإمساك عن الأكل و نحوه...»[10] و في سعة المشرق و المغرب[11] و في الارتفاع الذي يُسْمَتُ له و في حصة السَّمت و تعديله، و في معرفة السَّمت لكل ارتفاع و في استخراج سمت القبلة[12]، و في معرفة استخراج الجهات الأربع و القبلة فينبغي « لمن أراد استخراج الجهات أن يفعل ذلك قبل

---

[1] ) المجاوي، المصدر السابق، ص ص 30-31.
[2] ) نفسه، ص 34.
[3] ) نفسه، ص 40.
[4] ) نفسه، ص 42.
[5] ) نفسه.
[6] ) نفسه، ص ص 46-47.
[7] ) نفسه، ص ص 49-51.
[8] ) نفسه ، ص ص 55-57.
[9] ) نفسه، ص ص 59-60.
[10] ) نفسه، ص 62.
[11] ) نفسه، ص 64.
[12] ) نفسه، ص ص 65-71.

الزوال أو بعده بكثير، و أما عنده أو بالقرب فيفسُد التحرير »[1] و في معرفة المطالع الفلكية و البلدية و مطالع الوقت[2]، و في معرفة العمل بالكواكب الثابتة كالنسرين و الفرقدين و المنكبين و غيرها[3].

أما الخاتمة فلم تكن استنتاجا عنده، و إنما تصلح أن تكون جزءا من المتن، فجعلها في معرفة الضرب و القسمة، و أخذ الجذور بربع الجيوب، و فيها أربعة فصول، الأول في ضرب عدد في عدد و قسمة الخارج على عدد آخر و هو ثلاثة أقسام، و الثاني في ضرب عدد في عدد من غير قسمة، أما الثالث ففي قسمة عدد على عدد و الرابع في أخذ جذر[4].

و أشار إلى حركة الأرض حول الشمس و زيادة الليل و النهار و نقصانها حسب القرب و البعد من الشمس، و في الفصول الأربعة و الإحداثيات الفلكية و زاوية الميل و خط الاستواء و دوائر العرض[5].

استشهد المجاوي في رسالته كثيرا بالشعر ففي خاتمة كل فصل يضع أرجوزة حتى يَعِي طلبته، و لا نراه مقتصرا على الجانب النظري بل تعدّى إلى التطبيقي باستعماله وسائل تقليدية كالخيط و الإبرة، و اتباع الطرق الرياضية في الحسابات الفلكية، حتى تظهر النتائج بشكل دقيق، و استعمل مصطلحات لم تعد مُتداولة في أيامنا هذه لأنه اعتمد على مؤلفات ظهرت

[1] ) المجاوي، المصدر السابق، ص 72.
[2] ) نفسه، ص77.
[3] ) نفسه، ص ص 81-88.
[4] ) نفسه، ص91.
[5] ) نفسه، ص ص 92-94.

قديما و اللافت للنظر أن هذه الرسالة لم تكن مُتاحة لطلبة الثعالبية فحسب، بل رأينا من الباحثين من استعان بها في إنجاز بحوث و دراسات ذات العلاقة بعلم الفلك[1].

**منظومة في علم الفلك:**

إن حرص الشيخ المجاوي على إفادة طلبته بأيسر السبل دفعه للاستشهاد في شرحه للدروس بالشعر و الأراجيز في مختلف العلوم، لكننا لم نسمع أنه ألف في هذا المجال، و مع ذلك رأينا من أشار إلى اطلاعه على منظومة في الفلك من تأليفه لكنها لم تُطْبَع[2] ،جاء في مطلعها «... يقول عبد القادر المجاوي مُعتَرفا بالذنب و المساوي:

و بعد فالفضل بذي الأبيات توضح علم النجم و الميقات».

و مما ذُكِرَ أنّ هناك من اطلع عليها و يملك نسخة منها لكنه فقد أثرها بين أوراقه[3]، و لم يتسنّ لنا الاطلاع على هذه المنظومة أو معرفة تاريخ نسخها، و التأكد من أن الذي خطها هو الشيخ المجاوي.

رغم قلة تآليف الشيخ في هذا الباب، إلا انه ترك أثرا واضحا فقد أهّله ذلك لأن تُسْنِدَ إليه إدارة التعليم الفرنسي في الجزائر تدريس هذا العلم عند انتقاله إلى العاصمة[4] ، و هو ما

---

[1] ) نشر إدموند ديستانغ Edmond Destaing مقالا في المجلة الإفريقية بعنوان " الاحتفالات والأعراف الفصلية عند بني سنوس " و هذا هو العنوان الأصلي للدراسة " Fêtes et Costumes Saisonniers chez Les Beni Snous"، مُستعينا بما جاء به الشيخ المجاوي في الفريدة السنية.

- Revue Africaine, № 260, 1er Trimestre, Alger 1906, p 362.

[2] ) ابن قينة، عبد القادر المجاوي في حياته و آثاره 1948-1913م، الثقافة، عدد 48، ديسمبر 1978م، ص 119.

[3] ) عويمر، الشيخ عبد القادر المجاوي و رسالة الإصلاح، البصائر، عدد723، 5-11 ذو الحجة 1435 هـ/ 29-9-/5-10-2014م ( أخبره بذلك الأستاذ المرحوم أبو القاسم سعد الله ).

[4] ) الملحق رقم 11.

يدلّ على تمكُّنه فيه، كما رأينا من تلامذته من تأثّر به و ألّف على شاكلته[1] رغم صعوبته و قلة هم من الجزائريين من ألَّفوا في هذا العلم سواء من تقدّم منهم أو تأخَّر.

[1] ) ألَّف تلميذه أرزقي الشرفاوي " الرسالة الفتحية في الأعمال الجيبية " وهي مفقودة.
- بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة...، الجزء الأول، ص 315.

# في المنطق و علم الكلام

يعتبر المنطق من العلوم العقلية التي تُدَرَّسُ على نطاق واسع في الجزائر سواء في الكتاتيب و الزوايا أو في المدارس الرسمية الخاضعة للاستعمار الفرنسي، و مع ذلك فالتآليف كانت نادرة [1]، و كان الشيخ المجاوي في زُمرة من ألّف في هذا العلـم، فقد عثرنا على مخطوط له في المنطق، مما يؤكد أنه درّسه لتلامذته في الكتانية، و قد سبقه ممّن ألفوا فيه[2] و لا شك أنه استعان بمؤلفاتهم و استفاد منها.

أما علم الكلام فعلى صعوبته إلا أنه كان موضع اهتمام من الجزائريين خاصة كتاب صُغرى السنوسي[3] الذي كان يُدرَّسُ على نطاق واسع.

و قد عاصر الشيخ المجاوي العديد من العلماء ممن ألّفوا في التوحيد و العقائد و علم الكلام[4] و يهمُّنا في هذا المقام أن نُشير إلى رسالتين ألَّفهما الشيخ[5] زمن إقامته في الجزائر أما الأولى فهي تحفة الأخيار فيما تعلق بالكسب و الاختيار المطبوعة سنة 1322هـ/1905م،

---

[1] ) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 156.

[2] ) نذكر من أولئك المؤلفين ابن قنفذ القسنطيني ( ت 740هـ/ 1339 م )، محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني ( ت 842هـ/ 1438م )، محمد بن يوسف السنوسي ( ت 895 هـ)، محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ( ت 909 هـ/ 1504م )، القاضي سعيد بن محمد العقباني التلمساني (؟)، المَقَّرِي التلمساني ( ت 1041 هـ/1631م )، عبد الكريم الفكون ( ت1007 هـ/ 1663م ) و غيرهم.

- ابن مريم أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر 1908م، ص 106و ص ص 255-263.

- محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت1994م، ص 183.

- بشير ضيف، فهرسة ...، ص 449.

[3] ) نسبة إلى محمد بن يوسف السنوسي الأشعري له كتاب " عقيدة أهل التوحيد و التشديد و المخرج من ظلمات الجهل و وربقة التقليد " المعروف بكبرى السنوسي و له أيضا " أم البراهين و العقائد " المعروفة بالسنوسية الصغرى و هي التي أشرنا إليها أعلاه.

- فانديك، اكتفاء القنوع...، ص114.

[4] ) برز منهم القضاة من أمثال شعيب بن علي قاضي تلمسان، و الهاشمي بكار قاضي معسكر، و الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش و محمد بن عبد الرحمان الديسي و الأمير عبد القادر الحسني، لكن حسب رأي من اطلع على مؤلفاتهم أن فيها تكرار و تقليد.

- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 128.

[5] ) نَسَبَ البعض (ضيف، المرجع السابق، ص 441) خطأ تحفة الأخيار و القواعد الكلامية لجدّ الشيخ المجاوي (محمد بن عبد الكريم)، ثم استدرك الأمر بالنسبة للكتاب الثاني، بينما لم يفعل في الكتاب الأول بردّ الحقّ لصاحبه.

و الثانية هي القواعد الكلامية طبعت سنة 1328هـ/1911م، و هي الفترة ذاتها التي أسندت فيها إدارة التعليم الفرنسي في الجزائر مهمة تدريس هذا العلم لطلبة القسم العالي بالمدرسة الرسمية ( الثعالبية ) و أشار فيهما إلى مسائل كلامية و آراء المتكلمة و العقائد و الكسب و الجبر و الحِجاج القائم بينها حتى العصور المتأخرة، مستدلا بآراء جهابذة العلماء في العالم الإسلامي و مستندا إلى مؤلفاتهم الغزيرة في إبداء رأيه، اعتمادا على خبرته في توصيل المعنى و توضيحه لتلامذته من أيسر السبل و أقل التكاليف.

**مختصر المنطق**[1]:

هو مخطوط عُرِف أيضا بشرح جمل الخونجي[2] يحتوي على سبعة عشرة ورقة في كل ورقة عشرون سطرا، و يضم كل سطر ما بين ثماني إلى اثنا عشرة كلمة، كتبها الشيخ عبد القادر المجاوي بخط مغربي، و كان الفراغ من تبييضها يوم 29 رجب 1295هـ/29 جويلية1878م[3] و هي الفترة التي شَغَلَ فيها منصب أستاذ في المدرسة الكتانية الرسمية و فيما يبدو أنها حُرِّرت على عَجَلٍ نظرا لارتباطاته الكثيرة.

بعد خطبة تقليدية أشار الشيخ المجاوي إلى دواعي تأليفها بقوله « فإنه قد طلب مني بعض تلامذتنا المجتهدين أن أكتب فريدة مبنية للقضايا و أحكامها على سبيل الاختصار من غير إطناب ... فأجبته بعد سؤاله لي المرّة بعد المرّة، فلمّا طلب ظهر لي صِدْقُ طلبه بادرت إلى تحصيل مَرغُوبه على قَدْرِ البِضاعة و بَوَارِ الصناعة...»[4].

---

[1] ) مخطوط في المنطق، وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، مصلحة التراث و الثقافة، مجموع رقم 660.
[2] ) كحول، التقويم الجزائري، السنة الثانية، ص 105.
[3] ) مخطوط في المنطق، الصفحة الأخيرة.
[4] ) نفسه، الصفحة الأولى.

استهلّ رسالته بمقدمة في تعريف اللفظ المركب و الكلّ الذي هو «...اسم لجملة مركبة من أجزاء محصورة أي مصورة بالصور الكلية، و كلمة كُلّ تقتضي عُموم الأسماء...»[1]

و أشار إلى أقسامه كالانتساب و المترادف و المتباني و المتشابه و المتقدم.

و جعل بابا للقضية و أقسامها[2]، فَعَرَّفَ القضية و ذكر أقسامها البسيطة و المُركّبة و أسهب في شرحها لتقريب المعنى لذهن تلميذه الذي وجد فيه رغبة للفهم و حبا في التعلم، و في قضية الجملية و أقسامها[3] التي فصّل في شرحها.

و فصل في ذكر الموجهات فيقول في ذلك « ... اعلم أن نسبة المحمول الشيء الموضوع سواء كانت إيجابية أو سلبية إذا نسبت إلى أمر إما تكون مكيّفة الدوام أو اللا إدوام إلى غير ذلك من الكيفيات...ثم إن هذه الكيفية قد لا يصرح بها لا بعضا و لا ملاحقة و قد يصرح بكيفية تلك النسبة فتكون القضية موجهة...»[4]، و يتكلم عن القضية و شروطها منها الضرورية المشروطة و العامة و الوقتية و المنتشرة و الدائمة و العرفية و الممكنة العامة و الخاصة، و ساق جملة من الأمثلة التوضيحية التي تُغني عن السؤال بعدها.

أما الخاتمة فجعلها فيما يتعلّق بالقضية من التناقض و الاتحاد، و مما أشار إليه « ...و لا بُدَّ في التناقض من اختلاف القضيتين في الإيجاب و السلب و الكلية و الجزئية، و في الضرورة و الإمكان و الدوام و الإطلاق...»[5].

---

[1] ) مخطوط في المنطق، الصفحة الأولى.
[2] ) نفسه، ص 3.
[3] ) نفسه، ص 6.
[4] ) نفسه، ص 10.
[5] ) نفسه، ص 16.

ما يمكننا قوله أن الشيخ المجاوي قد أسدى لتلميذه ما يحتاج إليه في دراسته و قدم له شروحا وافية فيما استشكل لديه في هذه المسألة، فدعم شرحه بأمثلة بسيطة اختارها أن تكون من محيطه الدراسي، وبدا الشيخ حريصا على إفادة تلميذه بأيسر السبل، خاصة عندما تعلّق الأمر بتلميذ من زُمرة المجتهدين، لكن ممّا يُلاحظ أن هذه العُجالة لم تُطبع في حدود علمنا و من حُسن الحظ أنها نجت من الضياع، لكنها تحتاج في نظرنا إلى تحقيق و ذيول و تعاليق، حتى تغدو أكثر فائدة، فيطّلع عليها الناس و يستفيدوا منها.

**تحفة الأخيار فيما تعلق بالكسب و الاختيار:**

هي رسالة تحتوي على 43 صفحة طبعت على الحجر بمطبعة بيير فونتانا الشرقية في الجزائر سنة 1322هـ/1905م، استهلها بمقدمة في شكل خطبة تعودنا عليها في مؤلفاته و هي سمة غالبة في أدبيات ذلك العصر، اعتاد المؤلفون إدراجها في مؤلفاتهم، و كان الداعي الأساس من تأليفها افتراق أمر الأمة حسب قوله «... فرقًا ثلاثة أهل سنة و قدرية و جبرية و كل فرقة تُشَنِّعُ على مقابلتها و شروط ردِّها إلى طريقتها، و اختلفت آراء أهل السنة في معنى الكسب و تنازعوا فيما بينهم بالإيجاب و السّلب... ظهر لي أن أجمع جميع هذه الأقوال ليزول بحوله تعالى التلبيس و الإشكال ...»[1].

أشار الشيخ المجاوي في بداية رسالته إلى الاختلاف الذي وقع بين الفرق الكلامية في مسألة الكسب و رأي كل منها « .... ليتبين ما هو الحق ...»[2] ، و قسم رسالته إلى المقدمة المشار إليها و ستة فصول و خاتمة.

[1] ) المجاوي، تحفة الأخيار فيما تعلق بالكسب و الاختيار، مطبعة فونتانا الشرقية، الجزائر 1905م، ص ص 2- 3.
[2] ) نفسه، ص 4.

أما الفصل الأول فأشار فيه إلى أهل الجبر و يطلق عليهم الجهميّة[1] فخالف رأيهم وردّ عليهم بالمنع و النقض[2] كون مرتكب الكبيرة عندهم لا يُعاقب ووصف عقيدتهم بالفاسدة[3].

و خصّص الفصل الثاني لأقوال أهل القدر و هم المعتزلة[4] الذين نفوا القدر عن الله تعالى و نسبوه لأنفسهم فزعموا « ... أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله الخالق و إنما هي خلقتهم و إبداعهم باختيارهم و مشيئتهم، و أن المؤثر فيها قدرتهم فقط ...» [5].

بينما نراه في الفصل الثالث ينتصر لمذهب أهل السنة و الجماعة فاعتبره مذهبا عادلا «...حيث اعرضوا عن الإفراط و التفريط »[6] و أشاروا بأن الله تعالى خالق للحوادث بأسرها و الأفعال الاختيارية من جهتها و أن لقدرة العبد مدخلا فيها فيُقال أنها مكسوبة للعبد و تُنسَب إليه[7].

و جعل الفصل الرابع في الفعل الصادر عن العبد بقوة و لا قوة إلا بالله فلا فعل إلا بالله، فأفعال الإنسان تصرف فيما خلق الله بالكسب و القدرة التي خلقها الله فيه[8].

---

[1] ) هم أصحاب جَهَمْ بن صفوان الترمذي (ت 128هـ/746م ) فحسب اعتقادهم أن الإنسان ليس يقدر على شيء و لا يوصف بالاستطاعة و إنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له و لا إرادة و لا اختيار، و إنما يخلق الله تعالى فيه الأفعال على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، و ينسب إليه الأفعال مجازا كما ينسب للجمادات.
- الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل و النحل، صححه و علق عليه أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، الجزء الأول، الطبعة الثانية، بيروت 1992م، ص 73.

[2] ) مرزوق العمري، الشيخ عبد القادر المجاوي و مساهماته في علم العقيدة، البصائر 28 سبتمبر- 3 أكتوبر 2014م، عدد 723.

[3] ) المجاوي، المصدر السابق، ص5.

[4] ) يُنْسَبُ المعتزلة لأصحاب واصل بن عطاء الغزال (ت131هـ/748م) لمّا اعتزل مجلس أبي الحسن البصري و قرّر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن و لا كافر و يثبت المنزلة بين المنزلتين فطرد و تبعه جماعة من الناس سُمّوا بالمعتزلة و يُطْلَق عليهم أيضا أهل العدل و التوحيد و يُلَقّبون بالقدرية، يعتقدون أن الله قديم و القدم أخص وصف ذاته، و نفوا الصفات القديمة أصلا، فقالوا هو عالم لذاته قادر لذاته حي لذاته لا يعلم و قدرة و حياة هي صفات قديمة و معاني قائمة به لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لِمُشاركته في الإلهية.
- الشهرستاني، المصدر السابق، ص 38.

[5] ) المجاوي، مصدر سابق، ص 6.

[6] ) نفسه، ص 8.

[7] ) نفسه.

[8] ) ابن كمال باشا شمس الدين أحمد بن سليمان، مسائل الخلاف بين الأشاعرة و الماتريدية، تحقيق سعيد عبد اللطيف فودة، دار الفتح للدراسات و النشر، الطبعة الأولى، عمان 2009م، ص 14.

و يشير في الفصل الخامس إلى مسألة الكسب فاعتبرها من مُعضِلات المسائل و تبنّى رأي الأشاعرة مُستشهدا بآرائهم[1].

أما الفصل السادس فخصّصه لحصر أوجه التأثير في الفاعل المختار و الطبيعة و العلّة مُستدلا بما جاء به الفلاسفة من علماء الإسلام و ما ورد من خلاف في هذا الشأن[2].

و خَلُص في الخاتمة إلى النهي عن مخالفة الشرع و المعاندة و ينبذ رأي المعتزلة و يصفهم بالفئة الضالة التي قَلَبَت الحق باطلا، و يدعوا إلى عدم تأويل ما تعلّق بذات الله تعالى و ضرورة السير خلف السلف الصالح[3].

**القواعد الكلاميـــــــة:**

يعتبر من أكثر مؤلفات الشيخ غزارة، طبع بمطبعة الأخوين فونتانا و شركائهما بالجزائر سنة 1329هـ/1911م، و كان آنذاك يجمع ما بين منصبين أستاذا بمدرسة الجزائر العليا (الثعالبية) و إماما بمسجد سيدي رمضان، فهذا التأليف كان من اجل طلبة القسم العالي، لأن إدارة المدرسة أسندت إليه تدريس التوحيد و علم الكلام عندما انتقل إليها من قسنطينة و عالج من خلاله مشكلات ميتافيزيقية و كلامية[4].

---

[1] ) استشهد الشيخ المجاوي بآراء طائفة من المتكلمين التي يمكن الاطلاع علي بعضها في المصادر التالية:
- ابن القيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر، شفاء العليل في القضاء و القدر و التعليل، خرج أحاديثه و علق عليه أبو مازن المصري و كمال سعيد فهمي، المكتبة التوفيقية، القاهرة (د.ت.ط)، ص 247 و ما بعدها.
- أبو الحسن الأشعري، اللمع في الرد على أهل الزيغ و البدع، صححه و علق عليه حمودة غرابة، مطبعة مصر1955م، ص 93 و ما بعدها.
- الباقلاني أبي بكر الطيب البصري، الإنصاف فيما يجب اعتقاده و لا يجوز الجهل به، تحقيق و تعليق، محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانية، القاهرة 2000م، ص 43.

[2] ) المجاوي، المصدر السابق، ص 8.

[3] ) نفسه، ص ص 42-43.

[4] ) طالبي، آثار ابن باديس، الجزء الأول، ص23.

استهل المجاوي رسالته هذه بخطبة تقليدية، أشار فيها إلى دواعي تأليفها قائلا: « فقد مسّت الحاجة إلى تأليف رسالة في علم التوحيد تكون سهلة المأخذ قليلة الكلفة يستعذب موردها القاصر و الكليل و يقتبس من مشكاتها المتحير في تصحيح عقيدته بالدليل، و لما قوي الرجاء انعقدت النية على ذلك و صرفت العزيمة هنالك، فجاءت بحمد الله على صغر حجمها كبيرة المسائل متنوعة المسالك شاملة لغالب العقائد...»[1].

و قرظها صديقه و تلميذه محمود كحول ( بن دالي ) بعبارات تقليدية أدبية « وافية في صنعتها يمكن أن تُلصق بأي كتاب فلا ينفر منها و لا تظهر غريبة فيه »[2]، و حسب البعض فقد جاء تقسيم المجاوي للكتاب تقليديا[3]، بدأه بمقدمة جعلها في تعريف علم التوحيد الذي يُعَدُّ في نظره « أفضل العلوم الشرعية »[4] و موضوعه و واضعه و تعدد أسمائه، أما فائدته فهي حسبه دنيوية مُعَجَّلَة و هي « عصمة المال و النفس و انتظام العيش بالعدل و رفع الجور و الظلم و حفظ قواعد الدين عن شبه المبطلين وصحّة النية و الإخلاص »[5]، و أخروية مؤجلة و فيها « السلامة من العذاب المُترتِّب عن سوء الاعتقاد »[6].

و أنه مُسْتَمَدٌّ من الأدلة العقلية و السواطع النقلية كما عند الأصوليين و عند أهل الميزان المبادئ الاصطلاحية التي يبني عليها العلم من أمور تصويرية أو تصديقية[7].

---

[1] ) المجاوي، القواعد الكلامية، المطبعة الشرقية لصاحبها فونتانا الأخوين و شركائهما، الجزائر 1911م، ص 2.
[2] ) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثامن، ص 98.
[3] ) العمري، المرجع السابق.
[4] ) المجاوي، المصدر السابق، ص 10.
[5] ) نفسه، ص 8.
[6] ) نفسه.
[7] ) نفسه.

و ضمّن تأليفه مباحث في سر التوحيد و في الإيمان و الإسلام و النطق بالشهادتين و في تاريخ التوحيد و في الأخلاق بين الفرق الكلامية و في تأويل القرآن مما أدى إلى ظهور الزندقة و الفرق الضالة المُظِلّة و في مرتبة العقل في مدارك الحقائق و في الدليل و ما يلائمه و في النظر و الشهادة و في إطلاق لفظ الدين[1] مستشهدا بالقرآن الكريم، وبيّن دور علماء السنة[2] ، في علم الكلام و التوحيد.

و قسّم المجاوي رسالته إلى عشرة فصول، فجعل الفصل الأول في الحكم العقلي و أقسامه مستشهدا بأمثلة بسيطة لتقريب الفهم للطالب، و بيّن في مطلب العقل و ارتباطه بالشرع العلاقة الوطيدة بينهما، فيُشبّه الشرع للعقل كالزيت للسراج أو كالنور للبصر، فلابد في نظره « من العقل لأجل إدراك ما يُسْتَحسَن و ما يُسْتَقبَح »[3].

أما الفصل الثاني ففي بيان التوحيد بالاستدلال و فيه مطلبان الأول في أدلة الوحدانية و الثاني في الاشتغال بمباحث الكلام مُستدلّا بشواهد من الشرع[4].

و ذكر في الفصل الثالث في أن ذات الباري لا تكتنه و استحالة تولد الخلق من ذاته تعالى و بطلان الحلول و الاتحاد مستشهدا بأقوال الفلاسفة المسلمين من أهل السنة و الجماعة[5]، و يدعم ذلك بأمثلة من علم الطبيعة في بحث عدم تدخل المادة فيقول « تَقدَّر هناك أنه لا يمكن أن يشتغل جسمان أو جزءا مادة حيّزا في آن واحد »[6].

---

[1] ) المجاوي، المصدر السابق، ص ص 11- 25.
[2] ) نفسه، ص ص 18-19.
[3] ) نفسه، ص 28.
[4] ) نفسه، ص ص 29-33.
[5] ) استعان المجاوي بآراء الفارابي (ت339هـ/950 م) في كتابه " فصوص الحكم " و ابن تيمية ( شيخ الإسلام ) و محي الدين ابن العربي إمام الصوفية ( ت 638هـ/ 1240 م).
- المجاوي، المصدر السابق، ص ص 34-37.
[6] ) نفسه، ص 37.

و في الفصل الرابع ذكر ما تعلّق بالإلهيات و الصفات على ما يوافق مذهب الأشاعرة و حصر هذه الصفات في الوجود و القدم و البقاء و المخالفة للحوادث و القيام بالنفس و الوحدانية و القدرة و الإرادة و العلم و الحياة و السمع و البصر و الكلام[1].

و في هذا الفصل مبحثين الأول أطلق عليه التشابه[2]، أما الثاني ففي الكلام[3] و أطال في شرحه مستشهدا بآراء مُتَكَلِّمَة الأشاعرة و رجّح كفّتهم على حساب خصومهم.

أما الفصل الخامس ففي دحض ما ذهب إليه الفلاسفة الإغريق بزعمهم أن العالم موجود بالعلة أو الطبيعة[4].

و جعل الفصل السادس في ذكر العقائد مُجملة[5]، أما الفصل السابع ففي أنه تعالى لا خالق سواه « و أن الله سبحانه و تعالى هو الخالق لكل حادث جوهر أو عرض على اختلاف أنواعه »[6]، و ضمنه مبحثين في خلق الأفعال و في الكسب[7].

و خصص الفصل الثامن في بعثة الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و يرى « أنّ بعث الرسل عند أهل السنة جائز لأنه من متعلقات القدرة، لكن الإيمان بهم واجب لأنه تعالى أيّدهم بالمعجزة »[8].

---

[1] ) المجاوي، مصدر سابق، ص ص38-66 ( لاحظنا أن المجاوي قسم الصفات إلى أربعة أقسام، نفسية، الوجود، الواجب، و سلبية تتمثل في القدم و البقاء و المخالفة للحوادث و قيامه بنفسه و الوجدانية، و صفات المعاني و هي القدرة و الإرادة و السمع و البصر و الحياة و العلم و الكلام، و الصفات المعنوية و هي كونه قادرا مريدا سميعا بصيرا و عالما و حيا و مُتَكَلِّمًا ).

- المجاوي، إرشاد المتعلمين، ص ص 7- 8.

[2] ) المجاوي، القواعد الكلامية، ص ص 52- 55.

[3] ) نفسه، ص 66.

[4] ) نفسه، ص 82.

[5] ) نفسه، ص ص 83-85.

[6] ) نفسه، 85.

[7] ) نفسه، ص ص 86-90 و ص ص 90-107.

[8] ) نفسه، ص 110.

أما الفصل التاسع فشرح فيه إحدى الصفات المعنوية في أنه تعالى يَرَى « في تحقيق معناها و في جوازها عقلا و في وقوعها سمعا »[1].

و أورد في الفصل العاشر مسائل من السمعيات في إرسال الرسل و الحساب و العقاب و الجنة و النار و الشفاعة، و حكم المجتهد و العلامات[2].

و جعل الخاتمة مطالب، أولها فيما وقع من الخلاف بين الأشاعرة و الماتريدية[3] ، ثم ذكر ذكر أربعين مسألة في التوحيد و علم الكلام، فأدلى بدلوه فيها بالرأي و الاستشهاد[4].

و المطلب الثاني في أقاويل الفلاسفة المخالفة للشرع[5]، و الثالث في ذكر عقيدة أهل السنة تكميلا للفائدة و مستشهدا بالشعر كعادته[6]، أما المطلب الرابع ففي المعجزات[7]، و رغم غزارة غزارة الأفكار التي تضمنها الكتاب نرى المجاوي يعترف بقصوره و يبدي جانب التواضع بقوله « و أسأل من ذوي الألباب غض النظر عما يوجد من الخطأ في هذا الكتاب... »[8] مُستدرِكا أخطاء المطبعة الحجرية في جدول الخطأ و الصواب.

بذل الشيخ جهدا كبيرا في تأليفه هذا، فكان حريصا على إفادة تلامذته، لذلك أسهب في الشرح بأسلوب بسيط و بطرقه التعليمية المُعتادة التي تخلو في نظر البعض من التنظير

---

[1] ) المجاوي، المصدر السابق، ص 113.
[2] ) نفسه، ص ص 115-118.
[3] ) يُنسب الأشاعرة إلى أبي الحسن الأشعري ( ت 324هـ/936 م) الذي كان مُلمّا بدقائق المذاهب، أما الماتريدية فتُنسب لأبي منصور الماتريدي (ت 333هـ/945 م) المتكلم الحنفي، و كلا الفرقتان يطلق عليهما أهل السنة و الجماعة تميزوا في علم التوحيد و الكلام و أصول الدين و جمعوا بين العقل و النقل، لكنهما اختلفا في اثنا عشرة مسألة، و أساس الخلاف بينهما فرعي لا أصلي، و تتمثل هذه المسائل في: التكوين، كلام الله تعالى، حكمة الصانع، الإرادة، تكليف ما لا يطاق ، العقل و علاقته بأحكام التكليف، الشقاوة و السعادة، العفو عن الكافر، مسألة جواز خلود المؤمن في الجنة و خلود الكافر في النار أم لا، الاسم و المُسمّى، الذكورة و شرط النبوة، أفعال العباد. - ابن كمال باشا، المصدر السابق، ص ص 11- 20.
[4] ) المجاوي، المصدر السابق، ص ص 119-136.
[5] ) نفسه، ص ص 136-140.
[6] ) نفسه، ص ص 140-143.
[7] ) نفسه، ص 143-145.
[8] ) نفسه، ص 145.

و التجديد[1]، لكن للمجاوي عذره في ذلك  لأن رسالته موجهة أساسا لتلامذة القسم العالي لمدرسة الجزائر فكان لِزاما عليه استخدام لغة بسيطة ملائمة لروح العصر تكون بديلا عن المظان و أمهات كتب علم الكلام و التوحيد التي تبدو عصية الفهم على الطلبة المبتدئين، اعتمادا على غزارة علمه و حصافته في معالجة المسائل، مُبديا تأثره الواضح بمنهج عبد الرحمان بن خلدون في مقدمته و نزعته السلفية[2] ، فأظهر تمكُّنا و قدرة فيه، و قلّة هم من علماء جيله من خاضوا في هذا العلم نظرا لصعوبته و تشعّبه.

[1] ) العمري، الشيخ المجاوي و إسهاماته...
[2] ) طالبي، المرجع السابق، ص ص 22- 23.

# في التصوّف

عرف التصوف انتشارا واسعا في الجزائر و سائر البلاد الإسلامية خاصة في العصور المتأخرة و كانت التآليف في هذا المجال غزيرة، إلا أنه لم يكن يُلَقَّنُ في المدارس مثل سائر العلوم [1] و قد تعددت الطرق الصوفية و تشبعت فروعها و أغصانها، لكننا سنقتصر منها في إشارتنا إلى الطريقة القادرية [2] التي تعتبر من أكثر الطرق انتشارا في الجزائر، و لكون عائلة الشيخ المجاوي تنتمي إليها.

تتمتع هذه الطريقة بنظام خاص و فروعها المنتشرة في بلاد المغرب الإسلامي تنتمي إلى الزاوية الرئيسية في منزل بوزلفة [3] و تقوم بتدريس علوم القرآن و تكوين الطلبة و استقبال المريدين و الزوار[4]، و الملاحظ أن بعض المشائخ في الجزائر عكفوا على شرح منظومات في التصوف، و كان من أولئك الشيخ عبد القادر المجاوي إذ عثرنا على ما يؤكد اهتمامه بها، و لا نستبعد إطلاقا أن يكون والده الذي له ميل إلى التصوف[5] أطلق عليه هذا الاسم تَيَمُّنًا بالشيخ عبد القادر الجيلاني الصوفي المشهور، كما كان جده و أصهاره من آل البوطالب

---

[1] ) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثاني، ص111.

[2] ) تعتبر من أكثر الطرق الصوفية انتشارا في العالم الإسلامي تُنسب لمحي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلاني بن أبي صالح موسى الحسني ( 471-561 هـ/ 1079- 1166 م ) المولود بجيلان قرب بغداد، و لها فروع و أتباع و مريدين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، و لها أذكار و أدعية خاصة استمدت من مؤلفات مؤسسها أهمها الفتح الرباني، و فتوح الغيب و الغنية و الفيوضات الربانية و غيرها يُنظر:

- الحجوي، الفكر السامي...، الجزء الثاني، ص 429.

- Louis Rinn, Marabouts et Khouan, pp173- 174.

[3] ) مدينة تونسية ( ولاية نابل ) تقع على مسافة 40 كلم شمال شرق تونس العاصمة.

[4] ) Depont et Coppolani, Les Confréries Religieuse..., p305.

[5] ) الحفناوي، تعريف الخلف...، ص 449.

الحسني على صلة قوية بالقادرية [1] التي تحصي لها الكثير من الأتباع في الجزائر و في عمالة قسنطينة [2] التي كان المجاوي آنذاك مستقرا بها.

استطعنا أن نحصي ثلاث مؤلفات للشيخ في هذا المجال سنشير إليها بشيء من التفصيل في هذا الباب، أولها الشرح الذي وضعه على منظومة محمد الإمام المنزلي التونسي الموسومة بنصيحة المريدين، أما الثاني فهو شرح أيضا لقصيدة شيخ الطريقة الرحمانية بقسنطينة مصطفى بن عبد الرحمان باش تارزي بن عزوز و عنوانها مواهب الكبير المتعال[3]، أما المؤلف الثالث فهي منظومة للمجاوي في التوحيد و آداب الطريق لم نعثر لها على أثر إذ لم يبق منها إلا عنوانها و يبدو أنها فُقِدَت بالمرة، إلا أننا نتشبث بخيط الأمل الرفيع في العثور عليها بحول الله و وقوته.

**شرح منظومة سيدي محمد الإمام المنزلي في آداب المريدين:**

هو شرح لقصيدة الإمام محمد المنزلي[4] طبع بمطبعة الدولة التونسية سنة 1314هـ/1896م على الحجر بخط واضح يقع في مائة صفحة، بلغ عدد أبيات القصيدة 215 بيتا، و اعترف الشيخ المجاوي كعادته بتواضعه و قصوره و اختصاره « لِعَدم التمكن من علوم

---

[1] ) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص 485، ج8، ص 9.

[2] ) بلغ عدد زوايا القادرية في الجزائر حسب إحصاء سنة 1881م 29 زاوية و 14574 مقدما و 11842 خونيا، نصف الزوايا تركزت في عمالة قسنطينة ( 15 زاوية، 52 مقدما و 5425 خونيا ) يُنظر: Rinn, Op cit, pp 548- 549-

[3] ) هو مخطوط لا أملك منه إلا صفحتين زودتني بهما الدكتورة سمية أولمان، و لا أدري إن كان هذا كل ما تملكه من المخطوط ؟

[4] ) محمد الإمام ابن مصطفى المنزلي ( 1168-1248هـ/ 1754- 1832م ) درس بالزيتونة و برز في الشعر الديني و أغلب مؤلفاته عبارة عن مخطوطات، تقلد مشيخة القادرية في منزل بوزلفة، و تذكر المصادر أنه تولى القضاء المالكي في المدينة المذكورة، و أنه هو من أحيا الطريقة القادرية بها بعد أن كاد يعفو عنها الزمن بعد شيخه علي بن عمار الشايب (؟) عن عبد الفتاح (؟) عن غريب الله عن داوود البغدادي عن عبد القادر الجيلاني.

- Depont et Coppolani, Op cit, p 309.

تهذيب النفوس و تسوس الأفكار »[1] ، و جاءت في شكل شعر ملحون حتى يحفظها الناس و تترسخ في أذهانهم.

يبدو أن هذا التأليف جاء بطلب من أشياع الطريقة القادرية بتونس التي تحصي لها الكثير من الأتباع و لها نفوذ واسع يمتد من الزاوية الرئيسية في منزل بوزلفة و من طرابلس الغرب شرقا إلى غدامس و غات إلى عين صالح و توات و قسنطينة و حتى مدينة الجزائر غربا[2].

و لسائل أن يقول ما علاقة الشيخ المجاوي بالقادرية في تونس؟ و لماذا لم يطبع تأليفه في قسنطينة كما جرت عليه العادة ؟ في حدود اطلاعنا أن صهره أحمد بن عبد القادر بن علي بوطالب استقر مع والده فترة من الزمن في تونس و حضرا دروس بعض علماء الزيتونـــــة [3] و المعروف عندنا أيضا أنه استعان كثيرا بالمجاوي و عهد إليه بتدريس أبنائه، و من غير المُستبعد أنه هو نفسه من أوعز إليه بتأليف هذا الشرح لسعة علمه و شهرته، لكنه لم يقدمه للطبع في قسنطينة التي كان مستقرا بها آنذاك، لأن المنزليين حسب علمنا لم يكونوا على علاقة طيبة بالفرنسيين و اليهود على حد سواء حسب ما تُشير إليه إحدى التقارير العسكرية الفرنسية[4].

جاءت هذه المنظومة لتوجيه و تكوين المبتدئين و تلامذة الطريقة أو ما يطلق عليه عند أهل التصوف " المريدين " و كان شرح المجاوي بسيطا لمُقتضى الحال مستشهدا بآيات من

---

[1] ) المجاوي، شرح منظومة سيدي محمد الإمام المنزلي في آداب المريدين، مطبعة الدولة التونسية، تونس 1314هـ، ص 2.

[2] ) Depont et Coppolani , Op cit, p 305.

[3] ) الحفناوي، تعريف الخلف...، ص ص 88- 89.

[4] ) L'Expédition Militaire en Tunisie 1881- 1882, Henri Charles La Voisselle Editeur Militaire, Paris, pp177- 226.

القرآن الكريم و أحاديث نبوية شريفـــة، كما دعمها بأفكـــار و آراء جهابـذة الفكـــر الصوفـــي و المتكلميـــن في العالم الإسلامـــي فنذكر من أولئك على سبيل المثال لا الحصر محمد بن يوسف السنوسي[1]، و أحمد بن محمد الصاوي[2]، و أبو بكر الشبلي[3] و القشيري[4]، و الرضوي[5]، و الدقاق[6]، و ابن عطاء الله السكندري[7]، و غيرهم.

كان الشرح الذي وضعه الشيخ المجاوي مُستفيضا فقسمناه من وجهة نظرنا إلى ثلاثة أقسام رئيسية تمثلت في:

- شرح أبيات القصيدة مستشهدا بآيات قرآنية و أحاديث نبوية شريفة و مصادر الصوفية.
- إدراج جملة من الفوائد حول نيل درجة الصالحين و ثمرة العزلة و فوائدها و فيما ورد في الاستغفار و في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم و فوائدها، و في كيفية أخذ

---

[1] ) محمد بن يوسف السنوسي ( 832- 895هـ/1428- 1490م) من كبار علماء تلمسان في التفسير و الحديث و التوحيد، من مؤلفاته عقيدة أهـــل التوحيد ( العقيدة الصغرى ) و العقيـــدة الوسطى و شرح صغرى الصغرى و شرح صحيح البخـــاري و مختصر في علم المنطق و شرح قصيدة الحباك في الأسطرلاب و أم البراهين في العقائد.
- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و النشـــر و الترجمة، بيروت، ط2، 1980م، ص ص 180- 181.

[2] ) أحمد بن محمد الصاوي ( 1175- 1241هـ/ 1761- 1825م) المالكي الخلوتي، فقيه و متصوف مالكي، من مؤلفاته بغية السالك لأقرب المسالك و الأسرار الربانية و الفيوضات الرحمانية.
- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي كتب العربية، الجزء الأول، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت 1993م، ص 269.

[3] ) أبو بكر الشبلي ( 247- 334هـ/861- 945م) نسبة إلى شِبْلِيّة ( تركيا ) من المتصوفة عرف عنه الجذب و الشطـــــح و الغيبوبة.
- الزركلي، الأعلام...، الجزء الثاني، ص 341.

[4] ) أبو القاسم القشيري ( 376-465هـ/ 986- 1072م) عالم و فقيه متصوف من عرب خرسان و هو من الأشاعرة الشافعية له مؤلفات في التفسير و الحديث و الأدب، يُعَدُّ من أقطاب التصوف، من أشهر مؤلفاته الرسالة القشيرية.
- الحجوي، الفكر السامي...،ج4، ص 160.
- فانديك، اكتفاء القنوع ...، ص ص127-128.

[5] ) محمد صالح الرضوي (ت 1263هـ/ 1847م) أبو عبد الله الرضوي نسبا السمرقندي أصلا و مولدا، طبيب ورحالة له العديد من المؤلفات أكثرها في التصوف و علوم الأسرار و الأسناد و المسلسلات.
- الكتاني، فهرس الفهارس...، الجزء الأول، ص ص 231- 234.

[6] ) أبو علي الدقاق ( ت 406هـ/ 1015م) أبو علي الحسن بن محمد النيسابوري الشافعي المشهور بالدقاق من علماء اللغـــة و النحو و الفقه و الأصول سلك طريق التصوف. - الإسنوي عبد الرحيم بن الحسن بن علي الشافعي، طبقات الشافعية، ج1، تحقيق كمال يوسف الحوت، أبو محمد جمال الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، القاهرة 2002م، ص 203.

[7] ) ابن عطاء الله السكندري ( 658- 709هـ/ 1260- 1309م) فقيه مالكي و متصوف شاذلي الطريقة، أشعري العقيدة، من مؤلفاته الحكم العطائية في التصوف، رسالة تاج العروس الحاوية لتهذيب النفوس. - فانديك، المصدر السابق، ص 116.

العهد و المبايعة في الطريقة القادرية، و في ما يجب على المريد أن يُعامِل به إخوانه، و في الرابطة و كيفيتها و في تعريف الغَوْث و في الخُلوة و شروطها، و في بيان الخصال التي ينبغي على المُريد العمل بها[1].

- إضافة فصول و أبيات في بيان صفة الدوائر السبعة[2] و في بيان أسماء الفروع الستة و الأصول السبعة[3] مستشهدا بقصيدة الشيخ ماء العينين الشنقيطي[4]، و هي مُبَوَّبة بالشكل التالي:

مقدمة – باب الأمر و النهي– باب التوبة– باب الذكر– باب العزلة– باب صحبة المشائخ– باب الصبر– باب الشكر– باب القناعة– باب الخوف– باب الرجاء– باب الدعاء– باب التواضع– خاتمة [5].

و لم يقتصر الشيخ المجاوي على شرح المنظومة فحسب بل تجاوزه للاستشهاد بآراء تدعم الطريقة و تشد من أزر مريديها و تضفي أوصافا تحمل الكثير من المبالغة في تقديس شيخها و تعظيم أورادها و أذكارها و أدعيتها، و شيوع الكثير من المعتقدات الباطلة من نسبة الخوارق و الكرامات و الالتزامات الباطلة لمشائخ الصوفية في العصور المتأخرة، فانتشرت في مجتمعاتنا و قوّى الاستعمار من شوكتها.

---

[1] ) المجاوي، المصدر السابق، ص ص 23- 53.
[2] ) نفسه، ص ص 54- 58.
[3] ) نفسه، ص 58.
[4] ) ماء العينين الشنقيطي ( 1246- 1328هـ/ 1830- 1910م) ابن محمد فاضل القلقمي، متصوف وزاهد له تآليف غزيرة، أسس مدينة السمارة (الجمهورية العربية الصحراوية) بلغت مؤلفاته أَلْفًا من الكتب و المصنفات و المخطوطات التي أحرقها الاستعمار الفرنكو إسباني، منها دليل الرفاق إلى شمس الاتفاق، سهل المُرتَقى في الحثّ على التُّقى، نظم الحكم العطائية، هداية المبتدئين في النحو.
- السملالي، الإعلام بمن حل بمراكش و أغمات من الأعلام، الجزء7، ص ص 171- 176.
[5] ) المجاوي، المصدر السابق، ص ص 59- 64.

**مواهب الكبيـــــر المتعـــــال:**

هو شرح لقصيدة ألّفها الشيخ مصطفى بن عبد الرحمان باش تارزي[1] و طلب أحد أتباع الزاوية الرحمانية في قسنطينة من الشيخ المجاوي أن يقوم بشرحها و هو ما كان.

فأشار المجاوي إلى ذلك قائلا: «... قد أمرني شيخ أهل الوقت و الطريقة و معدن السر الى الله و الحقيقة... أن أضع شرحا مختصرا على قصيدة الشيخ الفاضل العالم و العامل سيدي مصطفى بن عبد الرحمان باش تارزي قدس الله سره، فأجبته لما طلب و إن كنت لست من أهل هذا الشأن و لا أقدر أن أشالي في هذا الميدان لقصور همتي و قلة بضاعتي و خمود قريحتي لكن لما رأيت التأليف من أعمال الخير و قد حض عليه ذوو الصلاح بادرت إليه ليحصل لنا ببركاتهم النجاح، و سميته مواهب الكبير المتعال جعله الله خالصا لوجهه الكريم و سببا لحصول النعيم المقيم...» [2].

استهل المجاوي شرحه بخطبة مسجوعة في شكل مقدمة مما جاء فيها « الحمد لله الذي رفع حجاب الجهل عن ذوي النهى حتى بدت لهم شموس المعارف فعاينوها و أمدهم من نوره الأقدس فانفتحت بصايرهم فعرفوا قدره ... يوتي الحكمة من يشاء من عباده لا بشرط معلوم

---

[1] ) مصطفى باش تارزي ( ت1252هـ/ 1836م) بن عبد الرحمان بن أحمد بن حمودة بن مامش باش تارزي الجزائري منشأ القسنطيني دارا، تولى القضاء و التدريس بمدينة قسنطينة و تولّى مشيخة الطريقة الرحمانية بعد وفاة والده سنة1221هـ/1806م، له عدة رسائل في مسائل شرعية، و شرح على منظومة والده " المنظومة الرحمانية " و منظومة شرحها الشيخ المجاوي مطلعها: صَلِّ يا ذا الجلال و سلّم على المصطفى و الآل و كلّ مـــن تَـــــلاه

- الحفناوي، تعريف الخلف...، ص ص 197- 198.

[2] ) مواهب الكبير المتعال ( مخطوط )، الصفحة الأولى.

و لا بحد مرسوم بل رزق مقسوم و خاصية يوتيها من يشـــــاء من عباده و هو العليـــــم الحكيم...» [1].

من الملاحظ أن هذا الشرح لا يزال مخطوطا و لم يطبع في حدود علمنا و نستغرب أمر عدم طبعه من طرف أتباع زاوية قسنطينة و تركه نَهْبًا للتلف و الضياع، كما نلاحظ أن هذا الشرح كتبه المجاوي بخط يده عدا السطر الأول و الثاني بعد البسملة و الحَمْدَلَة الذي من دون شك لَيسَا بخطه المغربي المقروء بشكل واضح.

و جاء في شرحه للبيت الأول من المنظومة بتعريف الصلاة في شقيها اللغوي و الاصطلاحي و مما ذكره «... الصلاة قِيلَ أصلها في اللغة الدعاء...و قِيلَ الصلاة في اللغة مُشترَكة بين الدعاء و التعظيم و الرحمة و البركة...» [2] مستشهدا بآيات من القرآن الكريم.

كنا نرجو الاطلاع على المخطوط كاملا غير منقوص، لكن مع الأسف لم يُقَدَّر لنا ذلك و نأمل أن يحالفنا التوفيق في العثور عليه لإتمام ما بدأناه من عمل.

**منظومـــــة فـــي التوحيـــد و آداب الطريق:**

يبدو أن الشيخ المجاوي نظمها أيام إقامته في قسنطينة و هي مخطوطة لم تطبع، نسجها على منوال الشرحين السابقين و وضع عليها تلميذه و صديقه الحميم الأستاذ محمد المولود بن الموهوب شرحا، فضاعت المنظومة و غار شرحها، و قد ذُكرت عرضا من جانب بعض

[1] ) المجاوي، المصدر السابق، الصفحة الأولى.
[2] ) نفسه، ص 2.

المهتمين[1]، مما يدل على عدم اطلاعهم عليها، و تساءل أحدهم[2] إن كان هذا التأليف أساسا لكتابه القواعد الكلامية [3] ؟ فنقول أن الكتاب المذكور كان في علم الكلام بينما هذا التأليف الذي نحن بصدد الإشارة إليه هو في التصوف، و شتّان بينهما.

كانت مؤلفات الشيخ قليلة في التصوف لكنها و على قلتها قد عبرت عن اهتمام منه بهذا العلم، إذ لم تكن شروحه على مؤلفات الصوفية عادية ففيها ما يدل على معرفة و اطلاع منه بالطريقة القادرية و فروعها، و لا ريب أنه من أتباعها و أشياعها على خطى والده و أصهاره مُبديا تأثره بمشائخ الطريقة و سدنتها في المشرق و المغرب اطلاعا و استشهادا، و لم يقتصر الأمر على المجاوي فحسب، فالفكر الصوفي وجد اهتماما بالغا و انتشارا واسعا في بلاد المغرب الإسلامي، و لا يزال محتفظا بسمعة كبيرة حتى اليوم.

[1] ) حشلاف، سلسلة الأصول...، ص61، أيضا: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء7، ص 154.
[2] ) نفسه.
[3] ) أشرنا إليه في باب علم الكلام و المنطق، ص 163.

# في الاقتصاد

لم يظهر الاقتصاد كعلم مستقل إلا حديثا نتيجة تطور الجهد البشري و اختراع الآلــة و تشعّب المعاملات التجارية منذ النصف الثاني من القرن 18م، فبدأت الدراسات الاقتصادية بالظهور على أيدي مُنَظِّري أوربا، و نظّمت القوانين الاقتصادية الوضعية المعاملات حسب ما تقتضيه المصالح و الحاجات.

أما في البلاد الإسلامية مشرقا و مغربا فالمعاملات التجارية كالبيوع و الشراء و الأسواق و الأسعار و الحرف و الصنائع كانت جزءا من الدين، لأن الإسلام حث على السّعي و الكدّ من أجل العيش، و العمل مقدس أمرنا به الشارع و حثت عليه السنة النبوية الشريفة، لكنه كان متفرقا في المظان و يحتاج إلى جهود كي يصبح علما مستقلا بذاته مدروسًا من وجهة نظر إسلامية، فالتآليف في هذا المجال لا تكاد تُذكر حتى في العصور المتأخرة.

و يعتبر الشيخ المجاوي من العلماء الذين خاضوا في هذا العلم بشكله الحالي، فعلى غير العادة ألّف رسالة بمجهود مشترك مع زميله في المدرسة الثعالبية الأستاذ عمر بريهمات[1] سنة 1322هـ/1904م عنوانها " المرصاد في مسائل الاقتصاد "، لكن دون تعمّق كَونُها مُوجهة بالأساس إلى فئة الطلبة، و هو ما جعل أفكارها مجرد مفاهيم عامة، و شروح وجيزة تُعينُهم

[1] ) عمر بن حسن بن إبراهيم بريهمات ( 1275-1322هـ/1859-1909) ينتمي إلى عائلة عريقة استقرت في العاصمة، فوالده حسن بريهمات من كبار العلماء و الموظفين في الإدارة الفرنسية، تولى القضاء ثم عين مديرا لمدرسة الآداب، أما شقيقه أحمد فهو مترجم عسكري، عرفت العائلة بثقافتها المزدوجة، و تعتبرهم الأوساط الرسمية الفرنسية بأنهم من أصدقاء فرنسا المخلصين العاملين، من آثاره: " المرصاد في مسائل الاقتصاد " و هو تأليف مشترك مع الشيخ المجاوي، و كتاب " النهج السوي في الفقه الفرنسي " و حصل بموجبه على وسام الافتخار، و هو من أرفع الأوسمة التي تمنحها الإدارة الفرنسية لموظفيها، توفي في العاصمة إثر مرض عضال و دفن بمقبرة سيدي عبد الرحمان في جنازة مشهودة حضرتها حشود من القضاة و المفاتي و المستوطنين.

- Revue du Monde Musulman, Volumes XII et XIII, Tome 7éme, Erneste Leroux, Paris 1909, pp 443- 444.

- الحفناوي، تعريف الخلف...، ص ص 112-113.

على فهم جانب منه على الأقل، و لنا أن نتساءل إن كان هذا التأليف جاء بطلب من إدارة المدرسة؟ أم أن الأمر لا يعدو كونه مجرّد تعاون فكري مثمر بين المؤلفين ؟ و نحن لا نشك إطلاقا في قدرة كل منهما على التأليف منفردا، إذ لهما من الباع ما يؤهلهما لذلك، ومهما يكن من أمر ففي هذا الباب بعض التفصيل لأهم ما ورد في هذه الرسالة، التي تحتاج إلى أهل الاختصاص للاهتمام بها بإعادة طبعها، و شرح محتواها من وجهة النظر الاقتصادية.

**المرصـــــاد في مسائـــــل الاقتصـــــاد:**

هي رسالة صغيرة الحجم تتضمن ثمانين صفحة فيها شرح لبعض المسائل الاقتصادية من وجهة نظر إسلامية، لكن مُؤَلِّفَيها لم يخرُجا من الدائرة الفرنسية التي شجعتهما على تأليفها و طبعها على نفقتها بتوجيه من الولاية العامة[1]، ففي هذه الخطوة احتكار فكري لإنتاج العلماء الجزائريين و تكييفه مع ما تقتضيه المصالح الفرنسية.

استهل المؤلفان الرسالة بخطبة تقليدية مما جاء فيها« فإنه لمّا دلّت الآيات القرآنية و الأحاديث الشريفة النبوية على أن الله خلق هذا العالم للعمارة، و هي تتوقف على تنظيمات اقتصادية وافرة، و قوانين يُصَار إليها في المعيشة الدنيوية، و كان هذا العلم مُفَرَّقٌ في بطون الكتب و الدواوين السامية، فصعب لذلك الاطلاع على قواعده و اقتطاف أزهاره و فرائده، ظهر لنا أن نجمع تلك القواعد لتكون على خير فوائد...»[2].

قسّم المؤلفان بحثهما إلى مقدمة و أربعة أبواب و خاتمة، ففي المقدمة ذكرا دعوة الإسلام إلى العمل و السعي لكسب الرزق و تحريم إلحاق الضرر بالنفس و الغير حفظا للحقوق

[1] ) Exposé de La Situation de l'Algérie, p 132.

[2] ) عبد القادر المجاوي و عمر بريهمات، المرصاد في مسائل الاقتصاد، المطبعة الشرقية لبير فونتانة، الجزائر، 1904م، الصفحة الأولى.

و المصالح مستشهدين بآيات قرآنية و أحاديث نبوية و بعض ما جاء في الأثر، و فيها أيضا تعريف للاقتصاد بنوعيه السياسي و الشخصي، و عن ظهور بعض الاختراعات التي يسّرت العمل و كانت بديلا عن الدواب، لكنها أيضا عطلت أسباب رزق بعض الناس، فوجب إيجاد حلول لذلك[1].

أما الباب الأول ففي الغنيمة التي « هي كل شيء حسّي مُنتَفع به بشرط أن يكون المُهَيأ له هو الإنسان نفسه بإلهام منه تعالى ...»[2]، و هو مقسّم إلى فصول، فصل في تهيئة الغنيمة و الحصول عليها و إيجادها[3]، كاتخاذ الشبكة من طرف الإنسان للصيد أو تصفية الحديد لعمل مطرقة، و فصل في أسباب إيجاد الغنيمة[4] كالاستعانة بأدوات مثل المطرقة لتليين الحديد و المنشار لتقطيع الخشب، و تَقلُّب الإنسان بين الحرف كتربية الحيوانات و خدمة الأرض و زرع الثمار و بيع المنتوج لشراء ما يحتاج، و فصل في الخدمة و الحرفة[5]، و هي تحتاج إلى جهد من الإنسان و لها شرطان بذل الجهد لشيء معين و بذل الجهد لغير فُرجة و نزهة، و فصل في تقسيم ما على بسيط هذا العالم المشارك[6]، و آخر في تقسيم الخدمة و ارتباط منافعها[7]، و في تقسيم الحرف و هي خمسة أقسام، استخراج ما في الأرض أو البحر من غير تغيير ما أُخرج، و الفلاحة باستغلال ما نشأ من الأرض من الحبوب و الفواكه

[1] ) المجاوي وبريهمات، المصدر السابق، ص ص 6-7.
[2] ) نفسه، ص 11.
[3] ) نفسه، ص 12.
[4] ) نفسه، ص 13.
[5] ) نفسه، ص ص 14-15.
[6] ) نفسه، ص 16.
[7] ) نفسه، ص 21.

و الخضر، و تهيئة ما تقدم، و التجارة بانتقال الأشياء من المخلص إلى المستعمل و صنعة نقل تلك المنافع من مكان إلى آخر ( النقل و المواصلات )[1].

و فصل في تأثير الاكتشافات الوقتية على ترتيب الخدمة[2] لتوفير الجهد، و في ذلك إشارة من المؤلفين لآثار التطور الصناعي الذي عرفته أوربا الغربية في النصف الثاني من القرن 18م و بلغ ذروته في القرن 19م و فصل آخر في تهيئة المنفعة و تحصيلها[3] بتوفير الذخيرة ( الادخار ) لتجديد المنفعة.

أما الباب الثاني ففي توزيع الغنائم [4] و فيه فصل في الإجارات و المعاملات فكل فرد يحتاج إلى آخر، فأرباب الملك حقهم في التوزيع و الأجرة، و مساقات و مزارعة و المقارضون و حظهم في ثمن القراض، و أرباب النظر و البصر و حظهم مُرابَحة، أما الأجراء فحظهم أجرة عملهم[5].

و الباب الثالث في انتقال الغنائم[6] و يقع على ثلاثة أوجه الأول الإرث و هو انتقال حقوق حقوق جيل إلى جيل بعده و الثاني الهبة و الوصية و الثالث المناقلة.

و في هذا الباب أربعة فصول الأول في معرفة المناقلة [7] التي هي إعطاء عرض في عرض آخر، و فصل في النقود و اعتبرها المؤلِّفان « غنائم يتواصل بها إلى تعيين القيمة للشيء المرغوب فيه و شرطها أن تكون مقبولة عند سائر الأمم لأجل اتصال المعاملات بين

---

[1] ) المجاوي وبريهمات، المصدر السابق، ص 22.
[2] ) نفسه.
[3] ) نفسه، ص ص 24-25.
[4] ) نفسه، ص 33.
[5] ) نفسه، ص ص 37-38.
[6] ) نفسه، ص 45.
[7] ) نفسه، ص 47.

أصناف البشر، لأنها لو لم تكن كذلك بأن كانت مقبولة عند أمة دون أخرى تتقطع الوسائل و الأسباب، و المقصود اتصالها، و من شرطها نَفَاسَةُ قيمتها مع صغر جِرْمِهَا ليسهل حملها و يتيسَّر نقلها لسائر البلدان و الأقطار »[1].

و فصل في الأجل « الذي يكون أحيانا بديلا للنقود الحاضرة باتفاق بين البائع و المشتري»[2] ، أما الفصل الرابع ففي التجارة و اعتبروها المؤلفان « أفضل طرق التثمير و لا يحسن التثمير إلا بالتجارة »[3] مشترطين أن يكون البائع مستقيما ذو ثقة، فالثقة هي رأس رأس المال مع مراعاة النظافة و تنضيد السلعة لاستمالة الشاري[4].

و الباب الرابع في استعمال الغنائم لجلب المنافع الأخرى، ثم ذكرا فصلا – لم يضعا له عنوانا– في مآل الهيئة الاجتماعية من خراب و اضمحلال إذا كثر عددها مع الفقر و الجهل و قلة التدبير، و فيما يجب عند استعمال الغنائم بتطبيق العدل و الإنصاف لدرء الشّغب و الفوضى و حصول الأمان و العافية[5]، ثم أشارا في فصل إلى مُستَحسَنات استعمال الغنائم باستثمارها و المساهمة في إنمائها لما فيه مصلحة الفرد و الجماعة[6]، و فصل آخر في عدلية عدلية المَجَابي، و نعتقد أنه من أفكار بريهمات لأنّ ذلك من صميم اختصاصه، إذ أشار فيه إلى الأمة و الدولة و السلطات و الإدارات و الأحكام و القوانين و القمارق (الجمارك ) و غيرها[7].

---

[1] ) المجاوي وبريهمات، المصدر السابق، ص 48.
[2] ) نفسه، ص 52.
[3] ) نفسه، ص 56.
[4] ) نفسه، ص 60.
[5] ) نفسه، ص 66.
[6] ) نفسه، ص ص 67-68.
[7] ) نفسه، ص ص 72-76.

و في خاتمة الرسالة تحذير من الجَهالة و البطالة فهما يُعيقان التقدم « ... أَهْلُهُما كَلٌّ على كاهل النوع الإنساني لا يُرجى منهم فلاح و لا يُأمل منهم نجاح محجوبون بجهالتهم عن المعارف لا تثقف أذهانهم المواعظ و لا تنور أفهامهم النصائح...بل كان أولى لهم أن يسلكوا سبيل الرشاد و يشتغل منهم بعمل يليق به، حتى يكون لهم حسن الذكر في الهيئة الاجتماعية ...»[1].

اعتبر البعض[2] هذا التأليف خطوة غير مسبوقة في مجال الاقتصاد السياسي من منظور إسلامي، لكن من دون تحليل مستفيض، إذ لا يعدو أن يكون ما في المتن مجرد مبادئ في الاقتصاد موجهة للطلبة، حاول فيها المؤلفان كل حسب اختصاصه « التفاعل مع الدراسات الحديثة »[3].

و في رأينا أن الأفكار التي تضمنتها هذه الرسالة فيها تنظير للفكر الاقتصادي الفرنسي و إقرارٌ بنجاعته بترجيح كفّة المنظرين الفرنسيين[4] على حساب الإنجليز الذين كانوا سباقين في هذا المجال، و لهم من الباع ما يُضاهي جهود الفرنسيين فكرا و عملا.

رأينا المؤلِّفَين أيضا يُشيدان بفرنسا في موضعين من هذه الرسالة و الأمر مقصود له، فهي حَسْبَهُمَا « قُدوة في المدنية و العدل » [5]، لكنهما لم يذكرا ما حاق بالجزائريين من عُسر الحال كمصادرة أراضيهم و إرهاق كواهلهم بالضرائب و المُكوس، و استغلالهم في أعمال

---

[1] ) المجاوي وبريهمات، المصدر السابق، ص 79.
[2] ) عبد الرزاق بلعباس، البعد الاقتصادي عند الشيخ المجاوي من خلال كتاب المرصاد في مسائل الاقتصاد، أعمال ملتقى وطني بتلمسان 2- 3 محرم 1433هـ/ 27-28 نوفمبر 2011م، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، دار الجائزة، الجزائر 2011م، ص ص 93-95.
[3] ) ابن قينة، عبد القادر المجاوي حياته و آثاره ...، الثقافة، عدد48، ديسمبر 1978م، ص 118.
[4] ) المجاوي و بريهمات، المصدر السابق، ص 19.
[5] ) نفسه، ص 20.

السَّخَرَة استغلالا أنزلهم في أعين الفرنسيين إلى مادون مرتبة الأنعام، و مع ذلك يعتبرونها « جادة في نفع العباد و تعليمهم، و فتحت أبوابه لكل من يرومه »![1].

تُضَافُ هذه الرسالة إلى جهود الشيخ كأستاذ سعى إلى تبسيط بعض المفاهيم و النظريات الاقتصادية لطلبته، و الاستشهاد بأمثلة هي جزء يسير من واقع الجزائريين، لكنها تبدو من وجهة نظرنا خالية تماما من طابع الانتقاد، و تُصَوِّرُ الواقع بشكل يوحي أنّ الجزائر ليست مستعمرة بل هي جزء لا يتجزأ من الدولة الفرنسية.

[1] ) المجاوي و بريهمات، المصدر السابق، ص 80.

# مقالات صحفية

إن علاقة الجزائريين بالصحافة زمن الاستعمار لم تظهر إلا مع مطلع القرن 14هـ/20م لأنها كانت مُحتكَرة من طرف الإدارة الاستعمارية و المستوطنين[1]، فلم تكن تسمح لهم بإنشائها لكن في هذه المرحلة لاحت بارقة أمل لتأسيس صحافة تُعَبِّر عن آراء الجزائريين بشيء من التحفظ لِئَلَّا يثيروا غضب الفرنسيين، و لسنا هنا نكتب لتحليل واقع الصحافة الجزائرية زمن الاستعمار بل لإبراز علاقة الشيخ المجاوي بها.

لم يكن الشيخ صحفيا بالمعنى الدقيق، بل مشاركا بمقالات في صحيفتين[2] صادرتان باللغة العربية الأولى هي صحيفة المغرب[3]، التي كانت تنشر مقالات في مختلف شؤون المجتمع و للقائمين عليها علاقات مع موظفين الإدارة الفرنسية من مدرِّسين و مترجمين و قضاة و بلغ صداها أهل المشرق الذين أثنوا عليها و اعتبروها نافعة للجزائريين المحرومين من الصحف العربية للاطلاع على ما يمور من أحداث رغم « قُبْحِ ورقها و سوء طبعها »[4].

و يشير أحدهم[5] إلى مدى تأثير هذه الصحيفة الإصلاحية على الرأي العام رغم قصر باعها، كونها عالجت شؤون المجتمع و السياسة و الاقتصاد و العلوم و الأدب بأقلام مقتدرة ذات تكوين و اطلاع واسع، و اعتبرت عملا مَرْجُوًّا و مُفيدًا.

---

[1] ) سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني، ص ص 133.

[2] ) ذهب البعض إلى أن الشيخ المجاوي، كتب في صحيفتي المبشر و المنتخب ، دون أن يقدّما دليلا على ذلك.

- سعد الله، المرجع السابق، ص ص 134- 135..

- Zahir Ihaddaden, Histoire de La Presse Indigène en Algérie, des Origines Jusqu'en 1930, Enterprise National du Livre, Algérie 1983, p140 - 141.

[3] ) تأسست سنة 1903/1320م و هي صحيفة سياسية، اقتصادية و علمية و أدبية تصدر مرتين في الاسبوع صاحب امتيازها ببير فونتانة، ثمنها عشـــر فرنكات في الجزائر و 15 فرنكا في غيرهـــا، من أبرز أقلامـــها محمد المولـــــود بن الموهوب و علي بوضربة و محمد بن مصطفى بن الخوجة (الكمال)، و عبد القادر المجاوي و مصطفى شرشالي و ابن بريهمات.

- Ihaddaden, op cit, p140.

[4] ) المنار، الجزء الرابع، المجلد السادس، (16 صفر 1321هـ/ 14 مايو 1903م)، ص 146.

[5] ) سعد الله، المرجع السابق، ص 134- 135.

نشر المجاوي مقالات في هذه الصحيفة تناولت مواضيع مختلفة و اعتبرت من فرائد ما كتب، لكن ما يثير الانتباه أنها نُشرت في الفترة ما بين 12 محرم 1321هـ/ 10 أفريل 1903م إلى 28 ربيع الثاني 1321هـ/ 24 جويلية1903 م، و نعلم آنذاك أن المجاوي كان مدرسا و مؤلفا نشيطا ولا ندري سببا لإحجامه على مواصلة نشر مقالاته؟ خاصة إذا علمنا أن الصحيفة استمرت في الصدور حتى سنة 1331هـ/1913م، و يقودنا هذا الأمر إلى ترجيح أن مقالاته لم تكن سوى تشجيعا ظرفيا منه لهذه الصحيفة لضمان رواجها، إذا كانت لا تزال في بداياتها.

أما الصحيفة الثانية فهي كوكب إفريقيا[1]، المقربة من الإدارة الاستعمارية التي عينت الشيخ المجاوي في الفترة ذاتها إماما في مسجد سيدي رمضان بالعاصمة، و كان من أقلامها موظفون رسميون من قضاة و مدرسين و مترجمين و مفاتي و من بينهم المجاوي، إذ ربطته علاقات وطيدة مع صاحب امتيازها محمود كحول ( بن دالي ) تعدّت حدود المهنة إذ كان من خاصّته.

عكف الشيخ على كتابة عمود بها في حدود اختصاصه مُرَكِّزًا على الجانب الاجتماعي حاثًّا على التّحلي بمكارم الأخلاق و نبذ المنكر من الفعل و القول، و نراه في كتاباته معلما و مربِّيا بصفته أستاذا و مُوجِّها ناصحا بالحكمة و الموعظة الحسنة بصفته إماما خطيبا، دون أن يُغَيِّر من أسلوبه المُعتاد في التدريس و الخطابة و تقديس العلم، و لو جُمعت كتاباته الصحفية في سِفْرٍ مستقل لكان خيرا و أعظم فائدة.

---

[1] ) ظهرت في ربيع الأول 1325هـ/1907م و هي أسبوعية سياسية و اقتصادية و أدبية و اجتماعية صدرت في مدينة الجزائر، أسسها محمود كحول (ابن دالي) المدرس و المحرر الصحفي المقرب من الإدارة الاستعمارية، توقفت عن الصدور سنة 1332هـ/ 1914م بإيعاز من الإدارة الفرنسية.

- Ihaddaden, Op cit, p 203.

**فـــي صحيفـــــة المغـــــرب:**

اهتم الشيخ المجاوي بنشر مقالات هي في الأصل دروسا كان يقدمها لتلامذته في مدرسة الجزائر الشرعية منذ سنة 1320هـ/1903م، و كانت أولى كتاباته المنشورة في هذه الصحيفة " مشاهير العرب الذين تُرْسَلُ بهم الأمثال "[1] ، فذكر طائفة من فرسان و فصحاء شبه الجزيرة العربية زمن الجاهلية، و ما كانت عليه أخلاقهم و عاداتهم و ما جرى في أيامهم الخوالي لخّصها مستشهدا بأبيات من الشعر، ثم طفق يروي من أخبارهم مما ينمّ عن اطلاع و ثقافة واسعة منه.

و نراه يطيل النزهة في دوحة الأدب و في ما كان عليه الماضون من الافتخار بأنسابهم فتسابقوا في قرض الشعر، مُبَيِّنًا موقف الإسلام منها، كأنواع الفخر بالنفس أو الآباء أو القبيلة التي ينتمي إليها المفتخر، و اعتبر أن النَّسَب « زيادة فضيلة، فإلقاء النّسب رأسا جُورٌ و الاقتصار عليه عَجْزٌ...»[2]، لأن الحَسَبَ- حسب المجاوي- وحده لا يكفي ما لم يقترن بصالح الأعمال، و ضرب مثلا بالإسلام الذي أفرد الحديث لهذا الجانب، و المواقف حوله مبسوطة في الكتاب و السُّنة.

و ذكر بعض عادات العرب كاستخدام الطِّيب الذي اعتبره « من أعظم أسباب حفظ الصحة »[3] ، كما أشار إلى أصله من أنه يُستَخرج من دواب كالغزلان و كائنات بحرية و عن أنواعه كالعنبر و المِسْك و ألوانه، و عن فوائده فهو مُجْدٍ حسبه للدماغ و القلب و سائر

[1] ) نُشِرَ هذا المقال متسلسلا ابتداءً من العدد الأول (12 محرم 1321هـ/10 أفريل 1903م) إلى العدد الخامس (26 محرم1321هـ/24 أفريل 1903م) و من المواضيع التي تضمنتها المقالات ذِكْرُ بعض الشخصيات العربية التي اشتهرت بالدّهاء و الوفاء و الخطابة و الحكمة و الجُود و الشجاعة و الحِلْم و العَدُو و الفِراسة.

[2] ) المجاوي، الافتخار بالنسب و النفس، المغرب، السنة الأولى، عدد9 ( 10 صفر 1321هـ/8 ماي 1903م )

[3] ) المجاوي، طِيب العرب قبل الإسلام و بعده، المغرب، السنة الأولى،عدد17 ( 9 ربيع الأول 1321هـ/5 جوان 1903م).

الأعضاء الباطنية، و له فاعلية في معالجة السموم، لذلك فالإسلام قد دعا إلى استعماله لما فيه من منافع مختلفة.

و يشيد بفضل العرب الأولين بقوله «... و لله درّ العرب فإنك لا تجد خصلة من خصال الخير إلا و تسابقوا إليها و واظبوا دون غيرهم عليها، و لا سيما الخصال التي يترتب عليها المصالح و المنافع التي جُبِلَت فِطرَتُهم عليها..»[1].

إنّ ما جمعه الشيخ المجاوي لتلامذته من عادات العرب و أمثالهم و أخبارهم إنما الغاية منه هو تعريفهم بمكارم الأخلاق التي كانوا عليها في الجاهلية و في صدر الإسلام، حتى يتأسى بهم تلامذته و يأخذوا بأحسنها، و هي مناسبة لهم لربط ماضيهم بحاضرهم، و يقوّي صلتهم بلغتهم و حضارتهم و يذكرهم بأصولهم في تلك المرحلة الحالكة من تاريخنا الوطني.

و أشار إلى شرف الصنائع و الحِرَف و فائدتها، و ما كان عليه الناس منذ أقدم العصور، فضرب مثلا بالأنبياء و المرسلين الذين تشرّفوا بإتقانها و تطورت بمرور الزمان «.. فسهلت الأسفار في البراري و البحار بواسطة الاتساع في علم جرّ الأثقال على حسب فروعه و اتسعت دائرة المعارف بواسطة الاتساع في علم النقاشة الذي من فروعه فن الطباعة... و على هذا فإن الصنائع من أَكَدِّ مُوجِبات العيش و مصادر الرزق...»[2] و صنّف الصنائع و الحرف إلى ثلاثة زراعة و صناعة و تجارة، و يبدو أن الشيخ ملمٌّ بدقائق أمورها مطلع على المؤلفات التي تهتم بهذه الدراسات و تُحلّلها من المنظور الإسلامي، إذ استشهد كثيرا بالقرآن و السنة و يأسف لحال الفرد المسلم بقوله: « ...و إنّا نرى الآن أنّ

[1] ) المجاوي، طِيب العرب قبل الإسلام و بعده، المغرب ( 9 ربيع الأول 1321هـ/5 جوان 1903م).
[2] ) المجاوي، المعاش، المغرب، السنة الأولى، عدد 6 ( 30 محرم 1321هـ/ 28 أفريل 1903 م ).

الحرف المهمة و أرباح التجارة و محصولات الزراعة استبد بها أهل الجد و بقي المسلم يستر عجزه و كسله بالقضاء و القدر...»[1].

و ينصح له بقوله: «... فينبغي للإنسان أن لا يترك الاكتساب على كل حال و لا يهاب الغربة في طلب المعيشة...»[2].

و لا نراه يغفل عن العلم الذي به يستقيم عمل الإنسان، فيذكر لنا درجاته، و يرى أن أفضلها هو العلم اليقيني الذي اعتبره فضيلة يجب أن تتوفر في العالم فإذا غاب «... عاش عمرا طويلا و لم يترك في هذا الوجود أثرا من آثار العمل النافع، لأنه إنّما عَلِمَ لكن و لم يعمل عن يقين بما عَلِمَ و هذه آفة من آفات الفساد في أساس التربية و التعليم...و هيهات هيهات أن يستقيم حال المسلمين إلا بالرجوع إلى التربية و تعلّم العلم اليقيني...»[3].

رأينا في هذا المقال انتقادا ضمنيا لواقع المسلمين ( الجزائريين ) الذين يعانون الجهل و يلقي الشيخ باللّائمة على الأولياء و الطلبة المقصِّرين، و يُشيد بالفرنسيين الذين أطلق عليهم " أولياء الأمر " فهم حسبه شيّدوا المدارس في مختلف العلوم و لم يتركوا عذرا لأحد، بل إنهم أعطوا الحرية التامة لتعليم الجزائريين (!) [4].

و أشار الشيخ إلى بعض العادات التي استحكمت و طبعت شخصية الإنسان المحمودة منها و المذمومة التي اكتسبها منذ صغره «... فإن أول ما يُبادِر إليه الطفل عند خروجه إلى ساحة الدنيا هو الرغبة في أن يرى كل شيء، و يتّبع الذين يراهم في كل أمر فيشبّ على ما

---

[1] ) المجاوي، المصدر السابق.

[2] ) نفسه.

[3] ) المجاوي، العلم، المغرب، السنة الأولى، عدد12 (21 صفر 1321هـ/19 ماي 1903م).

[4] ) من الغريب أن يصدر هذا الكلام عن الشيخ المجاوي، فلا يمكن بأي حال إلقاء اللوم على الجزائريين المُقَيَّدين بأصفاد قانون الأهالي، و الإشادة بالفرنسيين الذين هم سبب ما حاق بالجزائريين من ضيق الحال و سوء المُنْقَلَب، و قد كان بإمكانه أن يتحاشى هذا التعبير لولا أن الوظيف قيّده، و قاده في هذا الاتجاه الذي حسّن صورة الفرنسيين في نظر الآخرين.

يناله من التربية و العوائد التي يألفها في حداثة سنّه، فمن أهم واجبات الآباء الالتفات إلى تربية أولادهم على وجه الصلاح و السداد و تدريبهم على استعمال الخصال المُسْتَحْسَنَة و وقايتهم من المزايا الرديئة و الاتصاف بالأوصاف السيّئة، لِئَلَّا تتمكن منهم فَيَعْسُرَ زوالها...»[1].

فمن العوائد الضارة التي ذكرها المجاوي القراءة في الليل على ضوء ضعيف وقراءة الخط الرفيع و إطلاق الأمعاء و لعب الضامة ( الدامة ) و تعاطي الحشيشة و وضع العدسات اللاصقة التي أطلق عليها " العُيَيْنَات "، و نصح القائمين على تربية الناشئة مراقبتهم على الدوام لدرء المضار و اكتساب الفوائد.

من المؤكد أن ما نقلته لنا هذه الصحيفة ما هو إلا نزر يسير من الدروس التي كان المجاوي يقدمها للخاصة و العامة في مجالسه، و لَكَمْ تمنينا لو نشرت مزيدا من دروسه التي ضاع منها ما نجهل عدّه و نُحصي عدده.

**في صحيفة كوكب إفريقيا:**

ظهرت كتابات الشيخ في هذه الصحيفة منذ سنة 1326هـ/1909م، و يبدو أن تلميذه و صديقه محمود كحول ( بن دالي ) هو من أقنع المجاوي بالمشاركة فيها، فعكف على تحرير مقالات لم تخرج في موضوعها عن النصح و الإرشاد و التربية و الدعوة إلى مكارم الأخلاق و تعظيم المناسبات الدينية و هي عبارة عن دروس و خُطَب قدّمها في المسجد فَبِحكم وظيفته رأيناه يكتب في التربية و يحثُّ على العناية و الاهتمام بالأبناء منذ الولادة، و يركز على الجانب النفسي في تربيتهم بإعطائهم « فرصة ليرتقوا ففي ذلك مُتَنَفَّسًا لهم و فائدة »[2]

[1] ) المجاوي، العادة، المغرب، السنة الأولى، عدد 19 ( 16 ربيع الأول 1421هـ/ 12 جوان 1903م).
[2] ) المجاوي، ملاك الشيمة الأدب، كوكب إفريقيا، السنة الثانية، عدد97 ( 8 صفر 1326هـ/ 12 مارس 1908م ).

و يجعل المرأة المتعلمة على وجه الخصوص الأساس في العمل التربوي، و دورها حسب الشيخ أعظم من دور الأب لأن الطفل يقضي سواد وقته معها فتعتني به في الظاهر و الباطن و تتعهده بالرفق و اللين.

و على الولي – حسبه – أن يخصّص لهذه النشأة «...جانبا من الوقت يلاعبهم فيه بمختلف الألعاب و يُسَلّيهم تسلية تكون مشتملة على قصص مُفِيدة لا الخرافات التي تقتل النفوس و تُورِثُها الفزع حتى من التماثيل الخيالية و الصور الهوائية...»[1].

و بيّن المجاوي ما يجب أن تكون عليه أخلاق المربي «... وجب أن تكون... كاملة عاقلة محافظة على الآداب موصوفة بالاعتدال في جميع الأحوال ليمكن هذا الولد أن يقلدها على أفعالها الجميلة و أحوالها الحسنة و من المعلوم أن ما اقتبسه الولد من الأخلاق في حال صغره انتقش بحافظته و يصعب انفكاكه عنها في حال كبره..»[2].

و يبدو الشيخ مُطَّلِعًا على ما يُسمّى في زماننا الحاضر بعلم النفس التربوي، فيسوق لنا ما أوجَبَه علماء التربية في مجال تعويد الأولاد على النطق السليم و المرافقة و الليونة و تعويد الطفل على استخدام الحواس الخمس بالطرق الصحيحة، و قواعد الصحة بالمحافظة على النظافة و الأكل و اللباس و الملائم، و هكذا يشبّ الفتى مُتَخَلِّقًا عارفا بحقوقه و واجباته تجاه مجتمعه، فتقرّ به الأعين، و يغدو صالحا في مجتمعه[3].

---

[1] ) المجاوي، ملاك الشيمة الأدب، كوكب إفريقيا، ( 8 صفر 1326هـ/ 12 مارس 1909م ).
[2] ) نفسه.
[3] ) نفسه.

و ذكر بعض الأخلاق السيئة التي انتشرت في المجتمع كالحسد و تَمَنِّي زوال النِّعم و اعتبره من الكبائر « ... التي تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، فهي تجلب للحاسد الهم و الغم و المصائب و سخط الرب ...»[1].

و نهى عن الهمز و اللمز الذي هو من الأمراض النفسية التي استولت على الإنسان و حثّ على السعي إلى « الكسب الحلال و تجنّب المحرمات التي تؤدي إلى معصية الخالق عز وجل كالربا و القمار و الميسر و هي من الكبائر التي تجرّ إلى الخطيئة...»[2].

و دعا إلى مكارم الأخلاق و الآداب التي على المرء التحلي بها كالحلم و التسامح و التواضع فهي في رأيه من فضائل الأعمال و شيم الكرام، و بإمكان الإنسان – حسبه– أن يغيّر طباعه السيئة و إصلاح ما بالنفس من خَلَلٍ إن هو أراد ذلك و انعقدت لديه النيّة.

و بحكم منصبه كإمام رأيناه واعظا يبذل النصح للخاصة و العامة، فوقف عند المناسبات و المواسم و الأعياد الدينية عند المسلمين، فأشار إلى فضل شهر محرم « ...لأن فيه موسمان عظيمان يُنْدَبُ فيهما الصيام و الإكثار من فعل الخير و الإحسان على البائس و ترك المعاصي و التحلي بالأخلاق الحميدة، و الاحتكاك بمن صلح حاله من المسلمين، و الإخلاص لله..»[3].

---

[1] ) المجاوي، الحسد، كوكب إفريقيا، السنة الثانية، عدد68 ( 30 رجب 1326هـ/ 28 أوت 1908م).

[2] ) المجاوي، سلامة الإنسان في حفظ اللسان، كوكب إفريقيا، السنة الثانية، عدد84 ( 17 ذو القعدة 1326هـ/11 ديسمبر 1908م).

- انتشرت العادات السيئة في المجتمع الجزائري انتشارا واسعا كالخمر و الربا و الميسر و مظاهر العربدة و المُجون زمن الاستعمار الذي غضّ طرفه عنها، فوجب على العلماء التحذير منها، و كان المجاوي من أولئك الناصحين بخطبه و كتاباته التي تبدو في نظرنا صالحة لكل زمان و مكان.

[3] ) المجاوي، المحرم و مواسمه، كوكب إفريقيا، السنة الثانية، عدد 39 ( 11 محرم 1326هـ/ 14 فيفري 1908م ).

و عن فضل شهر رمضان الكريم و فوائد الصيام في علاج أمراض المعدة و ما فيه من قرب إلى الله « بالعبادات و السعي إلى المساجد لصلاة التراويح التي لا تخفى فوائدها لأنها ترويح للجسم و النفس و رياضة لهما، إذ هي من قَبِيلِ الحركات الرياضية اللطيفة التي تُعِين على الهضم...»[1].

و يحضّ على اعتياد المساجد و سماع تلاوة القرآن الكريم و الخشوع لله و التزاور و التراحم، و تجنب السهر و الدخان و القهوة لِئَلَّا يضعف الجسم، و يُعَدِّد الفوائد الطبية و النفسية للصيام[2].

أما عيد الأضحى فهو في رأيه موسم « ... مواساة الجياع و صلة الأرحام و التوسعة على أهل العوز و الفاقة و بالجملة تفريج خواطر المنكوبين و قلوب البائسين...» [3]، و هي مناسبة أيضا للحديث عن الحج المبرور الذي يُقوِّم سلوك الناس و يستبدلهم أناسا صالحين يطهّرون أنفسهم من اللهو و الغَفْلَة و يلتزمون بسنّة النبي صلى الله عليه و سلم و يتجنبوا العادات السيّئة[4].

من المُلاحظ أن مقالات الشيخ المجاوي المنشورة في صحيفة كوكب إفريقيا ركّزت في مُجملها على الجانب التربوي و الأخلاقي، كما ارتبطت بطابعها المناسباتي لذلك فهي في رأينا

[1] ) المجاوي، رمضان و فوائد صيامه، كوكب إفريقيا، السنة الثانية، عدد 54 ( 23 ربيع الثاني 1326هـ/ 25 ماي 1908م).
[2] ) نفسه.
[3] ) المجاوي، موسم عيد الأضحى، كوكب إفريقيا، السنة الثانية، عدد 35 (6 ذو الحجة 1325هـ/10 جانفي 1908م ).
[4] ) نفسه، عدد 33 ( 27 ذو القعدة 1325هـ/1 جانفي 1908م ).
منذ قرون خلت ابتعد كثير من المسلمين عن قيم الإسلام خاصة في الأعياد الدينية، ففي عيد الأضحى نرى في بلاد الإسلام مع الأسف حشودا من الناس مُلتفّة تشهد التناطح و الهراش بين الكباش و تعذيب البهائم و الأنعام التي سخّرها لنا الله عز وجل و هي عادات محرّمة، فمن واجب علمائنا تنبيه الناس على قُبْحِ أفعالهم.

خطب منبرية أكثر منها مقالات صحفية، و مع ذلك رأينا القائمين على الصحيفة قد نقلوها من ذُرَى المنابر إلى أعمدة الصحف حتى يعمّ نفعها.

لقد ساهمت صحيفتا المغرب و كوكب إفريقيا في حفظ بعض تراث و آثار الشيخ التي كادت أن تكون نهبا للضياع، و لا ندري إن كان هذا كلّ ما استطاع أن ينقله للصحافة، أم أنّ هناك ما لا يزال مجهولا يروم منا المزيد من البحث و الاطلاع.

# تقاريظٌ وشعرٌ ورسائلٌ وخُطَبٌ ومحاضرات

نسج الشيخ المجاوي علاقات واسعة بحكم مهنته التي أكسبته شهرة منقطعة فكان مشاركا في عدة مناسبات دُعِيَ إليها زمن إقامته في مدينة الجزائر، من ذلك زيارات قام بها ضيوف من خارج الجزائر، كالتي قادت الوفد المغربي سنة 1320هـ/1902م، و لم يكن ينزل زائرا من العلماء إلى المدينة إلا ورغب في زيارته للاستفادة من دروسه و علمه لكن تلك الزيارات و اللقاءات لم تُقَيَّد تفاصيلها إلا قليلا، و إن سُجِّلت فلا تكون إلا عرضا، و عثرنا على ما يؤكد حضوره لاستقبال الوفد المغربي المذكور فقام خطيبا باسم الحضور، و قرظ كتاب زميله ابن الخوجة الكمال الذي وصف هذه الزيارة بشيء من التفصيل، و قرظ مؤلفا آخر لتلميذه و صهره القاضي أبو بكر بوطالب، و ألف شعرا لم يسلم منه إلا ما سيُشار إليه لاحقا كما له مراسلات مع بعض معارفه لا تزال مجهولة عندنا، و من دون شك أن لها من الأهمية في التَّعرُّف على شخصيته و علاقاته المتشعبة، و شارك في الصحافة بمقالات– تبدو قليلة في نظرنا– طرقت مجالات عديدة فيها من النصح و الإرشاد و الرغبة في نشر العلم ، و له محاضرات فقدت بالمرة عثرنا على عنوان لواحدة منها أما متنها فضاع في جملة ما ضاع من آثـــاره.

أردنا في هذا الباب أن نحصر هذه الآثار المتفرقة و كلّنا أمل في أن يتم العثور على ما ضاع منها رغم صعوبة المهمة، حتى نتمكّن من سدّ الثغرات و تغطية العجز الحاصل في جمع آثاره المتفرقة ما أمكننا ذلك، مُعتَرفين بقُصور باعنا و قلّة اطلاعنا.

**التقـــاريـظ :**

كان العلماء و الأدباء عندما يؤلفون كتبهم يدفعون بها إلى من يتوسمون فيهم سعة العلم لإبداء رأيهم فيها، و كثيرا ما يغلب المديح و الإطراء و التنويه بالمؤلف و بصاحبه و قد أحصينا للشيخ المجاوي تقريظين لكتابين جرى تأليفهما في مطلع القرن14هـ/20م و كان حينها يشتغل أستاذا بمدرسة الجزائر الشرعية ( الثعالبية)، فالأول هو كتاب روضة الأخبار و نزهة الأفكار لصهره القاضي أبو بكر بوطالب طبع سنة1312هـ/1901م، أما الثاني فلزميله المدرس محمد بن مصطفى بن الخوجة الكمال الموسوم بعقود الجواهر في حلول الوفد المغربي بالجزائر و طبع سنة 1313هـ/1202م، و لا نعلم إن كان قد ألّف تقاريظ في غير هذين المؤلفين، فقد عهدنا المجاوي مؤلفا و مدرسا و لم نعهده يقرظ الكتب، و في اعتقادنا أنه ما كان ليحذو هذا الحذو لولا أن الرجلين ألحا عليه مستغلين شهرته وسعة علمه و قربهما منه بحكم الزمالة و علاقة القرابة، و بإمكان القارئ أن يجد في تقريظي المجاوي دافعا قويا للاطلاع على مضمون الكتابين فيحظيا بالاهتمام رغم أن أفكارهما فيها تلميع عريض لصورة فرنسا و لسياستها في الجزائر و في المغرب الأقصى.

لم يتسنّ لنا الاطلاع على التقريظ الأول لكتاب "روضة الأخبار و نزهة الأفكار" لكننا استطعنا أن نَتَلَقَّفَ بعض ما جاء فيه، فكاتبه موظف لدى الإدارة الاستعمارية و هو قاضٍ معروف من آل البوطالب و صهر للشيخ المجاوي، و لم نسمع أنه ألّف غير هذا الكتاب فهو قاض أكثر منه مؤلفا، و أشاد في تأليفه بمدنيّة فرنسا و ما شيّدته في الجزائر « من أعمال

حضارية كالمدارس و المعارض و المتنزهات و المباني» و فيه دعوة للجزائريين لتعلم اللغة الفرنسية و الاستفادة من إنجازات الفرنسيين و نبذ الخمول و التعصّب و العزلة[1]، و نرى في ذلك دعوة مبكّرة و صريحة من المؤلِّف للاندماج، و مع ذلك فقد أُعجِب المجاوي بما خطّت يمين صهره، فكتب تقريظا لم نعثر عليه مع الأسف[2].

أما الكتاب الثاني فهو عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي بالجزائر ألّفه مصطفى بن الخوجة بإشراف من الولاية العامة[3]، بمناسبة حلول الوفد المغربي بمدينة الجزائر، و هي زيارة مُطَوَّلة دامت ما بين 22 شعبان إلى 9 شوال 1319هـ/4 نوفمبر 1901م إلى 19 جانفي 1902، و قاد هذا الوفد ممثل الملك محمد القباص[4] و رغم الطابع السياسي للزيارة إلا أن الوفد زار العديد من المنشآت التي شيدتها فرنسا في الجزائر لتلميع صورتها، و لإثبات حسن الجوار حسب تعبير الجانب الفرنسي[5] و تصف الرسالة حسن الاستقبال الذي حظي به الوفد من قبل أعيان مدينة الجزائر و أساتذتها و علمائها مدّة إقامته التي جاوزت شهرا و نصف الشهر.

---

[1] ) سعد الله، أفكار جامحة، عالم المعرفة، الجزائر 2011م، ص ص 84-85.

[2] ) اتّصلت بأحد المهتمين بجمع التراث فأكّد لي أن الكتاب عنده، فلما أخبرته بأنني أحتاجه في إعداد أطروحتي تردّد و طلب مني الاتصال به لاحقا، لكن انقطعت أخباره و لم يعد يرد بعدها، و هذا مثال بسيط لواقع البحث العلمي عندنا- إلا قليلا- فهناك من يكتنزون الكتب في رفوف مكتباتهم، فلا هم أعادوا نشرها ليستفيد منها الباحثون، و لا هم جعلوها مُشاعَة لمن أراد البحث فيها، و نقول لمثل هؤلاء لو دام العلم لغيركم لما وصل إليكم.

[3] ) Exposé de La Situation Général de l'Algérie, p 124.

[4] ) محمد القباص ( الجباس ) سياسي و أديب و فقيه مغربي، درس بإنجلترا في بعثة علمية سلطانية سنة 1291هـ/1874م، شغل منصب وزيرا للحربية و مبعوثا للسلطان إلى الجزائر سنة 1318هـ/1900م و نائبا سلطانيا بطنجة سنة 1325هـ/1907م ثم وزيرا صدرا ما بين 1331-1337هـ/1913- 1919م و أُعفِيَ من منصبه.

- أبو العباس أحمد الرهوني، عمدة الراوين في تاريخ تاطاوين، تحقيق جعفر بن الحاج السلمي، الجزء الثالث، مطبعة الخليج العربي، تطوان 2003م، ص 183.

[5] ) Ministère des Affaires Etrangères, Documents Diplomatique, Affaire du Maroc 1901-1905, Imprimeur National, paris p22.

بدأ المجاوي تقريظه بخطبة تقليدية مُنَوِّهًا بالرسالة و بصاحبها بعبارات مسجوعة جامل فيها صاحب الرسالة إلى حدّ المبالغة، فمما قاله « ...أَلْفَيْتُهَا نَمِيقَةً عبقرية، مُضاهية للمقامات الحريرية...فقد اشتملت على جواهر ألفاظ كسواحر أَلحاظ، و لطائف معاني كرنّات المَثاني...مدائحها صادقة و للواقع مُطابِقَة...»[1].

من المؤسف حقا أن يُوَظِّف الفرنسيون الشيخ المجاوي و غيره من أساتذة مدرسة الجزائر لاستقبال الوفد تمهيدا لترسيم اتفاقية تثبيت الحدود[2]، و إخفاء نوايا فرنسا التوسعية التي كانت بداياتها اتِّباع سياسة القَظْم التي أشرف عليها الوالي العام الفرنسي في الجزائر بول ريفـــوال تمهيدا للسيطرة على المغرب في إطار سياسة الحماية[3]، و كان هؤلاء على قيد الحياة عندما حدث العدوان الفرنسي على المغرب الأقصى، فما كان موقفهم؟ الأكيد أن موقفهم كان مع ولاة الأمر الذين قيدوهم بأغلال الوظيف و استفادوا منهم في تلميع صورة فرنسا الاستعمارية، دون أن تكون لهم الجرأة الكافية لإبداء مواقفـــهم بشكل صريح.

**شعـــــر و رسائـــــل و خطب و محـــــاضرات:**

لم يصلنا أن الشيخ المجاوي كان يقرظ الشعر رغم أنه كثيرا ما استشهد به في دروسه و مؤلفاته و حَبَّب تلامذته فيه حتى برز منهم شعراء مُجيدون، و مع ذلك فقد رأينا تلميذه إبراهيم أطفيش يتحدث عن شعـر كان أستاذه يَتَفَكَّهُ و يُسَلِّي به تلامذتـــه في أعقـاب الدروس و من ذلك الألفية التي نسجها في الكلمات الجارية على أَلْسُن الجزائريين بالفرنسية، لكن لم

[1] ) محمد بن مصطفى بن الخوجة، عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي بالجزائر، تقديم علي تابليت، دار ثالة للطباعة و النشر، الجزائر 2006م، ص 17.

[2] ) Archives Diplomatique, Recueil, Mensuel International de Diplomatie et d'Histoire 3éme série, 43eme Année, № 4, Avril 1903, Administration et Rédaction Paris, p10.

[3] ) J.Romegny, Le Rôle de La France au Maroc, Ed L. Fouqué, Oran 1908, p 103 et pp129 – 130.

يصلنا منها إلا بيتا و شطر بيت، إذ لم يُدوِّنها تلميذه، و لم نسمع أنها دُوِّنَت في مصدر غير هذا الذي بين أيدينا، و مما أورده الشيخ أطفيش عن أستاذه من الشعــر:

و إن تُحَيِّ في الصباح قُلْ بُجُورْ  و لَفْظَة الدَّوامِ عِنْدَهُم تُجُورْ

و للطريق أشُمَا و للحديد فِيْرْ  .....[1].

و له مراسلات مع بعض معاصريه و هي مجهولة عندنا، و كل ما علمنا أن أفرادا من عائلته المقيمين بمدينة الجزائر يمتلكون بعضا منها، و هناك من اطلع عليها[2].

كما تجدر الإشارة إلى الرسالة المؤرخة في 23 ذو القعدة الحرام 1313هـ/6 ماي 1896م[3] التي تكشف تعرّضه للأذى من طرف شخص يُدْعَى علي بن التّجاني (؟) و زُمرة معه مُعَبِّرا عن غضبه الشديد، و مما جاء فيها «...و في هذا السبت سَبَّنَا اللئيم بن اللئيم العاجز الحاقد...مع جماعة من المفاسد السّقاط قبّح الله جميعهم و قرّعهم و بدّد شملهم و (كذا) و مقتهم و خزاهم...»[4] ، وفيما يبدو أن الرسالـــــة موجّـــة إلى صهره القاضي أبو بكـــر بوطالب لكن بعض كلماتها غير مفهومة، لأنها لم تُحْفَظ بشكل جيد، و قد ذكر من اطلع عليها من مصدرها أن الشيخ أبدى فيها موقفا من اليهود مُستَشعِرًا خطرهم[5].

و أشار زميله في المدرسة الثعالبية محمد بن مصطفى بن الخوجة ( الكمال ) أن الشيخ المجاوي قام خطيبا أمام جموع الحاضرين بمناسبة زيارة الوفد المغربي إلى المدرسة الثعالبية سنة 1319هـ/1902م «...فسرد عليهم الأستاذ الجليل الفقيه النبيل بحر العلوم الراوي الشيخ

---

[1] ) دبوز، نهضة ...، ص 104.
[2] ) عويمر، بدايات النهضة بالجزائر...، البصائر 5-11 ذو الحجة 1432هـ/ 7-13 نوفمبر 2011م، عدد 573.
[3] ) نشرنا صورة للرسالة في الملحق رقم 5.
[4] ) نفسه.
[5] ) طالبي، آثار ابن باديس، ج1، ص 25.

عبد القادر المجاوي ... خطبة تناسب المقام و تفصح عن المرام، دام من الآفات محظوظا و بعين الجلال ملحوظا...»[1] و نحن إن لم نطلع على الخطبة التي لم تُحفظ فالظاهر أنها كانت ترحيبية، و لا تختلف في أسلوبها عن التقريظ الذي أشرنا إليه سابقا، لأن المقام يقتضي التنويه بالوفد السلطاني الزائر، فاختارت إدارة المدرسة من ذوي الباع و اليَرَاع ليخطب باسمها و كان الشيخ أكثرهم علما و وأسَعُهم عارضة، فتولّى هذه المهمة.

من المؤكد أن الخطبة المذكورة ليست يتيمة، فخطبة المسجدية كإمام في مسجد سيدي رمضان في الفترة ما بين 1326–1332هـ/1908–1914م يمكن أن تحوي مجلدا لو حُفظت لكنها لم تُجمَع أو تُدوَّن، لأن صاحبها كان منشغلا بالتدريس، و نرى أن مؤلفاته و آثاره خارج أسوار المدرسة مفقودة رغم أهميتها لأنها دون شك ستسلط الضوء على هذه الشخصية العلمية و تحيطنا خُبْرًا بجوانب مجهولة من حياته و اهتماماته.

كما شارك بمحاضرة في الجمعية الرشيدية سنة 1325هـ/1907م بعنوان الحضارة العربية قبل الإسلام و بعده[2] ، لكنها مفقودة و لم يبق إلا عنوانها، و نعلم أيضا أنه كان عضوا في الجمعية التوفيقية، فهل قدّم محاضرات فيها؟ دون شك أن انتماءه لهذه الجمعيات و وزنه كأستاذ تجعله مُشارِكا و لو بالنّزر اليسير، لكننا مع الأسف لم نعثر على شيء يُذكَر.

لقد ترك الشيخ المجاوي بصماته على الساحة الثقافية الجزائرية بتآليفه و دروسه، فبعد وفاته بعقود كانت الإذاعة الفرنسية في الجزائر زمن الحرب العالمية الثانية تُذيع بعض دروسه التي كان يقدّمها لطلبته في قسنطينة و الجزائر في حصّة إذاعية يُعِدُّها الأستاذ بمدرسة

[1] ) ابن الخوجة، المصدر السابق، ص 25.

[2] ) Revue du Monde Musulman, Tome Dixième, Ernest Leroux Editeur, Paris 1910, p 440.

قسنطينة و الجزائر عبد السلام بن زراق[1]، و هو ما يدل على علو مكانته و شهرته الواسعة في أوساط معاصريه.

كانت جلّ آثار الشيخ المجاوي موجّهة إلى طلبة مدرستي قسنطينة و الجزائر، فهي كراريس غزيرة المادة صغيرة الحجم ألّفها لتيسير شؤون طلبته العلمية تنوّعت مادتها و موضوعاتها، و يظهر لنا في دراستنا لمؤلفاته التي ذكرنا أن اهتمامه بالتأليف لم يكن ذو أولوية فلو كان كذلك لكانت تآليفه أكثر بكثير مما رأينا، فليس من العسير عليه فعل ذلك، لكنه اشتغل بتعليم و تكوين الأجيال على مدار أربعة عقود و نيّف من الزمن، ينتقد بشدّة تخلّف المجتمع و يحضّ على طلب العلم و نشره و اصطياد شوارده، و ينهى عن البدع و الخرافات و يوصي طلبته بذلك نثرا أو مستشهدا بالشعر أحيانا أخرى، و هذا من صميم اختصاصه فطبع بعض مؤلفاته و خَطَّ البعض الآخر في مدينتي قسنطينة و الجزائر، منها ما وصلنا و منها ما فقدنا أثره بالمَرَّة و منها ما لم يُنشَر.

[1] ) L'Echo d'Alger, 31éme Année, № 11684, ( 23-24/08/1942 ).

# خاتمـــــــــة

لقد وجدت صعوبة كبيرة في كتابة هذه الخاتمة لعملنا فليس من اليسير الحكم على شخصية من وزن الشيخ المجاوي وكيف نصدر أحكاما عليه ولا تزال جوانب من حياته غير معلومة؟

عاش الشيخ عقودا حافلة بالأحداث على مختلف الأصعدة، وبحكم أن الإنسان يتأثر بما يجري حوله، رأيناه في فترة إقامته بمدينة قسنطينة يدلي برأيه في بعض المسائل الاجتماعية والثقافية، ويدعو للإصلاح في كتاباته الخالية من طابع الانتقاد للحكم الفرنسي، لكنه وإن استمر في بث أفكاره الإصلاحية والتعليمية عبر دروسه، إلا أنه تخلى عن مطالبه المتعلقة بقضايا المسلمين الجزائريين ونأى بنفسه، فلم نسمع عنه أنه أصدر أحكاما بشأنها رغم أنّ الكثير منها لا يمكن السكوت عنه، منها غياب موقفه من الثورات الشعبية التي عرفتها الجزائر رفضا للاستعمار وقد عاصر بعضها عندما كان مدرسا في قسنطينة، و رأيه في السياسة الفرنسية وانعكاساتها السلبية على الجزائريين كمصادرة الأراضي وسطوة الاستيطان، وتضييق الخناق على التعليم الإسلامي واللغة العربية وغيرها.

إنّه في تتبعنا لمسار حياة الشيخ المجاوي أمكننا تمييز شخصيته من جانبين:

**الجانب الأول:** المدرس الحر ثم الرسمي ذو المواقف السلمية في مدينة قسنطينة

**الجانب الثاني:** الموظف المُسَاير للإدارة الفرنسية في الظاهر والمُعتَرِف بالأمر الواقع إزاء قوانينها وسياساتها في مدينة الجزائر، وهي أفعال تحتاج إلى ردود فعل واضحة، لكنها لم تصدر عنه – في حدود اطلاعنا– حتى وفاته.

أما المجاوي المدرِّس المؤلِّف فذاك أمر آخر، إذ تبدو أفكاره التربوية صالحة لكل زمان ومكان، وقد تخرَّج عليه جيل من الطلبة والمثقفين أمكننا تمييز صنفين منهم:

**الصنف الأول:** ثُلّةٌ من المتشبعين بالفكر الإصلاحي مستفيدين من تجربة الشيخ التعليمية، وقد أفادوا أجيالا أخرى من المُتعلِّمة نذكر منهم الشيخ حمدان الونيسي القسنطيني دفين المدينة المنورة، الذي درّس الشيخ عبد الحميد بن باديس، وأوصاه وصية الأب لابنه بالابتعاد عن الوظيف لأنه اعتبره حسب رأيه وتجربته قَيْدًا في اليد وغِلاًّ في العُنُق.

**الصنف الثاني:** مَثَّله طائفة من الموظفين الرسميين الذين أفادوا الإدارة الفرنسية أيّما إفادة وتنكَّروا لبني جلدتهم في ساعة العُسرة و انسلخوا عن هموم وطنهم ومآسيه، ونذكر من أولئك صهره أبو بكر بوطالب الحسني الذي اشتغل في سلك القضاء لعقود، واشتهر بتملّقه للفرنسيين بكتاباته، ومحمود كحول بن دالي المُحرِّر والأستاذ والمُفتي الذي قدّم لفرنسا أعمالا جليلة وخدمها بإخلاص كبير، ووقف في طريق الإصلاح في ثلاثينيات القرن 20 م، ثم كافأته فرنسا على جهوده سنة 1355هـ/ 1936م فكان جزاؤه كجزاء سِنِمَّار بانتهاء مهمته[1] .

[1] ) أُغتيل على يد المدعو عكاشة بإيعاز من الإدارة الفرنسية، وألصقت التهمة بالشيخ الطيب العقبي (1307- 1379هـ/ 1889- 1960م) للتضييق على نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتشويش على أعمال المؤتمر الإسلامي الذي انعُقِدَ في ذات السنة.

ومن هذا الصنف نذكر أيضا بعض المشائخ ممّن قيّدهم الوظيف وسايروا الإدارة الفرنسية التي أثقلت صدورهم بالنياشين، ورغم ثقافتهما وسعة علمهما ودفاعهما عن اللغة العربية، ونعني بذلك محمد المولود بن الموهوب ومحمد السعيد بن زكري، إلا أنهما خَلَطَا عملا صالحا بآخر سيئا، فتولَّيا الفتوى على المذهب المالكي، وكانت مواقفهما مُسايِرة للإدارة الفرنسية على الصعيدين السياسي والثقافي قُبَيل اندلاع الحرب العالمية الأولى وما بعدها[1].

أما عن مؤلفات الشيخ المجاوي فلاحظنا أن أغلبها طبعت على نفقة إدارة التعليم الفرنسية و في مطابعها الرسمية، و هو الشيء الذي جعلها خالية تماما من طابع الانتقاد للسلطة، إلا أنه من الصعوبة بمكان – حسب رأينا – الحكم على تآليفه ومخطوطاته من وجهة النظر التاريخية لعدم إحاطتنا خبرا بكل آثاره، فربما تكون هناك رسائل مخطوطة تبادلها مع معارفه و أصدقائه فيها إشارات لمواقف و أحداث لم تصلنا، و مما زاد الأمر صعوبة أن الشيخ نادرا ما رأيناه يتكلم عما يُخَالِجُ نفسه، إلا مُعتَذِرًا أو مُعَقِّبًا، و لم نجد تفسيرا لطابع التَّحفُّظ الذي لازمه في مؤلفاته كلها طيلة الفترة التي عاشها مُدرِّسا و مُؤلِّفا و هو أمر محيّرٌ حقا.

علينا في الأخير أن نُنَوِّهَ بما تيسَّر لنا الاطلاع عليه من آثار و مؤلفات، ففيها من العلم و الفرائد و الفوائد و النصح ما يستحق الإشادة، و لعلّ ذلك هو الذي غرس له في نفوس معاصريه من تلامذة و أساتذة و علماء وعامــة مَحبَّة و تقديرا على جهوده و تواضعه و علمه و حِلْمِهِ، و هي خصال ما اجتمعت في امرئٍ إلا و نال بفضلها خيرا جزيلا.

[1] ) توفي الشيخ ابن زكري سنة 1332هـ/ 1914م، بينما عاش ابن الموهوب حتى عام 1358هـ/ 1939م، وكانت مواقفه من الحركة الإصلاحية في ثلاثينيات القرن 20م سلبية في بعض جوانبها.

آن لنا الاعتراف أيضا بقلّة باعنا و اطلاعنا، فجهود الشيخ العريضة أكبر من أن نحصرها في بضعة أوراق، أو أن نُعبّر عنها بكمشة أقلام، ما لم تُتَوّج بمشروع حضاري مُثمر تتضافر فيه الجهود يستهدف جمع تراث علمائنا و يُنَوِّهَ بجهودهم و فضائل أعمالهم، و ينقل للأجيال القادمة أخبارهم فيقتبسوا من نورها و يقدّروها حقّ قدرها.

# الملاحق

**الملحق رقم 1: الشيخ عبد القادر المجاوي[1]**

[1]) التقويم الجزائري، السنة الثانية، مطبعة فونتانة، الجزائر 1329هـ/1912م، ص 107.

## الملحق رقم 2: رسالة الشيخ المجاوي إلى صحيفة المستقل الصادرة في قسنطينة[1]

*Nous avons reçu la lettre suivante :*

*Traduction:*

*« Louanges à Dieu qui pescrit à ses serviturs l'amitié et la bonté et qui leur a défendu de se chercher qurelle, de se haïr réciproquement et de s'écarter les uns des autres !»*

*Voici les faits :*

*J'ai composé un ouvrage relatif à l'étude des sciences qui élèvent l'esprit et j'ai invité avec instance les étudiants à consulter ce livre pour leur donner l'idée de s'appliquer à l'étude.*

*Dans ce but, je me suis moqué des ignorants et pour les rabaisser à leurs yeux, je leur ai présenté les trois images suivantes :*

*J'ai dit que l'ignorant, lorsqu'il parle de choses étrangères à la science, - et il ne peut parler de sciences– émet un langage comparable au bruit du renard ;*

*Que, s'il se trouve réuni dans une assemblée de personnes instruites, il cache son visage comme le hérisson lorsqu'il se met en boule ;*

*Et que sa marche est comparable à celle de la sauterelle lorsqu'elle s'entasse sur le buisson épineux applé (El Djerniz).*

*Mon livre étant parvenu entre les mains de certaines gens, ces personnes ont apprécié les paroles qui précèdent comme constituant des injures. Elle ont excité à ce sujet d'autres personnes, les ont entrainées à leur suite et ce groupe s'est appliqué à soulver les gens et à les pousser à me faire subir des mauvais traitements quand je sors, à déposer des plaintes l'autorité et à m'à m'assaillir en me frappant et en m'*

[1] ) Journal L'Indépendant, Echos de Constantine, 18éme Année, (25 novembre 1877).

*accablant d'injures, si bien que j'ai du me séqestrez chez moi pour éviter de fournir une occasion à ceux qui me voulent du mal.*

*Je me trouve donc dans une situation pitoyable et je préfère certainement la mort à une telle vie, puisque je me vois reconnu coupable alors que je n'ai commis aucun crime.*

*Dans cette conjoncture, si déplorable pour moi, et ne trouvant aucun moyen pour en sortir, je viens me présenter à la porte de votre journal et de la générosité de son eédacteur, espérant qu'il voudra bien publier ces lignes et servir d'intermédiaire entre moi et la population afin de lui faire savoir que maintenant, - bien que je ne me reconnaisse coupable d'aucune faute- je demande à tout le monde miséricorde et pardon, puisque* « *le pardon est l'attribut des âmes généreuses* ».

*Et cependant les paroles dont je me suis servi dans mon livre ne contiennent ni injure ni calomnie et je ne propose d'autre moyens pour avoir la preuve de la sincérité de mon dire, que de consulter les ouvrages qui donnent les sens des mots de notre langue.*

*Mais puisque les gens sont certains qui'il y'a injure et vitupération- alors, cependant que le sens du texte n'est pas ce qu'ils prétendent- , je leur demande de faire acie de justice det de mansuétude à mon égard et ( pour les engager à cela) , je leur rappelle tous les efforts que j'ai fait pour instruire leurs enfants et leur enseigner la science utile, si bien, qu'ils ont aquis une éducation complète ainsi qu'il est bien connu de tout le monde en particulier et en général.*

*Et si, malgré ces explications, ils s'y refusant et persistent dans ces dispositions, je désire, Monsieur le rédacture que, par l'intermédiaire de votre journal, ma plainte parvienne aux fonctionnaires ayant de l'autorité sur ces gens.*

*Il n'est en effet pas admissible que les représentants du gouvernement français permettent à personne de frapper ou de menacer un citoyen. Non , le coupable, quel qu'il soit, doit être puni par l'autorité.*

*Si donc , je suis reconnu coupable par l'autorité et si la faute qu'on m'impute est constatée par elle, qu'elle me punisse selon que j'aurai mérité mais non par le système de menaces, de violence et d'injures en pleine rue, dont*

*je suis victime, insultes et menace qui parviennent à mes oreilles, ce qui me force à me séquester chez moi , de telle sorte que je suis comme en prison et ne puis sortir , pour me rendre aux marchés et me procurer ma subsistance car je veux me soustraire aux avanies.*

*En résumé, monsieur le rédacteur, je viens avoir recours à votre journal, espérant que, dans votre génerosité, vous voudrez bien publier ces lignes.*

*Or, si l'autorité ne s'occupe pas de cette affaire et ne me protège pas contre ces gens qui voulent ma perte, il est certain que tout cela finira par mon trépas.*

*Salut, écrit à Constantine, le dix neuf novembre de l'année mille huit cents soixante dix sept.*

*Signé Abdelkader Ben Abdallah El Medjaoui,*

*Pour traduction conforme*

*Constantine le 21 novembre 1877*

*L'interprète traducteur assermenté, E Mercier.*

**الملحق رقم 3: رسالة تحريض ضد الشيخ المجاوي بعد صدور رسالة إرشاد المتعلمين**[1]

*Cet homme expose qu'il n'a pas insulté la population et ne la pas blessée par des paroles outrageantes ; et qu'enfin il a restreint ses imputations en les appliquant spécialement à l'ignorant, afin de pousser les gens à l'étude de la science.*

*Or ces explications sont vaines et inadmissibles, et pour en établir la fausseté, il n'y a pas de meilleure preuve que de s'en référer au texte de son livre : en effet, il y emploie ces expressins pour désigner tous les habitants des trios provinces algériennes sans restriction, les déclarant tous ignorant et se servant de cette expression :*

*« L'ignorance s'est appesantie sur eux comme un brouillard épais », apres quoi, il les compare aux plus vils des animaux sauvages.*

*Quant au pardon qu'il demande, s'il prétend par cela faire disparaïtre toute trace de ressentiment dans le coeur des gens et supprimer l'effet qu'ils ont resenti de son mauvais procédé, soit qu'ils l'aient caché, soit qu'ils l'aient manifesté, c'est là une chose impossible et qu'il ne peux avoir l'ambition d'obtenir.*

*En effet, il est incontestable que, par ce procèdé, il a à jamais, perdu deux choses, d'ont l'une est l'amitié que tout le monde lui portait et la haute considération que chacun lui accordait en lui attribuant un haut rang dans la science, et l'autre est le profit qu'il retirait des avantages matériels que chacun lui offrait en mettant ses biens à son service.*

*Quand aux craintes qu'il prétend éprouver pour sa sécurité, elles sont peu justifiées, car les personnes douées de jugement ne s'appliquent pas à se faire justice par elles-mêmes du préjudice dont elles sont victimes, mais attendent, à cet égard, l'action de l'autorité.*

1) Réponse Aux Allégations publiées par Abdel- kader el Medjaoui le Marocain dans le journal L'indépendant du 25 Novembre courant, Typographie L. Arnault Constantine.

*Seulement, il peut se trouver des gens encore jeunes, ayant le sang chaud et le caractère vif, et ceux-là peuvent, il est vrai, faire par eux-mêmes, du mal.*

*Du reste si la blessure qui a été faite par lui à la population n'avait eu pour théâtre que ce pays, il serait possible que les gens consentissent à l'oublier, une fois le premier moment d'irritation passé. Mais ce qui surtout mis la colère dans le coeur des gens, c'est que ledit Marocain s'est arrangé pour faire parvenir les insultes qu'il leur adresse jusqu'à des localités éloignées telle que le Caire, Tunis etc.*

*Alors les gens se sont dis : quiconque, parmi les habitants de l'Algerie ira en voyage, siot pour accomplir le pélerinage, soit pour des affaires commerciales, sers l'objet du plus grand mépris de la part des habitants de ces localités.*

*N'est-il pas surprenant, en effet, qu'il n'ait pas jugé devoir faire imprimer sa brochure dans le pays qu'il habite et qu'il soit allé le faire imprimer au Caire ?*

*Les paroles qu'Abdelkader El Medjaoui à fait imprimer dans l'Indépendant et par lesquelles il déclare qu'il a peur pour sa personne au point qu'il a du se séquestrer chez lui, sont en contradiction formelle avec ce qui a été fait à son instigation par un certain nombre de ses amis, à savoir, que les gens de la ville lui auraient pardonné, ainsi qu'il résulte des nombreuses lettres qui ont été écrites à cet effet, lettres qui, par parenthèses, ne sont trés probablement par dressées dans des conditions de régularité absolue.*

*En résumé, ce Marocain Abdelkader susmentionné, s'il était capable d'accepter un bon conseil, s'il avait dans les veines un sang généreux et s'il était d'un caractère droit, devrait se dire ceci : « Puisque j'ai perdu l'amitié, le respect, les bonnes dispositions et les avantages matériels que m'accordait la population, que je suis devenu comme si je n'existait pas et que les principaux citoyen et les habitants de la ville empêchent leurs enfants d'avoir des rapports avec moi, il est obligatoire pour moi de quitter de mon plein gré l'Algérie. »*

*Voilà ce qu'il devrait se dire, et cela en admettant que les autorités fermassent les yeux sur l'acte par lui fait et ne le punissent pas.*

*Il est convenable pour lui d'aller habiter les pays dont il a célébré et vanté les princes en terminant sa lettre, car il se présente à eux dans cet épître comme le chef des plus grands savants (Imam El Mouhaqqiqiine).*

*Peut-être en se transportant dans ces localités, y obtiendrait-il la position la plus élevée et saurait-il y conquérir la vénération et l'amitié en compensation de ce qu'il a perdu à Constantine.*

*Cet homme a, en effet, englobé dans ses insultes le gouvernement, qui fait tous les efforts pour répandre l'instruction et qui l'a nommé professeur en lui affectant un traitement sur sa caisse, les professeurs, ses collègues, appliqués comme lui au devoir de l'enseignement, et enfin, ses élèves, qu'il prétend avoir instruits : ses insultes atteignent ainsi de trois côtés.*

*Une telle manière d'agir serait répréhensible de la part d'un homme né au milieu de nous, mais venant d'un étranger Marocain, sur les antécédents duquel nous n'avons que ceci à lui dire : « Allez chercher d'autres gens avec lesquels vous entrerez en relation au moyen de votre science, dont vous vous servirez ensuite pour les insulter en prétendant leur donner de bons conseils ! »*

*Salut de la part de tous les gens de Constantine et en particulier de ceux que représente l'écrivain.*

*Signé Kheir Eddine Bou Mezoura*

*A Constantine le 26 novembre 1877*

*Pour traduction conforme :*

*Constantine le 27Novembre1877*

*L'interprète traducteur assermenté E. Mercier*

**الملحق رقم 4: جانب من قرار الحكم الصادر في قضية الشيخ المجاوي واليهودي عديدة** [1]

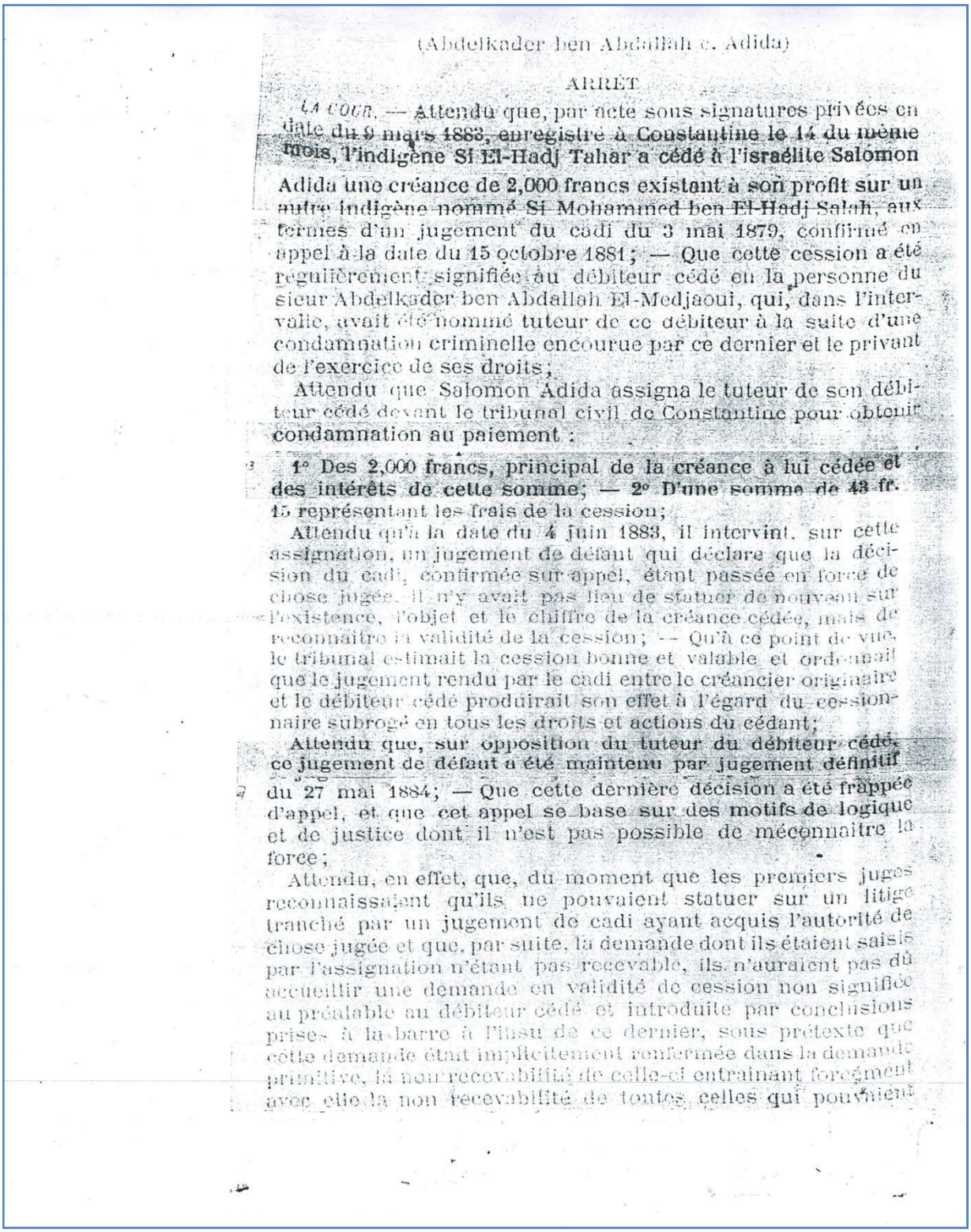

(Abdelkader ben Abdallah c. Adida)

ARRÊT

LA COUR, — Attendu que, par acte sous signatures privées en date du 9 mars 1883, enregistré à Constantine le 14 du même mois, l'indigène Si El-Hadj Tahar a cédé à l'israélite Salomon Adida une créance de 2,000 francs existant à son profit sur un autre indigène nommé Si Mohammed ben El-Hadj Salah, aux termes d'un jugement du cadi du 3 mai 1879, confirmé en appel à la date du 15 octobre 1881; — Que cette cession a été régulièrement signifiée au débiteur cédé en la personne du sieur Abdelkader ben Abdallah El-Medjaoui, qui, dans l'intervalle, avait été nommé tuteur de ce débiteur à la suite d'une condamnation criminelle encourue par ce dernier et le privant de l'exercice de ses droits;

Attendu que Salomon Adida assigna le tuteur de son débiteur cédé devant le tribunal civil de Constantine pour obtenir condamnation au paiement :

1° Des 2,000 francs, principal de la créance à lui cédée et des intérêts de cette somme; — 2° D'une somme de 43 fr. 15 représentant les frais de la cession;

Attendu qu'à la date du 4 juin 1883, il intervint, sur cette assignation, un jugement de défaut qui déclare que la décision du cadi, confirmée sur appel, étant passée en force de chose jugée, il n'y avait pas lieu de statuer de nouveau sur l'existence, l'objet et le chiffre de la créance cédée, mais de reconnaître la validité de la cession; — Qu'à ce point de vue, le tribunal estimait la cession bonne et valable et ordonnait que le jugement rendu par le cadi entre le créancier originaire et le débiteur cédé produirait son effet à l'égard du cessionnaire subrogé en tous les droits et actions du cédant;

Attendu que, sur opposition du tuteur du débiteur cédé, ce jugement de défaut a été maintenu par jugement définitif du 27 mai 1884; — Que cette dernière décision a été frappée d'appel, et que cet appel se base sur des motifs de logique et de justice dont il n'est pas possible de méconnaître la force;

Attendu, en effet, que, du moment que les premiers juges reconnaissaient qu'ils ne pouvaient statuer sur un litige tranché par un jugement de cadi ayant acquis l'autorité de chose jugée et que, par suite, la demande dont ils étaient saisis par l'assignation n'étant pas recevable, ils n'auraient pas dû accueillir une demande en validité de cession non signifiée au préalable au débiteur cédé et introduite par conclusions prises à la barre à l'insu de ce dernier, sous prétexte que cette demande était implicitement renfermée dans la demande primitive, la non recevabilité de celle-ci entraînant forcément avec elle la non recevabilité de toutes celles qui pouvaient

[1] Revue Algérienne et Tunisienne de Législation et de Jurisprudence TOME 2, Année 1886, Adolph Jordan Libraire Editeur, Alger 1886, pp 281-282.

**الملحق رقم 5: رسالة بخط الشيخ المجاوي يشكو فيها تعرّضه للأذى[1]**

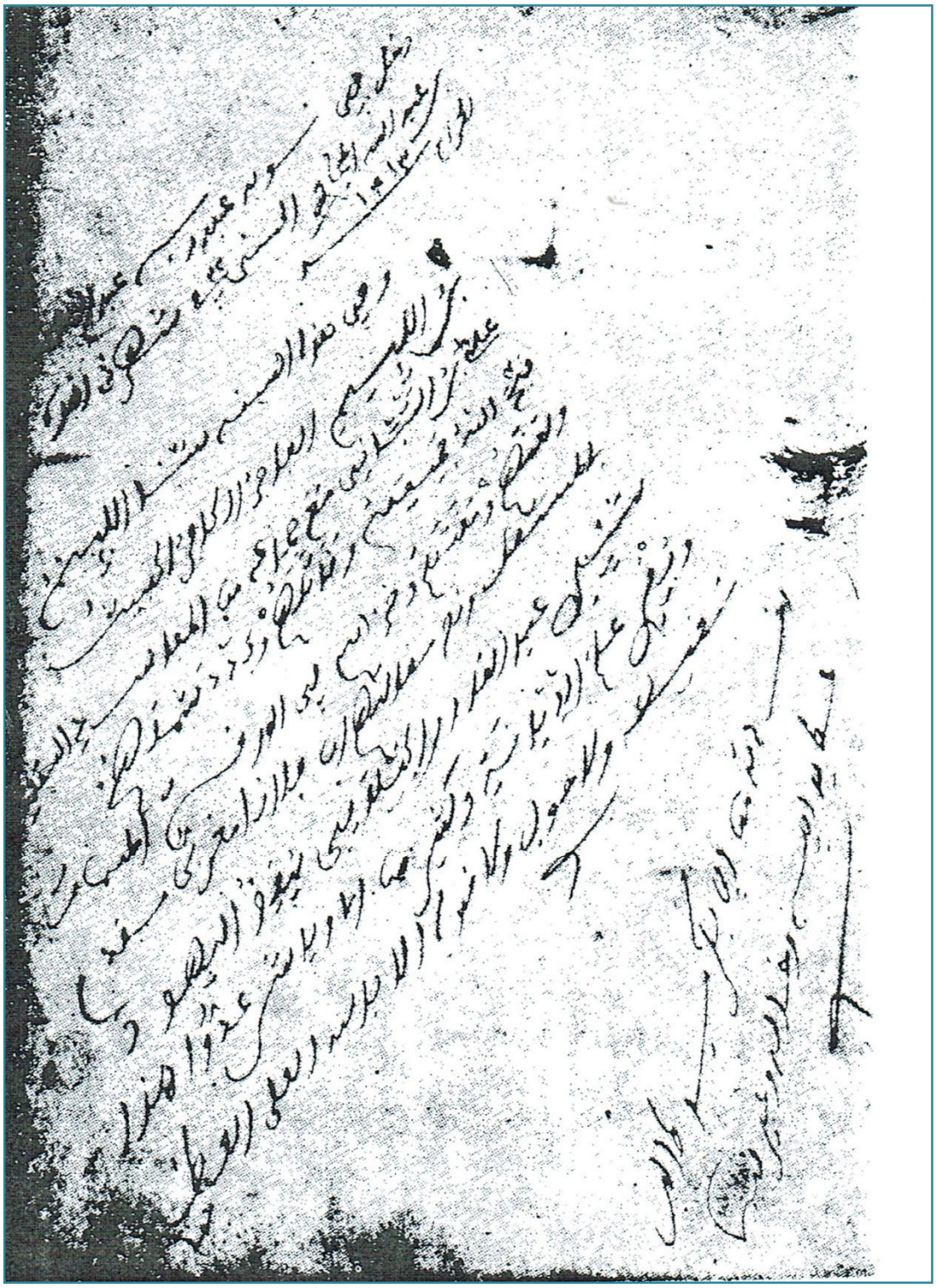

1) عمار طالبي، آثار ابن باديس، الجزء الأول، ص 25.

**الملحق رقم 6: قرار تعيين الشيخ المجاوي في مدرسة الآداب بمدينة الجزائر**[1]

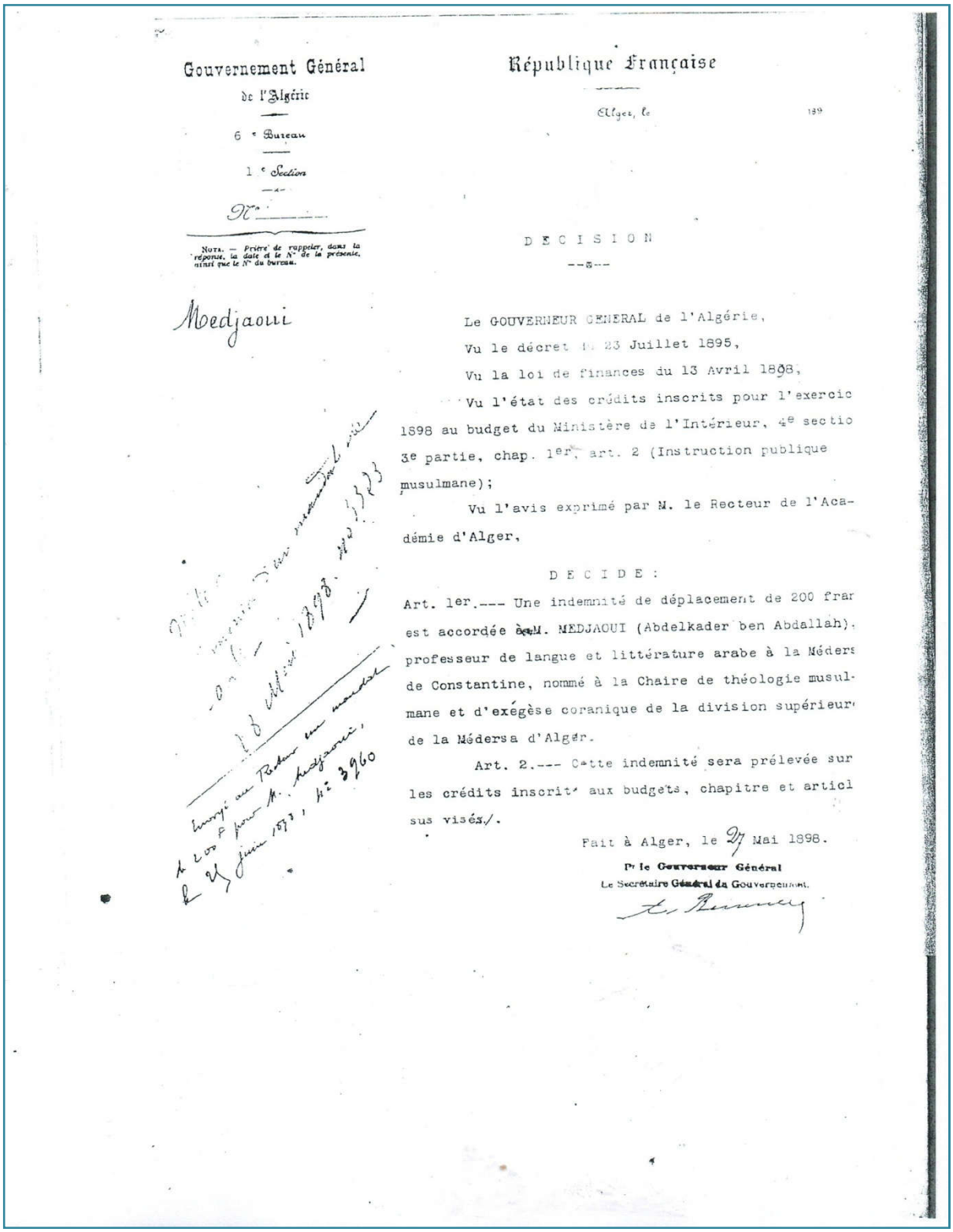

Gouvernement Général
de l'Algérie
6 e Bureau
1 e Section
N°

NOTA. — Prière de rappeler, dans la réponse, la date et le N° de la présente, ainsi que le N° du bureau.

Medjaoui

République Française

Alger, le 189

DECISION

--5--

Le GOUVERNEUR GENERAL de l'Algérie,

Vu le décret du 23 Juillet 1895,

Vu la loi de finances du 13 Avril 1898,

Vu l'état des crédits inscrits pour l'exercic 1898 au budget du Ministère de l'Intérieur, 4e sectio 3e partie, chap. 1er, art. 2 (Instruction publique musulmane);

Vu l'avis exprimé par M. le Recteur de l'Académie d'Alger,

DECIDE :

Art. 1er.--- Une indemnité de déplacement de 200 frar est accordée à M. MEDJAOUI (Abdelkader ben Abdallah), professeur de langue et littérature arabe à la Médersa de Constantine, nommé à la Chaire de théologie musulmane et d'exégèse coranique de la division supérieure de la Médersa d'Alger.

Art. 2.--- Cette indemnité sera prélevée sur les crédits inscrits aux budgets, chapitre et articl sus visés./.

Fait à Alger, le 27 Mai 1898.

P. le Gouverneur Général
Le Secrétaire Général du Gouvernement.

1) Archive d'Outre Mer (Aix en Provence) 14 H 44.

**الملحق رقم 7: تقرير تفتيش الشيخ المجاوي من مدرسة الجزائر**[1]

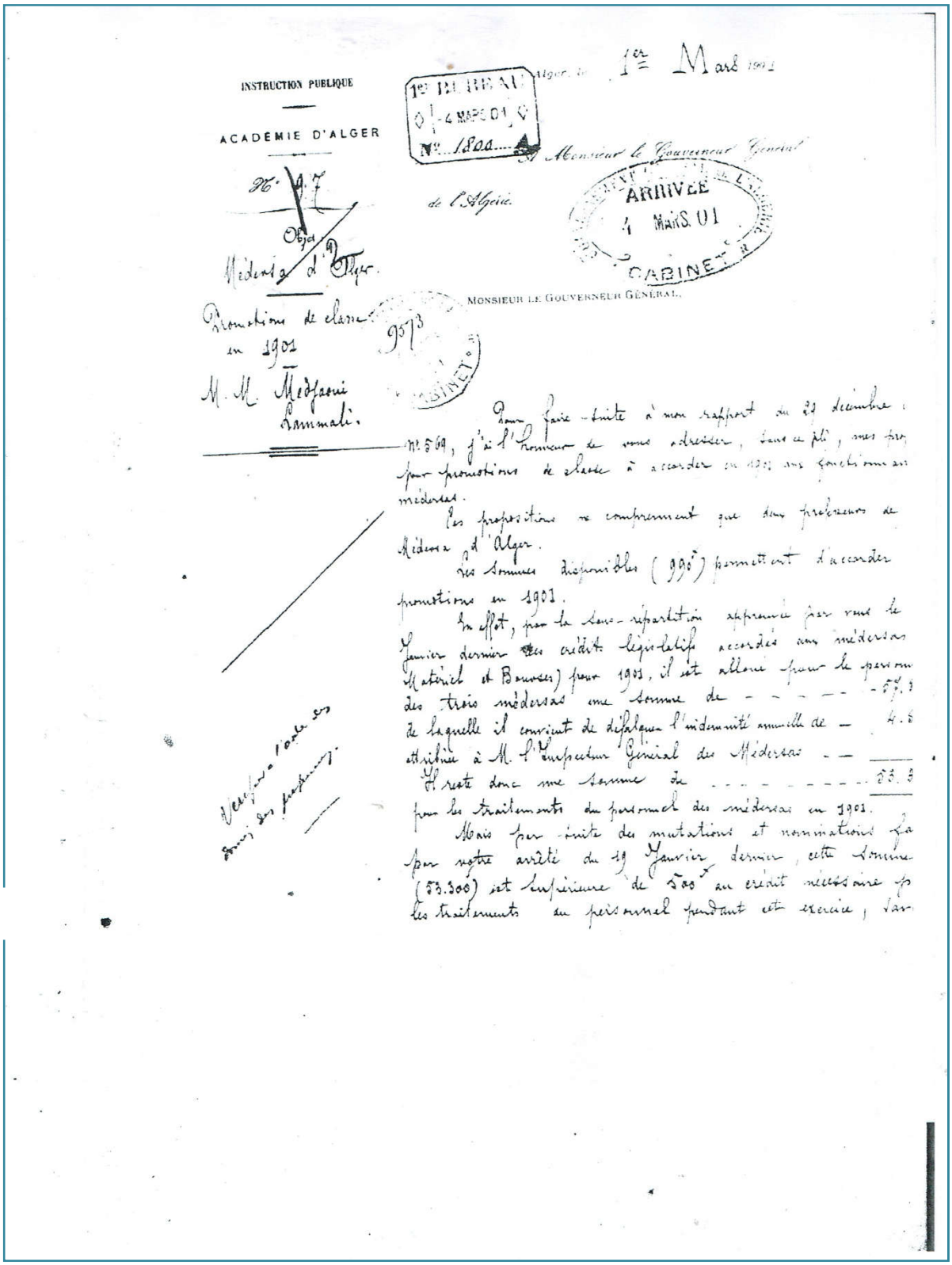

INSTRUCTION PUBLIQUE

ACADEMIE D'ALGER

1er Mars 1901

1er BUREAU
4 MARS 01
N° 1800

ARRIVÉE
4 MARS 01
CABINET

A Monsieur le Gouverneur Général de l'Algérie.

MONSIEUR LE GOUVERNEUR GÉNÉRAL,

Pour faire suite à mon rapport du 29 décembre [illegible] N° 569, j'ai l'honneur de vous adresser, sous ce pli, mes propositions pour promotions de classe à accorder en 1901 aux fonctionnaires des médersas.

Ces propositions ne comprennent que deux professeurs de Médersa d'Alger.

Les sommes disponibles (990f) permettent d'accorder ces promotions en 1901.

En effet, par la sous-répartition approuvée par vous le 9 janvier dernier des crédits législatifs accordés aux médersas (Matériel et Bourses) pour 1901, il est alloué pour le personnel des trois médersas une somme de ..... 59.9
de laquelle il convient de déduire l'indemnité annuelle de ... 4.8
attribuée à M. l'Inspecteur Général des Médersas .....
Il reste donc une somme de ..... 55.1
pour les traitements du personnel des médersas en 1901.

Mais par suite des mutations et nominations faites par notre arrêté du 19 Janvier dernier, cette somme (53.300) est inférieure de 5a0f au crédit nécessaire pour les traitements du personnel pendant cet exercice, l'an-

Promotions de classe en 1901
M. M. Medjaoui Ammali.

Vérifier toutes les sommes des propositions.

1) Archive d'Outre Mer 14 H 44.

**الملحق رقم 8: قرار ترقية الشيخ المجاوي سنة 1901م [1]**

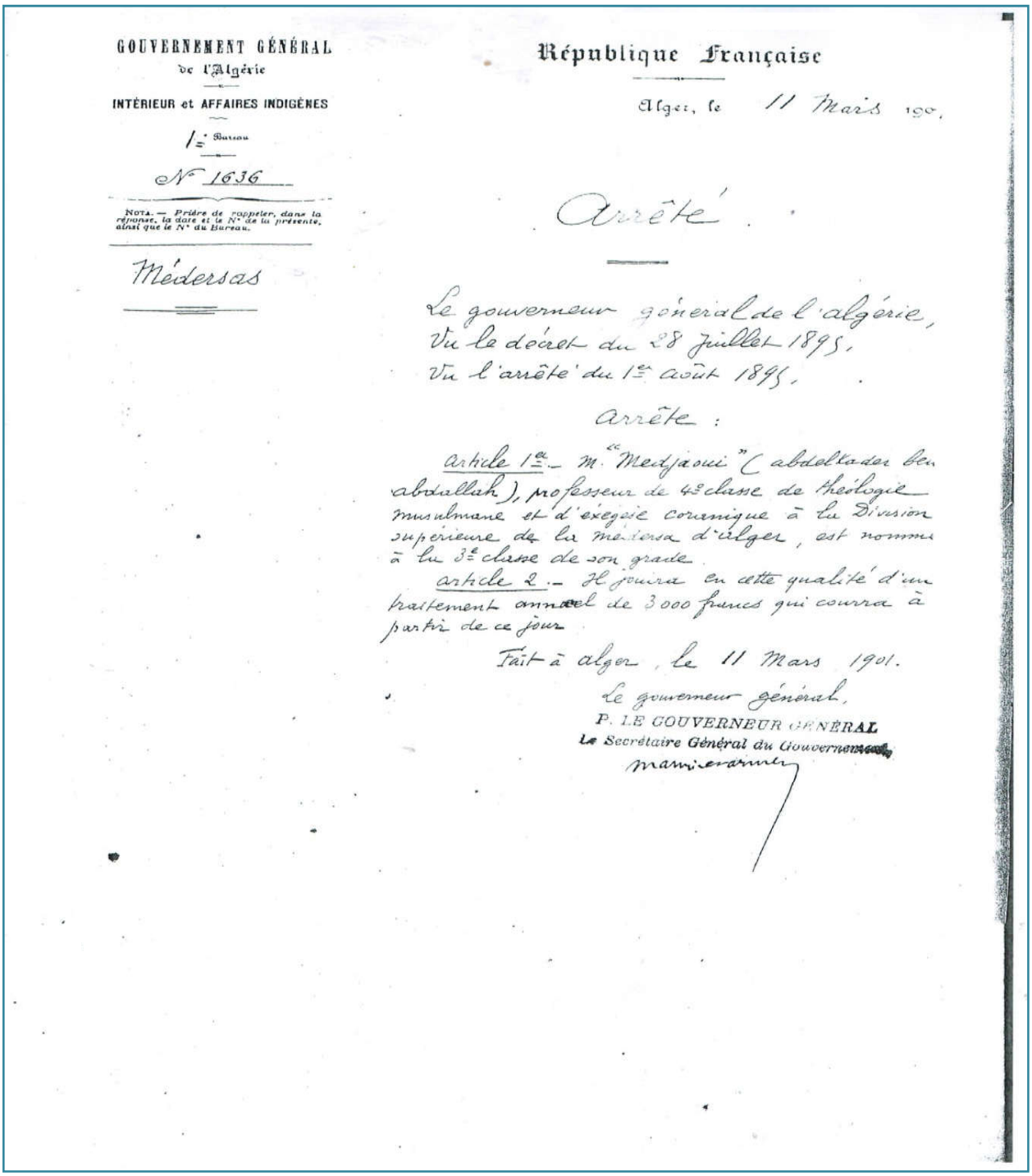

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL
de l'Algérie

INTÉRIEUR et AFFAIRES INDIGÈNES

1er Bureau

N° 1636

Nota. — Prière de rappeler, dans la réponse, la date et le N° de la présente, ainsi que le N° du Bureau.

Médersas

République Française

Alger, le 11 Mars 190,

Arrêté

Le gouverneur général de l'algérie,
Vu le décret du 28 juillet 1895,
Vu l'arrêté du 1er août 1895,

arrête :

article 1er.- M. "Medjaoui" (abdelkader ben abdallah), professeur de 4e classe de théologie musulmane et d'exégèse coranique à la Division supérieure de la médersa d'alger, est nommé à la 3e classe de son grade.

article 2.- Il jouira en cette qualité d'un traitement annuel de 3 000 francs qui courra à partir de ce jour.

Fait à alger, le 11 Mars 1901.

Le gouverneur général,
P. LE GOUVERNEUR GÉNÉRAL
Le Secrétaire Général du Gouvernement,
Mamiverarmen

1) Archive d'Outre Mer 14 H 44.

**الملحق رقم 9: تقرير تفتيش الشيخ المجاوي من مدرسة الجزائر**[1]

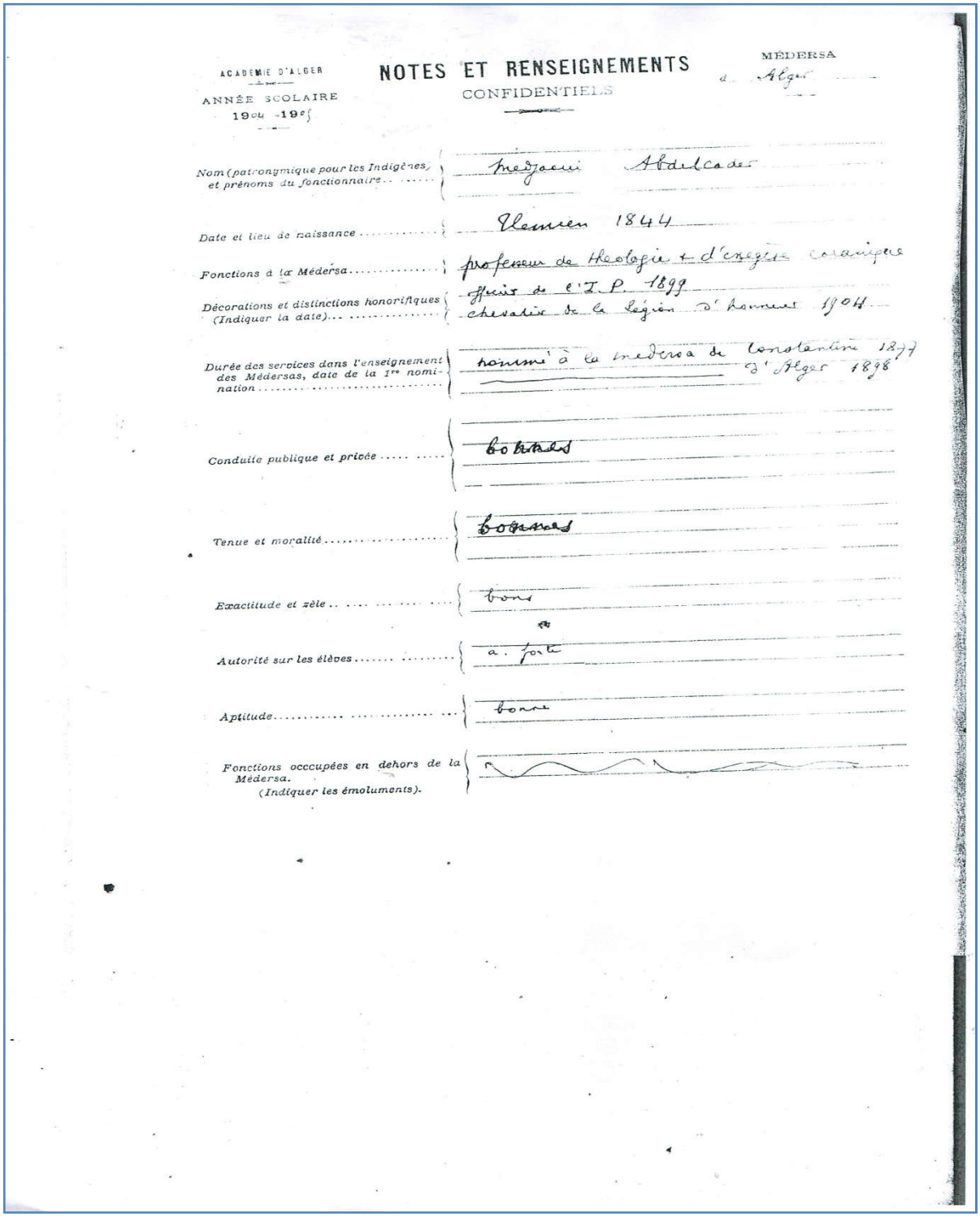

ACADEMIE D'ALGER
ANNÉE SCOLAIRE 19ou -19of

NOTES ET RENSEIGNEMENTS CONFIDENTIELS

MÉDERSA d'Alger

| | |
|---|---|
| Nom (patronymique pour les Indigènes) et prénoms du fonctionnaire | Medjaoui Abdelkader |
| Date et lieu de naissance | Alemcen 1844 |
| Fonctions à la Médersa | professeur de théologie + d'exégèse coranique |
| Décorations et distinctions honorifiques (Indiquer la date) | officier de l'I. P. 1899<br>chevalier de la légion d'honneur 1904 |
| Durée des services dans l'enseignement des Médersas, date de la 1re nomination | nommé à la medersa de Constantine 1877<br>d'Alger 1898 |
| Conduite publique et privée | bonnes |
| Tenue et moralité | bonnes |
| Exactitude et zèle | bons |
| Autorité sur les élèves | a. forte |
| Aptitude | bonne |
| Fonctions occupées en dehors de la Médersa. (Indiquer les émoluments). | [illegible] |

1) Archive d'Outre Mer 14 H 44.

**الملحق رقم 10: تقرير تفتيش الشيخ المجاوي في مدرسة الجزائر سنة 1905م[1]**

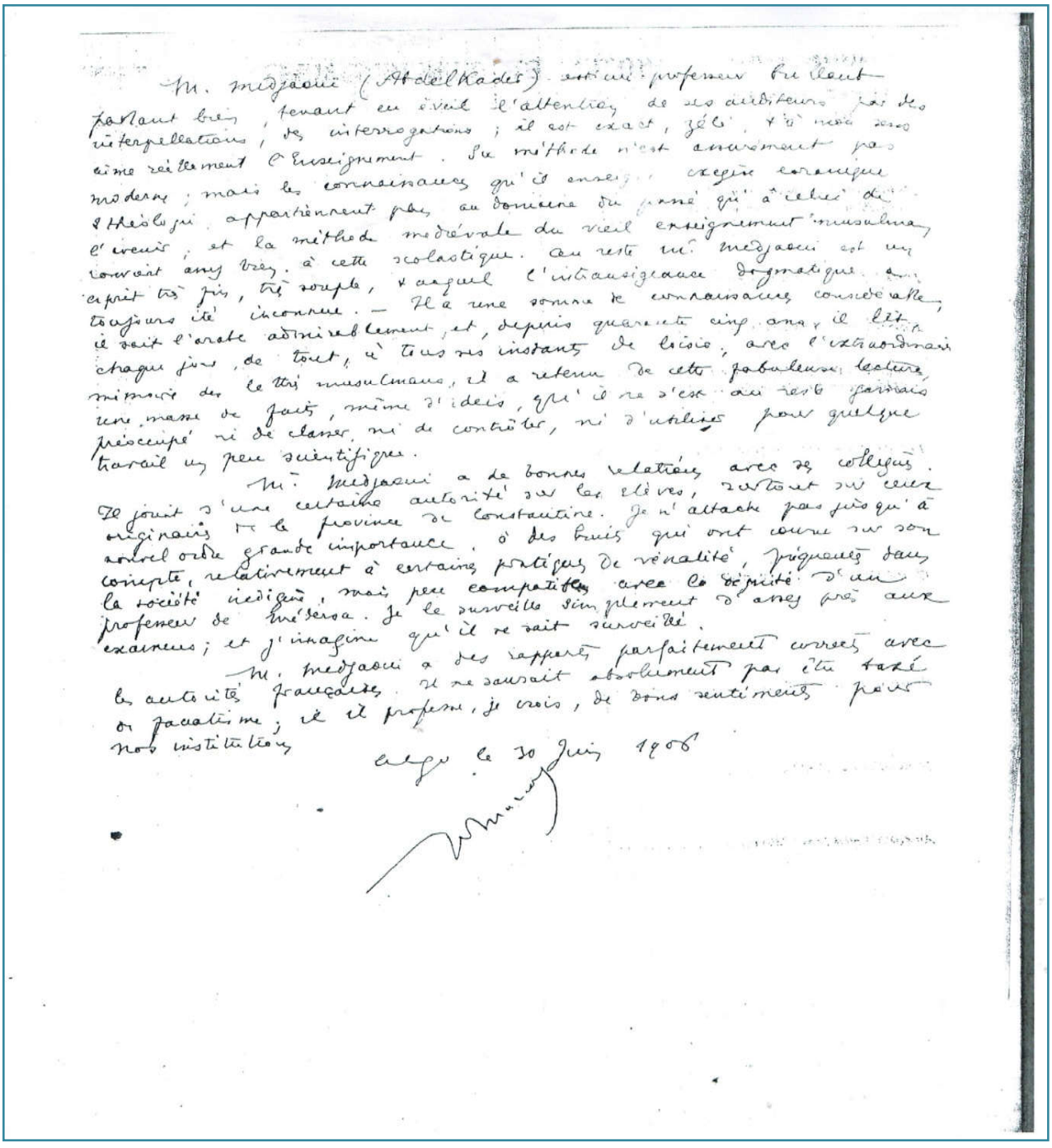

M. Medjaoui (Abdelkader) est un professeur très distingué parlant bien, tenant en éveil l'attention de ses auditeurs par des interpellations, des interrogations ; il est exact, zélé, s'il n'a pas une réelle vocation pour l'enseignement. Sa méthode n'est assurément pas moderne ; mais les connaissances qu'il enseigne, exégèse coranique & théologie, appartiennent plus au domaine du passé qu'à celui de l'avenir, et la méthode médiévale du vieil enseignement musulman convient assez à cette scolastique. Au reste M. Medjaoui est un esprit très fin, très souple, auquel l'intransigeance dogmatique a toujours été inconnue. — Il a une somme de connaissances considérable, il sait l'arabe admirablement, et, depuis quarante cinq ans, il lit chaque jour, de tout, à tous ses instants de loisir, avec l'extraordinaire mémoire des lettrés musulmans, il a retenu de cette fabuleuse lecture, non pas de faits, même d'idées, qu'il ne s'est au reste jamais préoccupé ni de classer, ni de contrôler, ni d'utiliser pour quelque travail un peu scientifique.

M. Medjaoui a de bonnes relations avec ses collègues. Il jouit d'une certaine autorité sur les élèves, surtout sur ceux originaires de la province de Constantine. Je n'attache pas plus qu'à raison grande importance, à des bruits qui ont couru sur son compte, relativement à certains partis de vénalité, fréquents dans la société indigène, mais peu compatibles avec la dignité d'un professeur de médersa. Je le surveille simplement d'assez près aux examens ; et j'imagine qu'il ne sait surveillé.

M. Medjaoui a des rapports parfaitement corrects avec les autorités françaises. Il ne saurait absolument pas être taxé de fanatisme ; et il professe, je crois, de bons sentiments pour nos institutions.

Alger le 30 Juin 1906

1) Archive d'Outre Mer 14 H 44

**الملحق رقم 11: بطاقـــــة بيانات فرديــة للشيخ المجاوي في مدرسة الجزائــر**[1]

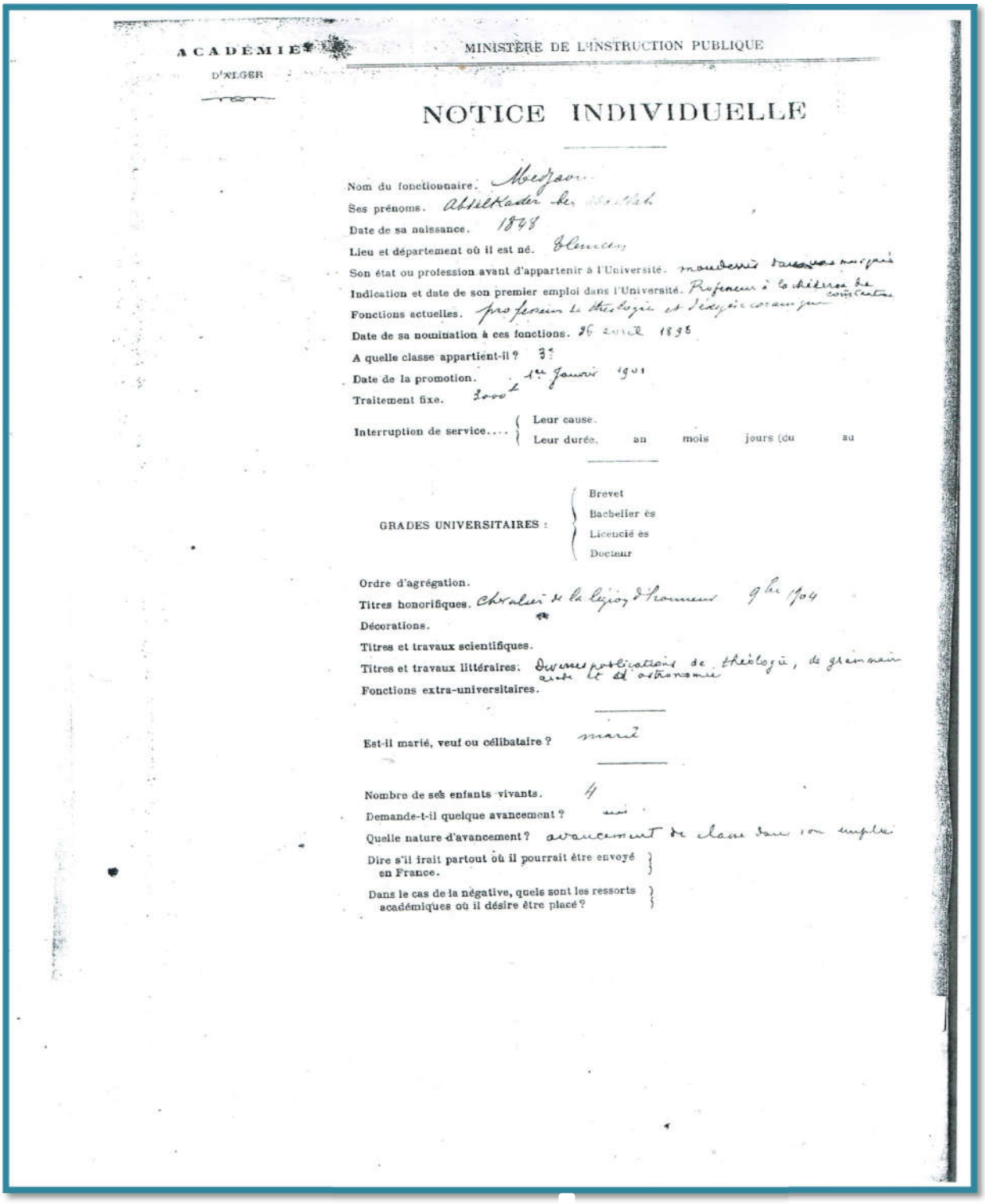

ACADÉMIE D'ALGER

MINISTÈRE DE L'INSTRUCTION PUBLIQUE

# NOTICE INDIVIDUELLE

Nom du fonctionnaire. Medjaoui

Ses prénoms. Abdelkader ben [illegible]

Date de sa naissance. 1848

Lieu et département où il est né. Blida

Son état ou profession avant d'appartenir à l'Université. [illegible]

Indication et date de son premier emploi dans l'Université. Professeur à la Médersa de Constantine

Fonctions actuelles. professeur de théologie et d'exégèse coranique

Date de sa nomination à ces fonctions. 26 avril 1895

A quelle classe appartient-il ? 3e

Date de la promotion. 1er Janvier 1901

Traitement fixe. 3000 f

Interruption de service.... { Leur cause. / Leur durée. an mois jours (du au

GRADES UNIVERSITAIRES : { Brevet / Bachelier ès / Licencié ès / Docteur

Ordre d'agrégation.

Titres honorifiques. Chevalier de la légion d'honneur 9 bre 1904

Décorations.

Titres et travaux scientifiques.

Titres et travaux littéraires. Diverses publications de théologie, de grammaire arabe et d'astronomie

Fonctions extra-universitaires.

Est-il marié, veuf ou célibataire ? marié

Nombre de ses enfants vivants. 4

Demande-t-il quelque avancement ? oui

Quelle nature d'avancement ? avancement de classe sur son emploi

Dire s'il irait partout où il pourrait être envoyé en France.

Dans le cas de la négative, quels sont les ressorts académiques où il désire être placé ?

1) Archive d'Outre Mer (Aix en Provence) 14 H 44.

# قائمة المصادر والمراجع

**المصـــادر:**

**بالعربيـــة:**


- **القـــــرآن الكريـــــم** (سورة النساء الآية 100).
- **الأشعري** (أبو الحسن)، اللمع في الرد على أهل الزيغ و البدع، صححه و علق عليه حمودة غرابة، مطبعة مصر 1955م.
- **الإسنوي** (عبد الرحيم بن الحسن بن علي الشافعي)، طبقات الشافعية، الجزء الأول تحقيق كمال يوسف الحوت، أبو محمد جمال الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى القاهرة 2002م.
- **الباروني** (سليمان باشا)، ديوان الباروني، مكتبة مسقط، القاهرة، الطبعة الأولى 2012م.
- **الباقلاني** (أبي بكر الطيب البصري)، الإنصاف فيما يجب اعتقاده و لا يجوز الجهل به، تحقيق و تعليق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانية، القاهرة 2000م.
- **البغدادي** (إسماعيل باشا)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المجلد الأول والثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت.ط).
- **بكار**(بلهاشمي) ، مجموع النسب و الحسب و الفضائل و التاريخ و الأدب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان 1961م.

- **بيرم الخامس التونسي** (محمد)، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، دار صادر، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، بيروت 1885م.
- **ابن حبيلس** (الشريف)، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، ترجمة عبد الله حمادي و آخرون، دار بهاء الدين للنشر، قسنطينة 2009م.
- **الحسين** (محمد الخضر) و آخرون، خمس رحلات إلى الجزائر 1904- 1932م تقديم محمد الصالح الجابري، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط$_1$، بيروت 2004م.
- **حشلاف** (عبد الله بن علي)، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول (ﷺ)، المطبعة التونسية، تونس 1929م.
- **الحفناوي** (أبو القاسم)، تعريف الخلف برجال السلف، ج$_2$ ,مطبعة بيير فونتانة الشرقية الجزائر 1906م.
- **الخنقي** (عاشور)، منار الإشراف على فضل عُصاة الأشراف و مواليهم من الأطراف المطبعة الثعالبية، الطبعة الأولى، الجزائر 1914م.
- **ابن الخوجة** (محمد بن مصطفى)، عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي بالجزائر تقديم علي تابليت، دار ثالة للطباعة و النشر، الجزائر 2006م.
- **رضا** (محمد رشيد)، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار الفضيلة، بيروت 2006م.

- **الرهوني** (أبو العباس أحمد)، عمدة الراوين في تاريخ تاطاوين، تحقيق جعفر بن الحاج السلمي، الجزء الثالث، مطبعة الخليج العربي، تطوان2003م.
- **السملالي** (العباس بن إبراهيم)، الإعلام بمن حل في مراكش وأغمات من الأعلام، ج7، تحقيق عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية، الرباط 1977م.
- **ابن سودة** (عبد السلام بن عبد القادر) ، إتحاف المطالع بوفيات أعيان القرن الثالث عشر و الرابع، القسم الثاني، دار الغرب الإسلامي بيروت 1996م.
- **السنوسي** (محمد الهادي)، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، الجزء الثاني، تقديم عبد الله حمادي، دار بهاء الدين للنشر، قسنطينة 2007م.
- **السيوطي** (جلال الدين عبد الرحمان)، بُغية الوعاة في طبقات النحويين و الوعاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه، القاهرة 1965م.
- **الشفشاوني** (محمد بن عسكر) ، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، الرباط، الطبعة الثانية.
- **الشهرستاني** (أبي الفتح محمد بن عبد الكريم)، الملل و النحل، صححه و علق عليه أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، الجزء الأول، الطبعة الثانية، بيروت 1992م.
- **ابن العنتري** (محمد الصالح)، تاريخ قسنطينة، مراجعة و تحقيق يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر 2009م.

- **ابن العنتري** (محمد الصالح)، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1974م.
- **الفاسي** (عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان)، الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر، تحقيق و تقديم فاطمة نافع، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 2008م.
- **فانديك** (إدوارد كرنيليوس)، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، صححه محمد علي الببلاوي مطبعة التأليف، مصر 1896م.
- **ابن القيم الجوزية** (شمس الدين محمد بن أبي بكر)، شفاء العليل في القضاء و القدر و التعليل، خرج أحاديثه و علق عليه أبو مازن المصري و كمال سعيد فهمي، المكتبة التوفيقية، القاهرة (د.ت.ط).
- **الكتاني**( عبد الحي بن عبد الكبير)، فهرس الفهارس و الأثبات و معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى بيروت 1982م.
- **ابن كمال باشا** (شمس الدين أحمد بن سليمان)، مسائل الخلاف بين الأشاعرة و الماتريدية، تحقيق سعيد عبد اللطيف فودة، دار الفتح للدراسات و النشر، الطبعة الأولى، عمان2009م.
- **المجاوي** (عبد القادر)، إرشاد المتعلمين، المطبعة الوهبية، القاهرة 1294هـ/ 1877م.
- .....، الإفادة لمن يطلب الاستفادة، مطبعة شارل زميط، الجزائر 1901م.

- **المجاوي** (عبد القادر)، الإفادة لمن يطلب الاستفادة، دار زمورة للنشر و التوزيع الجزائر 2011م.
- .....، تحفة الأخيار فيما تعلق بالكسب و الاختيار، مطبعة فونتانا الشرقية، الجزائر 1905م.
- .....، الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية، المطبعة الشرقية لبيير فونتانة، الجزائر 1907م.
- .....، شرح على المنظومة المجرادية، المطبعة البونية لرومبي و راستاي، عنابة 1891م.
- .....، شرح على المنظومة المرضية في المسائل النجومية للإمام ابن غازي، مطبعة بومون، قسنطينة 1879م.
- .....، شرح منظومة سيدي محمد الإمام المنزلي في آداب المريدين مطبعة الدولة التونسية، تونس 1314هـ.
- .....، الفريدة السنية في الأعمال الجيبية، مطبعة بيير فونتانة، الجزائر 1904م.
- .....، القواعد الكلامية، المطبعة الشرقية لصاحبها فونتانا الأخوين و شركائهما، الجزائر 1911م.
- .....، كشف اللثام على شواهد ابن هشام، قسنطينة 1873م.
- .....، اللمع على نظم البدع، مطبعة الأخوين فونتانا، الجزائر 1912م.

- **المجاوي** (عبد القادر)، اللمع على نظم البدع، دار زمورة للنشر، الجزائر، 2011م.
- .....، نزهة الطرف فيما يتعلق بمعاني الصرف، المطبعة الشرقية ببير فونتانة، الجزائر 1907م.
- ..... و بريهمات (عبد القادر و عمر)، المرصاد في مسائل الاقتصاد، المطبعة الشرقية لبير فونتانة، الجزائر 1904م.
- **المدني** (أحمد توفيق)، حياة كفاح (مذكرات) في تونس 1905- 1925م، الجزء الأول الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1976م.
- .....، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984م.
- .....، هذه هي الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر ( د، ت، ط).
- **ابن مريم** (أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني)، البستان في ذكر الأوليـــــاء و العلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية الجزائر 1908م.
- **المقري** التلمساني (أحمد بن محمد)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، المجلد الخامس، دار الأبحاث للترجمة و النشر و التوزيع، الطبعة الأولى، بيروت 2008م.

**<u>بالفرنسيـــــة</u>:**

- **Benoit** (Gustave) , De L'instruction et de l'éducation des Indigène dans la Province de Constantine, Librairie Hachette, Paris 1886.

- **Berthet** (A), Les Naufragés de La Marie Elisabeth, G. Tequi Librairie Editeur, Paris 1883.

- **Burzet** (L'Abbé), Histoire des Désastres de l'Algérie 1966-1867-1868, Imprimerie Central Algérienne, Alger 1869.

- **Delphin** ( Gaëtan), Fas son Université et l'enseignement Supérieur Musulman, Ernest Leroux Edition, Paris 1889.

- **Depont** (Octave) et **Coppolani** (Xavier), Les Confréries Religieuse Musulmanes, Librairie Adolph Jordane, Alger 1897.

- **Frescaly** (Marcel) , Journal de Route et Correspondant, Ed Charpentier, Paris 1886.

- **Geuthner** (Paul), Linguistique Général et Comparée, Librairie Orientaliste, Paris 1929.

- **Léon Africain** ( Jean), Description l'Afrique, Annotée par Ch.Schefer, 2$^{éme}$ vol Ernest Leroux Editeur, Paris 1889.

- **Mercier** (Ernest) , Constantine son Passé son Centenaire 1837- 1937, Edition Braham, Constantine (sans date).

- **Morand** (Marcel) , Le Droit Musulman Algérien (Rite Malékite) ses Origine, Adolf Jordan, Alger 1913.

- **Réponse Aux Allégations** Publiées par Abdel- Kader El Medjaoui Le Marocain dans le Journal L'Indépendant du 25 Novembre Courant.

- **Rinn** (Louis), Marabouts et Khouan, Adolph Jordane Librairie Editeur, Alger 1884.

- **Romegny** (J), Le rôle de La France au Maroc, Ed L. Fouqué, Oran 1908.

- **Sedillot** (Louis Amélie), Histoire des Arabes, Librairie de L.Hachette, paris 1854.

**وثائـــق ومنشـــورات رسميـــة بالفرنسية:**

- **Almanach National, Annuaire Officiel de la République Française pour 1900**, Berger Lovrault Ed, Paris 1900.

- **Bulletin de Récentes Publication Française**, BNF, Librairie H.Champion, Paris 1914.

- **L'Expédition Militaire en Tunisie 1881- 1882**, Henri Charles La Voisselle Editeur Militaire, Paris.

- **Exposé de La Situation Général de l'Alger**, Présenté par Ch.Jaunart, Imprimeur du Gouvernement Général, Alger 1904.

- **Archives Diplomatique, Recueil, Mensuel International de Diplomatie et d'Histoire**, 3éme série, 43eme Année, № 4, Avril 1903, Administration et Rédaction, Paris.

- **Journal Officiel de la Republic Française ( lois et décrit)**, 35éme Année, № 86, (28/03/1903).

- **…….**, 36éme Année, № 317, (21/11/1904).

- **…….**, 48éme Année, № 32, (2/2/1916).

- **Journal Officiel**, 62éme Année, № 170, (20/7/1930).

- **Archive d'Outre Mer (Aix en Provence)** 14 H 44 et 14 H 47.

- **Ministère des Affaires Etrangères**, **Documents Diplomatique, Affaire du Maroc 1901-1905**, Imprimeur National, paris.

- **Pandectes Française Périodiques , Recueil Mensuel de Jurisprudence et de Législation**, Librairie Général de Droit et de Jurisprudence, 23éme Année, paris 1908.

- **Résidence Général de la République Française au Maroc**, Villes et Tribus du Maroc, vol 8éme , ( Tanger et sa Zone ), Edition Ernest Leroux, Paris 1921.

**المخطوطات:**

- الدرر البهية على اللامية المجرادية في الجمل، وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف مصلحة التراث و الثقافة، مجموع رقم 464 و650.
- مختصر في النحو، وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، مصلحة التراث و الثقافة، مجموع رقم 660.
- مخطوط في المنطق، وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، مصلحة التراث و الثقافة، مجموع رقم 660.
- مواهب الكبير المتعال (مخطوط في التصوف).

**المراجـــــــع:**

**بالعربيـــــة:**


- **الإبراهيمي** (محمد البشير)، آثار الإمام البشير الإبراهيمي، جمع و تقديم أحمد طالب الإبراهيمي، الجزء الأول ( 1929- 1940م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997م.
- **أبو عمران** (الشيخ) وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الجزائرية للطباعة الجزائر 1995م.
- **الأشرف** (مصطفى)، الأمة و المجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر الجزائر 2007م.
- **أمين** (أحمد)، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة الجزائر 1990م.
- **أولمان** (سمية) ، دور الشيخ المجاوي عبد القادر و كتابه إرشاد المتعلمين في الصمود الفكري بالجزائر، مطبعة زيتا قرافيك، الجزائر 2013م.
- **بوعزيز** (يحي)، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت 1995م.
- .....، ثورات الجزائر في القرنن التاسع عشر و العشرين، الجزء الأول، الطبعة الثانية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1996م.

- **بوهليلة** (إدريس)، الجزائريون في تطوان خلال القرن13هـ/19م، مطبعة الهداية، الطبعة الأولى، تطوان 2012م.
- **الجندي** (أنور)، الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة 1965م.
- **جوليان** (شارل أندري)، إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة المنجي سليم و آخرون، الدار التونسية للنشر، تونس 1976م.
- **الحجوي** (محمد بن الحسن)، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، الجزء الرابع مطبعة إدارة المعارف، الرباط 1340هـ.
- **حجي** (محمد)، موسوعة أعلام المغرب، الجزء الثامن، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996م.
- **حماني** (أحمد)، صراع بين السنة و البدعة، الجزء الأول، دار البعث، قسنطينة 1984م.
- **دبوز** (محمد علي) ، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة، الجزء الأول، مطبعة البعث، قسنطينة 1978م.
- **الزركلي** (خير الدين)، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين، الأجزاء 4، 7، دار العلم للملايين، ط15، بيروت 2002م.
- **زكي** (محمد مجاهد)، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية، الجزء الثاني دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت 1994م.

- زوزو (عبد الحميد)، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900م موفم للنشر، الجزائر 2009م.
- **ستودارد** (لوثروب)، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، تعليق و حواشي شكيب أرسلان، المطبعة السلفية، القاهرة 1925م.
- **سركيس** (يوسف إليان)، معجم المطبوعات العربية، الجزء الثاني، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة (د.ت.ط).
- **سعد الله** (أبو القاسم)، أفكار جامحة، عالم المعرفة، الجزائر 2011م.
- .....، تاريخ الجزائر الثقافي، الأجزاء 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998م.
- .....، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي بيروت 1992م.
- .....، شيخ الإسلام عبد الكريم بن الفكون الداعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى بيروت 1986م.
- **الصديق** (محمد الصالح)، الشيخ الرزقي الشرفاوي حياة و آثار، شهادات و مواقف، دار الأمة، الطبعة الأولى، الجزائر 1998م.
- **ضيف** (بشير)، فهرسة معلمة التراث الجزائري بين القديم و الحديث، مراجعة عثمان بدري، منشورات ثالة، الجزائر 2007م.

- **طالبي**(عمار)، آثار ابن باديس، المجلد الأول، الشركة الجزائرية، الطبعة الثالثة، الجزائر 1997م.
- **قنان** (جمال)، نصوص سياسية جزائرية في القرن 19 م ( 1830- 1914م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2002م.
- **ابن قينة** (عمر)، شخصيات جزائرية، دار البعث، الطبعة الأولى، قسنطينة 1983م.
- **كحالة** (عمر رضا)، معجم المؤلفين تراجم مصنفي كتب العربية، الجزء الأول، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت 1993م.
- **محفوظ** (محمد)، تراجم المؤلفين التونسيين، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت1994م.
- **مواعدة** (محمد)، محمد الخضر الحسين حياته و آثاره (1873-1958م)، الدار التونسية للنشر، تونس 1974م.
- **ابن نبي** (مالك)، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق 1984م.
- .....، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين دار الفكر، دمشق 1986م.
- .....، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق 1981م.
- **نويهض** (عادل)، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و النشر و الترجمة، الطبعة الثانية، بيروت 1980م.

- **هلال** (عمار)، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847- 1918م، دار هومة الجزائر 2012م.

**بالأجنبيـــــة:**

- **Ageron** (Charles Robert), Histoire de l'Algérie Contemporaine, que sais je ?, 2éme Edition Dahlab, Alger (S.D).

- **……..……**, Les Algériens Musulmans et la France 1871-1919, Tome 1er, presse universitaires de France, Paris 1968.

- **Bentemp** (Claude), Manuel de l'institution Algériennes 1518- 1870, paris 1976.

- **Cheurfi** (Achour), Ecrivains Algériens, Casbah Edition, Alger 2004.

- **Christelow** (Allan), Algerian Muslim Judges and the Colonial State 1854- 1892, University of Michigan 1977.

- **Collot** (Claude) et **Henry** (Jean Robert), Le Mouvement National Algérien, Textes 1912-1954, L'Harmattan, Paris 1981.

- **Grand Guillaume** (Gilbert), Nédroma l'évolution d'une Médina, Leiden E.T brill 1976.

- **Hellal** (Amar), Mouvement Réformiste Algérien (Les Hommes et l'Histoire), Officier des Publications Universitaire, Alger 2002.

- **Ihaddaden** (Zahir), Histoire de La Presse Indigène en Algérie, des Origines Jusqu'en 1930, Enterprise National du Livre, Algérie 1983.

- **Meynier** (Gilbert), l'Algérie Révélée, Librairie Droz, Genève 1981.

- **Miège** (Jean Louis), Tétouan à travers les siècles, imp. Haddad Frères Hidaya, Titouan 1996.

- **Sari** (Djilali), L'émergence de l'intelligentsia Algérienne 1850-1950, Edition ANEP, Alger 2006.

**المقـــــالات:**

- **ابن أبي شنب** (سعد الدين)، النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن 14هـ، مجلة كلية الآداب، العدد الأول، السنة الأولى، جامعة الجزائر، الجزائر 1964م.
- **بلعباس** (عبد الرزاق)، البعد الاقتصادي عند الشيخ المجاوي من خلال كتاب المرصاد في مسائل الاقتصاد، أعمال ملتقى وطني بتلمسان 2-3 محرم 1433هـ/ 27-28 نوفمبر 2011م، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، دار الجائزة، الجزائر 2011م.
- **بوكوشة** (حمزة)، شيخ الجماعة عبد القادر المجاوي، الثقافة، عدد 10، أوت- سبتمبر 1972م.
- **عويمر** (مولود)، الشيخ المجاوي أستاذ الجماعة، مجلة الوعي، العدد المزدوج 3- 4، جمادى الأولى والثانية 1432هـ/ أفريل- ماي2011م.
- .....، النخبة الإصلاحية و سؤال التنوير في القرن 19م، البصائر 2015/07/19م، عدد 764.

- **عويمر** (مولود)، الشيخ عبد القادر المجاوي و كتابه إرشاد المتعلمين، أعمال ملتقى وطني بتلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، دار الجائزة للنشر و الطباعة و التوزيع، الجزائر 2012م.
- **ابن قينة** (عمر)، عبد القادر المجاوي حياته و آثاره (1948- 1913م)، مجلة الثقافة، عدد 48، ديسمبر 1978م.
- **كريستلو** (آلان)، حول بداية النهضة الجزائرية كتيب لعبد القادر المجاوي، مجلة الثقافة، عدد46 أوت- سبتمبر 1978م.
- **المجاوي** (عبد القادر)، الافتخار بالنسب و النفس، المغرب، السنة الأولى، عدد9 (10 صفر 1321هـ/8 ماي 1903م) .
- .....، طيب العرب قبل الإسلام و بعده، المغرب، السنة الأولى،عدد17 (9 ربيع الأول 1321هـ/5 جوان 1903م).
- .....، المعاش، المغرب، السنة الأولى، عدد 6 ( 30 محرم 1321هـ/ 28 أفريل 1903م).
- .....، العلم، المغرب، السنة الأولى، عدد12 (21 صفر 1321هـ/19 ماي 1903م).
- .....، العادة، المغرب، السنة الأولى، عدد 19 (16 ربيع الأول 1421هـ/ 12 جوان 1903م).

- **المجاوي** (عبد القادر)، ملاك الشيمة الأدب، كوكب إفريقيا، السنة الثانية، عدد97 (8 صفر 1326هـ/ 12 مارس 1908م).
- .....، الحسد، كوكب إفريقيا، السنة الثانية، عدد68 (30 رجب 1326هـ/ 28 أوت 1908م).
- .....، سلامة الإنسان في حفظ اللسان، كوكب إفريقيا، السنة الثانية، عدد84 (17 ذو القعدة 1326هـ/11 ديسمبر 1908م).
- .....، المحرم و مواسمه، كوكب إفريقيا، السنة الثانية، عدد 39 (11 محرم 1326هـ/ 14 فيفري 1908م).
- .....، رمضان و فوائد صيامه، كوكب إفريقيا، السنة الثانية، عدد54 (23 ربيع الثاني 1326هـ/ 25 ماي 1908م).
- .....، موسم عيد الأضحى، كوكب إفريقيا، السنة الثانية، عدد 35 (6 ذو الحجة 1325هـ/10 جانفي 1908م).
- .....، موسم عيد الأضحى، كوكب إفريقيا، السنة الثانية، عدد33 (27 ذو القعدة 1325هـ/1 جانفي 1908م).

**الصحـــف والمجـــلات والدوريات:**

**بالعربيـــة:**

- **البصائر**، السنة الرابعة، عدد 171 (4 جمادى الأولى 1358هـ/ 22 جوان 1939 م).
- **التقويم الجزائري**، السنة الثانية، مطبعة فونتانة، الجزائر 1329هـ/1912م.

- **التقويم الجزائري**، السنة الثالثة، مطبعة فونتانة، الجزائر 1330هـ/1913م.
- **الشهاب**، الجزء الثالث، المجلد الثامن، (1 ذو القعدة 1350هـ/ مارس 1932م).
- **الفاروق**، السنة الثانية، عدد 81 (19 ذو القعدة 1332هـ/ 9 أكتوبر 1914م).
- **المبشر**، السنة الثالثة، عدد 71 (7 شوال 1266هـ/ 15 أوت 1850م).
- **.....**، .....، عدد 77 (11 محرم 1267هـ/ 15 أكتوبر 1850).
- **.....**، .....، عدد 85 (14 جمادي الأول 1267هـ/16 مارس 1851م).
- **المنار**، المجلد الثالث، الجزء الثالث، (21 ذي القعدة 1317هـ/ 22 مارس 1900م).
- **.....** ، المجلد الرابع، الجزء السادس، (16 صفر 1321هـ/ 14 مايو 1903م).
- .....، المجلد الرابع عشر، الجزء السادس، (1 ذو الحجة1321هـ/ 18 فبراير 1904م).
- **المنتقد**، السنة الأولى، العدد الخامس، (11 محرم 1344هـ/ 30 جويلية 1925م).

**<u>بالفرنسيـــــة</u>:**

- **Revue Africaine, Journal des Travaux de la Société Historique Algérienne**, 5éme Année, № 260, 1er trimestre, Adolph Jordan Libraire Editeur, Alger 1906.

- **…….....**, 57éme Année, Alger 1913.

- **L'Afrique du Nord Illustré**, №232, 8éme Année, ( 24/05/1913).

- **Revue Algérienne et Tunisienne de Législation et de Jurisprudence** Tome 2 éme, Année 1886, Adolph Jordon Libraire Editeur, Alger 1886.

- **L'Echo d'Alger**, 3éme Année, № 807, (31/05/1914).

- **.....**, 16éme Année, № 6626, (1/12/1927).

- **.....**, 20éme Année, № 8051, (25/10/1931).

- **Revue des deux Monde**, XIIIe Année, Seconde période, TOME Cent Huitième (1er Novembre 1873), Imprimerie J.Claye, Paris 1873.

- **Journal de Débats Politiques et Littéraires**, 139éme Année, № 293, (22/10/1927).

- **Revue Historique Moderne et Contemporain**, Paris ( Avril- Juin 1963).

- **Le Mobacher**, 13 Châaban 1320H/ 15 Novembre 1902, 54éme Année, № 4466.

- **...……..……**, 2 Dou el Hidja 1294 h/ 8 Décembre 1877, 29éme Année, N°1854.

- **Le Radical** (22/11/1904), 24éme Année, № 327.

- **Revue du Monde Musulman**, Volumes XII et XIII, Tome 7éme Erneste Leroux, Paris 1909.

- **……...**, Tome Dixième, Paris1910.

- **Revue de Paris**, 20éme Année, Tome 20éme, Paris 1913.

- **Polybiblion**, **Revue Bibliographique Universelle, Partie Littéraire**, 2éme Série, Tome 3éme, Bureaux du Polybiblion, paris 1881.

- **Le Progrès de l'Algérie**, 3éme Année, № 30, ( 28/7/1892).

- **……..**, 37éme Année, № 1880, (05/11/1931).

# الفهرس

**مقدمـــــة**.....أ

**الفصـــل الأول:** أوضاع الجزائر مابين سنتي 1264-1332هـ/1848-1914م.....15

- الأوضاع السياسية.....18
- الأوضاع الاجتماعية .....26
- أوضاع الديانة والثقافة الإسلامية.....31
- الأوضاع الاقتصادية.....40

**الفصـــل الثاني: حياتـــــه** .....45

- أسرة المجاوي.....48
- مولده ونسبه ونشأته .....51
- الهجرة إلى المغرب الأقصى .....53
- في طنجة.....54
- في تطوان.....55
- في فاس.....57
- المجاوي مدرّسا .....60
- زواجه وولده .....67

- رحلته إلى المشرق.....69
- أعداء وخصومات.....71
- مواقف ومطالب.....77
- في مدرسة الجزائر.....81
- شخصيته وعلاقاته.....87
- مهام ونياشين.....92
- وفاته.....95
- آراء في المشروع الإصلاحي للشيخ عبد القادر المجاوي.....100

**الفصل الثـــالث: آثـــــاره** .....106

**في التربية و الأخلاق والمجتمع:** .....111

- إرشاد المتعلمين .....113
- الإفادة لمن يطلب الاستفادة .....121
- اللمع على نظم البدع .....125

**في النحو والصرف:** .....134

- كشف اللثام على شواهد قطر ابن هشام .....137
- الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية .....139

- نزهة الطرف في ما يتعلق بمعاني الصرف.....141
- شرح اللامية المجرادية في الجمل .....143
- الدرر البهية على القصيدة المجرادية.....145

**في الحساب والهيئة وعلم الفلك:**.....148

- شرح على المنظومة المرضية في المسائل النجومية للإمام ابن غازي.....150
- الفريدة السَّنية في الأعمال الجيبية.....152
- منظومة في الفلك .....155

**في المنطق وعلم الكلام:** .....157

- مخطوط مختصر في المنطق .....159
- تحفة الأخيار في ما تعلق بالكسب والاختيار .....161
- القواعد الكلامية .....164

**في التصوف:** .....169

- شرح منظومة سيدي محمد الإمام المنزلي في آداب المريدين.....171
- مواهب الكبير المتعال .....175
- منظومة في آداب الطريق .....176

**في الاقتصاد:**.....178

- المرصاد في مسائل الاقتصاد .....180

**مقالات صحفية:**.....186

- في صحيفة المغرب.....189
- في صحيفة كوكب إفريقيا.....192

**تقاريظ وشعر ورسائل وخطب ومحاضرات :**.....197

- التقاريظ .....199
- شعر ورسائل وخطب ومحاضرات .....201
- خاتمـــة .....205
- الملاحـق.....210
- قائمة المصادر والمراجع.....226
- الفهرس.....247